

علم التاريخ

نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى
ومناهج البحث فيه

تأليف

دكتور شوقي الجمل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات
الأفريقية
بجامعة القاهرة

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

ت : ٢٥٦٧٦٥٩



علم التاريخ

نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى
ومناهج البحث فيه

تأليف

دكتور شوقي الجمل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات

الأفريقية

بجامعة القاهرة

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

ت : ٢٥٦٧٦٥٩

جميع حقوق الطبع محفوظة

إسم الكتاب

علم التاريخ

دار النشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

ت : ٢٥٦٧٦٥٩

رقم الإيداع

٢٨٩٥ / ٩٧

الترقيم الدولى

I.S.B.N

977 - 19 - 2131- 0

مقدمة

حاولنا في هذا الكتاب الذي نقدمه للباحثين في مجال التاريخ أن نعالج موضوعين مترابطين ومتكاملين يصعب فصل أحدهما عن الآخر .

الأول : نشأة علم التاريخ منذ بدأ على شكل قصص وروايات ، ثم تطور مع تطور المعرفة الانسانية ، فأصبح لا يقتنع بالسرد أو تريد ما تناقلناه عن السابقين ، فكان السعى وراء الحقيقة من مصادرها الأصلية من أهم أهداف الباحث التاريخي .

وكان طبعي أن نتعرض لدور العرب في هذا المجال والشوط الذي قطعوه فيه فخصصنا فصلا مطولا لذلك .

كذلك تعرضنا لوضع علم التاريخ بين العلوم الأخرى والآراء المختلفة التي أثرت حول هذا الموضوع .

كما أشرنا للمعلوم الأخرى الوثيقة الصلة بعلم التاريخ ، وبما يجب أن تتوفر في الباحث التاريخي من صفات ومميزات لممارسة هذا العمل بفهمه الصحيح السليم .

وقد عرضنا آراء الكثيرين من الكتاب والفلاسفة والمؤرخين في مختلف هذه القضايا التي بحثناها ، وشرينا الأمثلة للاستدلال بها على بعض الآراء المذكورة .

أما الموضوع الثاني : فهو يتعلق بالمنهج الذي يجب أن يلتزم به الباحث في هذا الميدان في ضوء المفاهيم التي ذكرناها سابقا وفي ضوء التطور الذي طرأ على الكتابة التاريخية .

وقد بدأنا مع الباحث منذ اختياره لموضوع بحثه ، وسرنا معه وهو يجمع مصادره ومراجعته ويضعها تحت مجهر الفحص والنقد للتحقق من سلامتها قبل استخدامها ، ثم تحليل محتوياتها ، فترتيب المادة التاريخية المتوفرة وتنسيقها تمهيدا لعرضها على هيئة موضوع متكامل متجانس ومتربط .

وقد حاولنا - جهد الطاقة - أن نوضح للباحث ما يجب مراعاته فى كل مرحلة منها ، والمزالق التى يجب أن يحذر الوقوع فيها ، والاختطاء الشائعة التى يجب تفاديها الى غير ذلك مما نأمل أن يعين الباحث على تحقيق أهدافه والوصول لقصدته .

وقد اعتمدنا فى كل ذلك على القواعد المتعارف عليها والتى أصبحت من الأسس الرئيسية التى يقوم عليها البحث التاريخى .

كما عرضنا آراء وأفكار العديد من المؤرخين الذين برزوا فى هذا الميدان واهتموا بهذه الدراسة - دراسة منهج البحث التاريخى .

هذا بالإضافة الى الخبرة الطويلة التى اكتسبت من الاشراف على عشرات الأبحاث والرسائل التاريخية ومن الممارسة الفعلية .

ونأمل أن يسهم هذا الكتاب فى سد الفراغ الملاحظ فى مكتبتنا العربية فى هذا المجال .

فعلى الرغم من اهتمام الكتاب الأجانب - خاصة فى السنوات الأخيرة بمناقشة موقف التاريخ من العلوم الأخرى ومحاولة وضع الخطوط العريضة للمنهج السليم للبحث التاريخى - من وجهة نظرهم على الأقل - فإننا الى الآن لم نوف هذا الموضوع بعض حقه من العناية والاهتمام .

والله ولى التوفيق

د . شوقي الجمل

الجزء الاول

علم التاريخ نشأته ، وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى

مباحث هذا الجزء :

الفصل الاول :

علم التاريخ - نشأته وتطوره .

الفصل الثاني :

التاريخ عند العرب .

الفصل الثالث :

التاريخ بين العلوم الأخرى .

الفصل الرابع :

العلوم الأخرى الوثيقة الصلة بعلم التاريخ .

الفصل الخامس :

الصفات الواجب توافرها في المؤرخ .

الفصل الأول

علم التاريخ

نشأته وتطوره

مباحث هذا الفصل :

- لفظ تاريخ ومدلوله •
- أسفار العهد القديم والتوراه وأهميتها فى أخبار الخليقة الأولى •
- الأسطورة ، والحكاية الشعبية كدياة طييمية لتناول الانسان لأخبار أباته وأجداده •
- الدين وأثره على الرواية التاريخية •
- محاولات تدوين الأحداث فى مصر القديمة ، وعند الأشوريين والبابليين •
- التاريخ عند الاغريق والرومان •
- خضوع التاريخ للاهوت •
- تطور التاريخ فى أواخر العصور الوسطى •
- ظهور روح النقد فى عصر النهضة •
- حركة الإصلاح الدينى فى أوربا وأثرها على التاريخ
- فكرة القومية وأثرها فى الاهتمام بالمصادر المحلية •
- التوسع الاستعماري الأوربي وأثره على التاريخ •
- التغير الاجتماعى ، والسياسى فى أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وأثره على التاريخ •
- القرن الثامن عشر — ومؤرخو الثورة فى فرنسا ، وفى باقى أوربا •
- المؤرخون الألمان رواد مدرسة النقد والتحليل •
- القرن التاسع عشر ، والاهتمام بجمع المصادر التاريخية ونشرها •

التاريخ . هو تيسير بالوقت ، وقد اختلف العلماء فى أصل لفظ « تاريخ » . فذهب البعض الى انه لفظ عربى خالص ، وذهب آخرون الى انه لفظ فارسى ، وأن العرب أخذوه عن الفرس . والتاريخ على العموم يعنى (التوقيت) أى تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها (١) .

وقد أشار السخاوى لذلك فنذكر « أن التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها ، وموضوعه الانسان ، والزمان » (٢) .

وقد مرت الكتابة التاريخية فى أطوار متعددة . ففى وقت كان التاريخ مجرد سرد للأحداث ، أو تدوينها كما هى دون نقد أو تمحيص أو محاولة للتثبت من صحتها .

وأول صورة دون بها التاريخ كانت فى صورة قصصية .

ولعل أقدم التواريخ المدونة هى ما جاء فى أسفار (التوراة والعهد القديم) ، حيث ذكرت الأخبار الأولى عن الأحداث التى مرت بالخلقة منذ نشأتها الأولى . (قصة خلق الانسان ، وقايين ، وهابيل ، والطوفان ...)

وتدل عناوين أسفار العهد القديم على الأحداث والأخبار التى تناولها كل سفر - فمثلا سفر الملوك الأول والثانى تناول أخبار ملوك اسرائيل ويهوذا وسفر الخروج يتناول على الخصوص خروج بنى اسرائيل من مصر . والمزامير تتعلق بمزامير داود النبى (٣) .

وهكذا تعدنا الكتب السماوية بالمعلومات التاريخية الأولى عن حياة الانسان ، وعن علاقاته بالكائنات الأخرى ، بل وعن علاقات الانسان بأخيه الانسان منذ أن بدأت تتكاثر الخليقة على الأرض . باعتبار أن الأرض هى

(١) أنظر لسان العرب - مادة (أرخ) .

- وكذلك نصار ، حسين : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ص ٣ .

(٢) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن تم التاريخ ص ٧ .

(٣) أسفار العهد القديم ٢٩ سفرا .

المسرح ، وأن التاريخ هو التمثيلية التي تدور فصولها على هذا المسرح عبر العصور . بحيث يمكن أن نقول أن التاريخ موضوعه الانسان والزمان (١) .

وقد بدأ اهتمام الانسان بالتاريخ منذ فجر الخليقة ، فقد لعبت الاساطير (Legends) والحكايات (anecdotes) دورا هاما في حياته ، وكانت هذه بداية طبيعية للتاريخ . اذ يحكى الانسان لأبنائه وأحفاده أخبار الأجداد والملوك ، ويألفهم ، ويألفهم امتزجت في هذه القصص الحقيقية بالخيال ، وبذا بدأ الانسان يهتم بأخبار أسلافه السابقين .

وقيل أن يعرف الانسان الكتابة عبر عن هذه الأفكار التي جالت بذهنه بالترسم والنقش على الحجر مستخدما في ذلك ما أمكنه استخدامه من الآلات والادوات ومواد ، ومن ثم ترك لنا الانسان الأول على جدران الكهوف ، وفي المغارات وغيرها من الأماكن التي سكنها ما يمكن أن نستدل به عن بعض أفكاره ، وعن نظام حياته ومعتقداته .

ومع تقدم الانسان تطورت حياته ، كما تقدمت وسائل التعبير عن أفكاره ومعتقداته ، وأسلوب حياته حتى عرف الكتابة ، فكانت هذه طفرة عظيمة في مجال تسجيل الأحداث والأفكار والمعتقدات .

ولعب الدين دورا هاما في تكييف حياة الانسان وتصرفاته ، فملائكته وبخالقه ، ونظراته للقوة العليا الخفية التي تدبر الكون ، ورهبته من الأشباح والأرواح غير المرئية ، والخوف من الموت ، ومحاولاته للحفاظ على حياته ،

(١) عكف عديد من المؤرخين والفلاسفة - الألمان بالذات على دراسة أثر القصص الدينية في الكتابة التاريخية ، وقد تباينت آراؤهم حول هذه العلاقة بين الاساطير الدينية وبين التاريخ كعلم تذكر منهم على سبيل المثال : شلينج (Schelling) - الذي كتب « مقدمة في فلسفة الاساطير »

كاسير - Cassirer - الذي كتب في « التفكير الاسطوري »
د. شتراوس - Dr. Strauss - الذي كتب في حياة يسوع المسيح بحث نقدي .

لزيد من التفصيل انظر :

كاسير ، أرنست : في المعرفة التاريخية ص ١٠٨ وما بعدها .

وجاء خلقه هذا من تصورات وخيالات في عقله - كل هذا كان له اثره في سلوك الانسان ، وفي معاملته وعبر عن ذلك بمختلف وسائل التعبير المتاحه له .

وهكذا يمكن ان نقول ان اهتمام الانسان بمعرفة ماضيه ، وأخبار أسلافه يرجع الى أقدم العصور .

وحرص الإنسان - كما ذكرنا - على ان يلم أبناؤه وأحفاده بأخبار أسلافهم ، وكطبيعة البشر لم تخل هذه الأخبار من الإضافات والتحريف مما يضاف على هؤلاء الأسلاف ثوبا من البطولات والتمجيد .

ولعل الغرض الأساسي الذي من أجله حرص الناس على ان يتناقلوا قصص الأحداث التي حدثت في الأزمنة القديمة هو - الى حد كبير - نفس الغرض الذي تهدف اليه اليوم من دراسة التاريخ . . . الا وهو إتخاذ العظة من الماضي ، وتوضيح الحاضر ، والنظر للمستقبل في ضوء هذا الماضي يعظاته وعبره .

ومن أقدم المخطوطات لتكوين التاريخ تلك التي قام بها الكاهن المصري القديم مانيثون (Manetho) الذي عاش بطليخوس أول ، وبطليموس الثاني ، ووضع تاريخا لقديما المصريين استمد مادته من مصادر مصرية قديمة ، وكان ذلك على نظام (الحوليات) أي تدوين الحوادث وترتيبها تاريخيا قاما بعد عام ، وللاسف فقد مؤلف مانيثون هذا فلم تبق منه الا نبذ قليلة .

كذلك محاولة كاهن آخر يابلي عاش حوالي ٢٥٠ ق م هو بيروسوس (Berossus) كتابة تاريخ يابل باليونانية مستندا على مضمنا يابلية قديمة ، وقد ضاع مؤلفه أيضا ولم تصلنا منه الا نبذ بسيطة متضمنة في بعض الكتب الأخرى التي أخذت عنه (١) .

وحذا بعض الآشوريين ، والعبرانيين حذو المصريين واليابليين في هذا المجال فكتبوا عن تاريخ آشور وبابل .

اما عن الآغريق وتاريخهم - فلدينا العديد من الاسماء اللامعة التي تعرضت للكناية عن أصلهم ، وعن النزاع بينهم وبين الفرس ، والنزاع بين

(١) هرنشو : علم التاريخ (ترجمة عبد الحميد العبادي) ص ١٦ .

المدن الاغريقية المختلفة كحرب الهلويونيز بين اثينا واسبرطة وغيرها من الحروب.

لقد شغف الاغريق بالبحث أو بما يسمونه باليونانية (Istoria) أي تاريخها حتى يزوا غيرهم في هذا الميدان - فكتب هكتيوس (Hecateus) في القرن السادس ق م عن أصل الشعب الاغريقي ، كما كتب هيرودوت (Herodotus) الذي يلقب بأيي التاريخ في القرن الخامس ق م عن النزاع بين الاغريق والفرس ، ويمسده كتب ثوكيديديس (Thucydides) عن حرب البلويونيز بين اثينا واسبرطة .

وتميزت كتابات هؤلاء المؤرخين الاغريق بالبعد الى حد كبير عن الخرافات والأساطير ، وبمحاولة الوصول الى تفسير منطقي للأحداث (١) .

ومن أبرز كتابات الاغريق الالبانة ، والأوديسة التي نسبت الى هوميروس (٢) .

ومن الذين أرخوا الرومان ، ومدنهم ، وقوتهم بوليبيوس (Polybius) الاغريقي ، فقد عاش في روما في القرن الثاني ق م ، وكتب عن المدينة الرومانية وما وصلت اليه من قوة ، وتحدث عن فتوح الرومان ، ونظامهم السياسي (٣) .

وقد ظل تاريخ الرومان تتناوله أقلام مؤرخي الاغريق باليونانية لفترة طويلة .

(١) Collingwood : The Idea of History, pp. 17 and 28-31.

- كذلك هرنشو : مرجع سابق ص ١٧ وما بعدها .

(٢) انظر ج . ح . كراوزر : مجلة العلم بالمجتمع (ترجمة حسن خطاب) .
وقد نقل ولف (F.A. Wolf) الالاني في عام ١٧٩٥ ما هو شائع من أن الالبانة والابدية كتبها هوميروس وذهب الى أنها من عمل جماعة من الشعراء في فترات زمنية متباعدة - ويستعرض لذلك فيما بعد .

(٣) Collingwood : Op. Cit., pp. 33-36.

لكن كتب يوليوس قيصر (Julius Caesar) في عام ٥١ ق م كتابه المشهور عن الحرب الغالية (The Gallic War) تناول وقائع هذه الحروب التي انتهت بضم بلاد الغال الى الدولة الرومانية ، كذلك له كتاب اخر عن الحزب الأهلية التي انتصر فيها على بومبي .

ثم تأتي كتابات ليفي (Livy) ، وتاسيت (Tacitus) . فقد كتب الأول تاريخا كاملا لروما تحدث فيه عن ففوحاتها وتغنى بمفاخر الجمهورية الرومانية ، وجمع كل المتواتر عن تاريخ روما ونسقه في دراسة متكاملة لتاريخ الجمهورية الرومانية . وتستحق مقدمة كتابه هذا الدراسة والتأمل فقد أوضح فيها الهدف من كتابه ، وذكر أنه رجع بالرومان لتاريخهم القديم ليبوضح لهم كيف أن عظمة روما ترجع للازمنة الأولى التي كان فيها المجتمع الروماني يتسم بالبساطة والوضوح (١) .

أما تاسيت فقد كان يهدف في كتاباته الى الاصلاح الاجتماعي أكثر من تناول التاريخ للتاريخ ذاته . فقد حرص في (حواياته) على أن يعطى صورة لما وصل اليه المجتمع الروماني من قدهور خلقي ، وقارن بين ذلك وبين المزايا التي يتخلل بها البرابرة الذين كانوا حديثي عهد بالاتصال بالامبراطورية الرومانية .

ولما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين (٢٠٦ - ٣٣٧ م) تأثر التاريخ والكتابة التاريخية بهذا الحدث الهام . فقد تحول التاريخ الى أيدي القساوسة والرهبان وصار التاريخ خاضعا للأهوت مسخرا له ، وتركز في الحوايليات التي لا تخرج عن تقييد للحوادث وربطها بأعياد الفصح وغيره من الأعياد المسيحية .

لكن حين ضعفت الامبراطورية الرومانية واندثرت معالم الحضارة الأوربية - احتفظت الأديرة والكنائس بقبس من النور ، كما أن الاهتمام بتاريخ الكنيسة ، والأحداث المرتبطة به أدى الى نظرة جديدة للتاريخ ، فقد اعتبروه سجلا حافظا للعلاقة بين الانسان وخالفه .

أقد تغيرت النظرة للتاريخ بتحكم رجال الدين فيه . فنظرنا للأحداث لا على أنها نتيجة تصرف الإنسان وسلوكه لكن على أنها إرادة الله ومشيئته التي تسمير الكون . فظهر روما وعظمتها - مثلا - لا يرجع لجهود الرومان أنفسهم لكن لمشيئة الخالق ، وحين تنتهي الحكمة الإلهية من وجودها تضحل وتزول .

وفي أواخر العصور الوسطى حدث تطور يذكر فبدأ الكتاب يدققون فيما يذكرون من حوادث ، ويرجعون في الحوادث المعاصرة لأقوال من اشترك فيها أو شاهدها .

ففي فرنسا ظهر تاريخ ناننت (Chronicle of Nantes) تناول أحداثا تمتد حتى عام ١٠٤٩ م ، وفي ألمانيا ظهر التاريخ الانجلو سكسوني (Anglo-Saxon Chronicle) تناول الأحداث حتى عام ١١٥٤ م ، وفي انجلترا ظهر التاريخ الأكبر لمانثوياريس (Mathew of Paris) وهو راهب انجليزى اعتنى بتسجيل ما وصل اليه من أخبار العالم المتعدن في الغرب والشرق حتى عام ١٢٥٥ (١) .

وفي القرن الرابع عشر ظهرت بعض الكتب التاريخية التي تميزت بتحكيم العقل ورفض الأساطير التي تتنافى مع المنطق ، يظهر ذلك بوضوح في كتاب فلافيوس بلوندوس (F. Blondos) الايطالى وهو معاصر لابن خلدون (١٢٨٨ - ١٤٦٣) (٢) .

كذلك مذكرات (Memoirs) المؤرخ الفرنسى فيليب دى كومين (Philippe de Commines) - وهو الملقب في فرنسا بأبى التاريخ الحديث ، فقد استفاد من تقلبه في كثير من المناصب السياسية في كتابة مذكراته عن الحوادث حتى نهاية القرن الخامس عشر (٣) .

وكان تآثر التاريخ بالنهضة الأوروبية عميقا وقويا - فقد ترتب على النهضة نتائج منها :

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٣٠ .

(٢) رستم ، أسد : مصطلح التاريخ ص ١٠ ب (في المقدمة)

(٣) توفى عام ١٥٠٩ م

١ - صيغ التاريخ بالصيغة الزمنية ، وتحول تدوين شؤون الدولة من رجال الدين الى العلمانيين .

٢ - تغيرت الكتابة التاريخية كنتيجة طبيعية لحياء الدراسات القديمة، واتجاه الأباطنيين بالذات الى منابع هذه الحضارة القديمة الى اللاتينية والافريقية .

٣ - ظهور روح النقد والتعميم والتحليل للمراجع والمصادر الأصلية، واستبعاد ما لا يثبت صحته منها .

وهكذا عاد الى الظهور البحث الحر . والنقد بعد ان تحطم ما كانت تفرضه الكنيسة على العقول والأقلام والكتابات من حجر وقيد .

ولعل البداية كانت القنبلة التي فجرها لورنزو فلا (Lorenzo Volla) (١٤٠٦ - ١٤٥٧) بكتابه منحة قسطنطين (Donation of Constantine) الذى اثبت فيه بطلان هبة قسطنطين للبابوات ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون تزويرا افتعل في روما بعد خمسة قرون من التاريخ الوارد في الوثيقة . وكان البابوات قد استندوا الى هذه الوثيقة في صراعهم ضد الأباطرة لاثبات حقهم في السيادة الزمنية إذ أن هذه الهبة كانت تدعى أن قسطنطين - عندما تقبل عاصمته الى القسطنطينية - منح البابوات الحكم الزمني في ايطاليا ، وظلت هذه الفكرة مسيطرة طوال العصور الوسطى ، واستند اليها البابوات لاثبات ادعاءات لهم . لكن لورنزو فلا اثبت أن هذه الادعاءات لا تقوم على أساس صحيح بخلاف الوثيقة الأصلية التى تتعلق بهذه المنحة لا وجود لها ، وبالإضافة الى ذلك أشار الى أنه لم يثر على أية عملة بابوية تحمل ذكرى هذا الحادث الهام .

وقد اتفام هذا الحدث حين نشر وذاع رجال الدين وأقعدهم - لكنه على كل حال شجع على تنوع روح النقد ، فاصبح من المألوف أن يثير المؤرخون والكتاب الشك فيما كان الناس يعتقدون أنه من الأخبار المسلم بها التى لا يجب أن توضع موضع المناقشة والجدل .

فقد حدا حدث لورنزوفلا عدد كبير من مؤرخى عصر النهضة في ايطاليا

نفكر منهم على سبيل المثال نيكولا مكيافيللي (Nicola Machiavelli) (١٤٦٩ - ١٥٢٧) فقد كتب كتابا عن « تاريخ فلورنسه » ، كما كتب كتابا المشهور « الأمير » (Il Principe) ضمنه آراءه التي اكتسبها نتيجة خبرته الواسعة بسياسة الجمهوريات الإيطالية وأوربا في عهده ، وقد وضع فيه كيف أن إيطاليا بحاجة إلى أمير مستبد قوى جرى يوحدنا ويجعل منها دولة عظيمة (١) .

ولما انتشرت حركة النهضة خارج إيطاليا كان لها أيضا أثرها على التاريخ والمؤرخين فظهر يوليوس فرجيل (Polydore Virgil) (١٤٧٠ - ١٥٥٠) الذي كتب عن تاريخ إنجلترا في عهد هنري السابع .

وكانت لحركة الإصلاح البقي التي تزعمها مارتن لوثر (١٤٨٢ - ١٥٤٦) آثارها العميقة على الدراسات الفلسفية عامة والتاريخ بوجه خاص - فقد أشاع لوثر - أثناء تدريسه الفلسفة في جامعة ويتنبرج (Wittenburg) سنة ١٥٠٨ واللاهوت في عامي ١٥١٥ ، ١٥١٦ - روح النقد والتحليل حين دعا الناس لدراسة الكتاب المقدس بأنفسهم دون الاعتماد على تفسيري رجال الدين أو الأخذ بها على أنها حجج مسلم بها . وقد نشر رأيه بصراحة في أن الكنيسة قد انحرفت عن طريقها السوي الذي كانت تسير عليه في عهد المسيح والرسل الأوائل وأن ما يصدر عن البابوية من أحكام قد يكون صوابا وقد يكون خطأ . هذا - بالإضافة إلى الرسائل المشهورة التي نشرها لوثر عن الأسر البابلي للكنيسة (The Babylonish Captivity of the Church) (٧) .

فقد أدى هذا لأن يصبح للتاريخ قيمته - فقد دفع للبحث التاريخي بهدف

(١) لن يربود للتوسع في دراسة المبادئ التي نادى بها مكيافيللي - انظر .

Mortey, Ji Machiavelli

Schevill, F. : A History of Florence

وكذلك

(٧) في عام ١٢٠٩ انتقل البابا (كلنت الخامس) - وكان في الأصل أسقفا فرنسيا - من روما إلى (أفينيون) بفرنسا ، وعن ذلك التاريخ خضعت البابوية لتفوق ملك فرنسا ، ولم ترجع البابوية إلى روما إلا في ١٢٧٧ م أي بعد ٧٠ عاما . وعرفت هذه الفترة بـ «الامر البابلي» ، وأنت هذه المصيبة إلى انقسام بين الكراثة ورجال الدين . فقد وجد بابا في روما وآخر في أفينيون ، ففقدت الكنيسة كثيرا من صفات الزعامة الدينية التي لها .

الوصول للحقيقة في هذا الصراع بين المتمسكين بالكاثوليكية والداعين للراء الجديدة - والحقيقة أننا لم نشهد تهاكما على نبش اكدا س التاريخ الكنسى الملهجور كالى حدث بسبب هذا التصادم بين المتنافسين الكاثوليك والبروتستانت . ولم يصل البحث التاريخى من القوة والأهمية كما وصل خلال هذه الماركه .

وكانت حصيلة هذا ظهور العديد من الكتب والأبحاث ونشر العشرات من الوثائق . فكتب روبرت بارنز (Robert Barnes) (١٤٩٥ - ١٥٤٠) بن « مسير بابوات روما » ، وكتب جون فوكس (John Foxe) (١٥١٦ - ١٦٨٧) كتاب الشهداء (Book of Martyrs) ، ونشر ماثياس فلاكيوس (Mathias Flacius) كتابه عن تاريخ الكنيسة المسيحية منذ قيامها فى عهد الرسل حتى القرن الخامس عشر باسم « قرون مجدبرج » (Magdeburg Centuries) . تناول فيه ما كان يجرى فى المجمع الدينية . وما صدر عن البابوات .

وانبرى عدد من المتحمسين للكاثوليكية للرد عليه ، وفى مقدمة هؤلاء قيصر بارونيوس (Caesar Baronius) - الذى كان امينا مكتبة الفاتيكان الضخمة التى يرجع الاهتمام بها الى البابا نيقولا الخامس الذى جمع بها مجموعات ضخمة من الكتب والمخطوطات - فنشر بارونيوس كتابا باسم (التحولات) للرد على ما جاء فى كتاب فلاكيوس ، وتوقف على ذلك اذاعة العديد من المعلومات والوثائق (١) .

وكان الاصلاح الدينى المضاد الذى لا يقل أهمية عن حركة لوتر وهو (الاصلاح الكاثوليكي) أو انتعاش الكنيسة الكاثوليكية بما أكثرى التاريخ أيضا وادى له أجل الختمات .

وهكذا استفاد التاريخ من هذا الجدل والصراع الدينى - اكبر فائدة سواء من ناحية المادة التاريخية لكثرة ما نشر من وثائق ، أو من ناحية الطريقة فقد شاع النقد والتظليل ولم يعد التسليم بما ينشر أو يكتب - حتى ولو كان صادرا من البابوات انفسهم - دون تمحيص أو مراجعة أمرا مقبولا .

ان الفصل بين الدين والدولة ، والدولة والحضارة باعتبارها السلطات الثلاث الدينية التي تم عن طريقها تطور جميع الأفعال التاريخية - كما يقول المؤرخ بوركار (Burkhardt) من أكثر الأمور أهمية •

فحين انتظمت الممالك في أوربا في القرن السادس عشر وتبلورت فكرة القومية - قامت عصبية وطنية جديدة ، ونشأ شعور قومي ، فقام علماء مؤرخون في دول الغرب يعنون بجمع المصادر عن تاريخ بلادهم بدافع الاعتزاز بالماضي - ولعل من أهم هذه المجموعات التاريخية الوطنية مجلدات تواريخ العصور الوسطى التي بدأ بنشرها في القرن السابع عشر - بعض الرهبان من جماعة القديس مور • وتتابع ظهور الصلاسل التي تتناول تاريخ قطر معين من أقدم العصور في تتابع وتسلسل خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (١) •

وترتب على النشاط العلمي والملاحي الذي صاحب النهضة الأوروبية ، وظهور الدول الوطنية الحديثة وشعورها بالعهدة القومية - ان سمعت الدول التي تم تكوينها إلى بسط سيطرتها على غيرها من الأمم والشعوب التي تأخر تكوينها أو التي كانت - في نظر هذه الدول - أقل حضارة ، وأقل قوة - وكان نشر المسيحية أيضا من الحوافز الهامة وراء هذه الحركة التي أدت إلى الاكتشافات الجغرافية الهائلة وما تبعها من استعمار •

ودخلت البرتغال وإسبانيا ثم هولنده ، وبلجيكا ، وإنجلترا ، وفرنسا في هذا الصراع الاستعماري وترتب على ذلك قيام الإمبراطوريات العظمى في العالم الجديد وفي قارتي إفريقيا وآسيا •

وأدى ذلك لاحتكاك حضارى عجيب بين حضارة أوربا ، وبين هذه الحضارات المتعددة والمتباينة • وتهيأت للمؤرخين بذلك مادة دسمة حفزت خيالهم ، فابتغوا لدراسة عادات وأدب وعقائد ، ونظم الحكم ، وتاريخ هذه الأقطار والشعوب الجديدة •

وكان طبيعياً ان يبرز في هذا المجال العديد من المؤرخين الأسبانيون الذين جذبت انتباههم هذه الأقطار الجديدة بمادات سكانها الغريبة لما الفوه في بلادهم •

كما كانت للتوسع الاستعماري الأوربي آثار اقتصادية خطيرة ، فتدفق الذهب والفضة من مناجم المكسيك وبيرو على أوربا ، كما زرعت مصاحات شاسعة في البلاد المكتشفة (أمريكا على وجه الخصوص) بالطماق ، وقصب السكر ، وتطلب هذا نقل الزنوج الأفريقيين كعبيد إلى الأراضي الأمريكية ، وأحدث هذا اضطرابا اجتماعيا ، وبالأدات في طبقات العمال المهاجرين ، وظهرت طبقات رأسمالية ، وفككت الشركات التجارية المساهمة القائمة على أساس الأسهم تشتري وتبيع في السوق الحرة ولها مجالس إدارة - كشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وشركة الهند الشرقية الهولندية ، ووجدت المصانع التي تمارس عمليات متعددة لم تكن معروفة من قبل . ويجانب هذه الطبقات الجديدة كانت هناك الأرستقراطية الزراعية متمثلة في كبار الاقطاعيين ، وكان لهذه الطبقة تاريخها الطويل منذ العصور الوسطى ، وما تمتعت به من امتيازات عبر هذه العصور .

وتطلعت الطبقات الجديدة إلى الميدان السياسي ، وتأثر تاريخ أوربا بهذه الأحداث فكثر البحث والتفتيش عن أصول وأسس الأسر الحاكمة في أوربا وجقيقة ما تدعيه من حقوق .

وتتميز هذه الحقبة من تاريخ أوربا بظهور (الملكيات المطلقة) فظهر في فرنسا ملوك البربون العظيم . وفي ألمانيا أسرة الهابسبرج ، وفي إنجلترا أسرة تيودور ثم أسرة استيوارت .

واشتعلت في هذا القرن حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ - ١٦٤٨) التي انتهت بصلح وستفاليا المشهور ، في عام ١٦٤٨ .

على أن أهم الأحداث في هذه الفترة من ١٥٥٠ إلى ١٦٥٠ في تاريخ أوربا يمكن أن نجمله فيما يلي :

١ - الصراع بين إسبانيا والأراضي المنخفضة التي كان حكمها قد آل إلى شارل الخامس (١٥١٩ - ١٥٥٦) عن جده مكسليان ، فعمد شارل الخامس إلى أن يتشبه بها حكومة موحدة رغم الاختلافات بين المقاطعات السبعة الشمالية والمقاطعات العشرة الجنوبية . وورث فيليب الثاني (١٥٥٦ - ١٥٩٨) حكم هذه البلاد من والده - لكن سياسته فيها فجرت روح الثورة

التي تزعمها وإليم أوردنج - وانتهى هذا الصراع بقبول إسبانيا الهنئة مع هولندية في عام ١٦٠٩ واعترافها رسمياً في معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ .
بامستقلال هولنده *

• وخلال هذه الأزمة اتبرى عند كبير من المؤرخين للكتابة عن الأصول التاريخية التي تستند حق الأراضي للنخضة في للحكم الذاتي والاستقلال الاقليمي عن حكومة اسبانيا المستبدة أو العكس *

٢ - الصراع بين الملكية وطبقة النبلاء الاقطاعيين في فرنسا ، وفي خلال هذا الصراع اتبرى عدد من الكتاب والمؤرخين للبحث والكتابة في تاريخ الملكية الفرنسية والأصول التاريخية والدستورية التي تستند اليها فخرج لنا العديد من الكتب عن تاريخ هذه البلاد *

٣ - الثورة الدستورية في إنجلترا - وقد برزت هذه الثورة بعد أن وصلت امرة استيورت للحكم في عام ١٦٠٣ م بعد امرة تيوبور وحاول ملوكها أن يقلدوا النظم التي اتبعها كل من لويس الثالث عشر (١٦١٠ - ١٦٤٢) ولويس الرابع عشر (١٦٤٢ - ١٧١٥) في فرنسا *

ويهمنا في مجال الأثر التاريخي لهذا الصراع البرلماني أن كلا من الفريقين المتنازعين - الملوك من جانب ، والبرلمانات من جانب آخر - شحذت رغبة أتباعه ليعزز الحجج والأسانيد التاريخية التي يستند اليها • الملوك يطالبون بسلطات يدعون أنها ثابتة تاريخياً ، والبرلمانات تطالب بحقوق تدعى أنها اكتسبت من زمن وصارت من حقها بلا منازع •

وأعطانا هذا الجدل الذي ثار خلال هذه المعارك الدستورية ، مادة ثابرة للتطور الدستوري في إنجلترا ما كان يمكن أن تحصل عليه لولا هذا النزاع •

وجاء القرن الثامن عشر - فشهد حركة علمية وفلسفية واسعة ذات طابع ثوري أطلق عليها اسم (حركة الاستنارة) - اذ انشئت - تحت رعاية الحكومات ، الأكاديميات العلمية لتبادل وجهات النظر بين المتعلمين (١) •

(١) الأكاديمية - اسم لغابة تقع في الشمال الغربي من مدينة أثينا - ويرجع اسمها للبطال الاغريقي القديم (اكاديموس) ، وكان الفيلسوف افلاطون يلتقي بالقرب منها بتلاميذه ، ومن هنا كانت التسمية لمدرسته وفلسفته •

وكذلك تعمل لنشر أبحاثهم وتشجيع الانتاج بمختلف الوسائل ، فانشئت في انجلترا الاكاديمية الملكية في ١٦٦٢ ، وفي فرنسا عام ١٦٦٦ ، كما انتشرت المكتبات العامة والمتاحف .

ومن الذين برزوا في القرن الثامن عشر في مجال التاريخ - الفيلسوف الايطالي جيوفاني باتستافيكو Gio Vanni Battistavico (١٦٦٨ - ١٧٤٤) فقد نشر في عام ١٧٢٥ كتابه « اصول علم جديد » ذهب فيه الى ان التاريخ فرع من فروع العلوم الانسانية وان منهج البحث التاريخي يقوم على اصول منطقية ، وان كل عصر من عصور التاريخ يمثل تطورا معينا (١) .

اما الكتاب الفرنسيون فقد كانت كتاباتهم وأبحاثهم القيس الذي انار الطريق أمام الفرنسيين وغيرهم فشعروا بالظلم الواقع عليهم ، قهروا مطالبين بحقوقهم المضمومة ، ولذا فقد كانوا القوة الدافعة للثورة الفرنسية . وفي مقدمة هؤلاء منتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ - ١٧٥٥) فلي كتابه « روح القوانين » Esprit des lois درس نظامي الحكم الانجليزي والفرنسي وتطورهما ، ووازن بينهما ، وأشار الى تطور نظام الحكم عند الرومان وغيرهم من الحكومات في الماضي والحاضر - وتوصل في النهاية الى قاعدة هامة وهي « ان الأنظمة السياسية لكي تكون ناجحة لا بد من ان تكون ملائمة للحياة الطبيعية والخصائص العقلية للشعب » .

كما ان جان جاك روسو Rousseau (١٧١٢ - ١٧٧٨) في كتابه « العقد الاجتماعي » Le Contrat Social يذهب الى ان الانسان ولد حرا لكنه تنازل عن بعض جريته وحقوقه للمجتمع ، فالحكومة تستمد قوتها من ارادة الشعب وتبقى مشروعة طالما انها تستند الى هذه الارادة الشعبية ، وهي صاحبة السيادة ، ولها ان تعزل الحكام من مناصبهم متى شاعت ، ولها ان تغيز الحكومة في أي وقت . وبالمطبع تهدم هذه الآراء كل أساس تقوم عليه الملكية المطلقة الاستبدادية ، ومن حق الشعب في ضوء هذه المبادئ ابعاد الحكومة عن الحكم اذا وجد انها خرجت على ارادة الشعب العامة وأخلت بذلك العقد المبرم أصلا بينها وبين الشعب صاحب السيادة العليا في الدولة .

أما فولتير Voitaire (١٦٦٤ - ١٧٧٨) فعالج في كتابه « عصر لويس الرابع عشر » عناصر القوة ، وأسباب الضعف في فرنسا في عهد هذا الملك ، وامتدح ما رآه في إنجلترا من سيادة القانون على جميع الناس دون تمييز ، كما امتدح نظام الحكم في إنجلترا حيث يكتل حقوق كل من الملك ، والأشراف ، والشعب . وتميزت كتاباته بالدعوة لتحكيم العقل ورفض ما لا يقره .

وفي إنجلترا انبرى المؤرخ الانجليزي ادوارد جيبون Edward Gibbon (١٧٢٧ - ١٧٩٤) لتحليل أسباب قوة الامبراطورية الرومانية ، وأسباب اضمحلالها ومقوطها في كتابه المشهور « تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية » .
The History of the Decline and fall of the Roman Empire (7 vols.)

وقد ترجم هذا الكتاب الى العديد من اللغات ، ووجد في مكتبات العديد من الحكام الذين حاولوا الاسترشاد بما جاء فيه . ولا تزال له أهميته وقيمته العلمية للطريقة التحليلية التي سار عليها المؤلف .

وكان من الآثار الطبيعية للمبادئ التي شاعت اثناء الثورة الفرنسية وبعدها شيوع روح النقد والتحجيص والتحليل للمراجع والمصادر والافتكار والآراء واستبعاد ما لا يثبت صحته منها وما لا يساير المنطق والعقل .

ويعتبر المؤرخون الألمان (المدرسة التاريخية الألمانية) - اساتذة مدرسة النقد والتحليل ، فقد تميزت كتابات عدد كبير منهم منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين بالدقة والنقد لكثير مما ظهر من قبل من نظريات وآراء في العصور السابقة .

ظهر ذلك جليا في كتابات وولف الألماني F. A. Wolf في عام ١٧٩٥ الذي وصل به الأمر - كما سبق أن ذكرنا - الى أن نفى ما كان شائعا من أن الألياذة والأوديسة كتبها هوميروس ، وذهب الى أنها من عمل جماعة من الشعراء في فترات زمنية متباعدة .

كذلك كتابات المؤرخ الفيلسوف الألماني هردير Herder الذي كان

معاصرا لروسو وأطلق عليه اسم (روسو الألمان) واشتهر بكتابه عن فلسفة التاريخ (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما كتبه المؤرخ الألماني برتولد نيبور B. Niebuhr (١٧٧٦ - ١٨٢١) عن تاريخ الرومان حلل فيه ما كتبه ليفي Livy وغيره عن تاريخ الرومان ، فأثبت أنه يعيد كل البعد عن الحقيقة . واستطاع نيبور أن يفصل الأساطير فصلا واضحا دقيقا عن الواقع التاريخي (٢) .

كذلك كتابات ليوبولد فون رانكي Ranke L. Von (١٧٩٥ - ١٨٨٦) الذي كتب في تاريخ إيطاليا ، وتركيا ، وإنجلترا ، وفرنسا - بالإضافة الى مؤلفه الجليل عن تاريخ العالم الذي ظهر منه في حياته سبعة مجلدات ، واتمه تلاميذه من بعده ، وكذلك كتابه « التاريخ الألماني في عهد الإصلاح الديني » .



والحقيقة التي تخرج بها من هذا العرض لتطور التاريخ عبر هذه العصور هي أن التاريخ بدأ بالقصص الخيالية التي لا تخلو من الخرافات يتناقلها الأبناء عن الآباء ، وفي العصور الوسطى أصبح دينياً يختص به رجال الكنيسة ، وفي عصر النهضة أصبح وطنياً قومياً يهتم بأثبات الشخصية الخاصة المتميزة لمجموعة من الناس ، أما في القرن الثامن عشر فإن الكتاب من أمثال فولتير وجيرون كانوا يهدفون من كتاباتهم الى غرض سياسي .

وجاء القرن التاسع عشر والتاريخ - رغم ما حققه من تقدم في محاولة البعد عن السرد او الجنوح الى روح النقد والتحليل - كانت لا تزال اقدامه تهتز من حيث الهدف منه ، والاسس التي يجب ان تقوم عليها الكتابة التاريخية أي ما نسميه اليوم (بالمنهج) .

لقد تميز القرن التاسع عشر بظاهرة هامة هي جمع المصادر التاريخية ونشرها . ساعد على ذلك تا اكتسبه الناشرون من خبرة فنية فبدأت تظهر مجاميع علمية هامة قدمت للباحث التاريخي مادة علمية وفيرة . فبدأت تظهر مجموعات من الوثائق التاريخية من مصادر متعددة لا حصر لها بويت

(١) كاسير ، أرفست : مرجع سابق ص ١٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٩ .

وقبضت وفهرست - وشجعت الحكومات والهيئات العلمية هذا العمل (١)

في ألمانيا قامت (جمعية دراسة التاريخ الألماني) منذ ١٨١٩ م بنشر سلسلة من الوثائق تتعلق بتاريخ ألمانيا تحت اسم (أصول التاريخ الألماني القديم)

وفي فرنسا تكونت في عام ١٨٢٤ م (جمعية تاريخ فرنسا) وقد نشرت عدة مجلدات في جواهر التاريخ الفرنسي .

وفي عام ١٨٣٦ شرعت بلجيكا في نشر العديد من الوثائق التي كانت بدار بمفوضاتها - كذلك اسبانيا في عام ١٨٤٢ ، والنمسا في عام ١٨٤٩ م .

ومنذ ١٨٥٧ أخذت (مصلحة المطبوعات الرسمية) البريطانية تنشر ما عرف باسم (تقاويم الأوراق الرسمية) ، كما نشرت سلسلة كبيرة من الوثائق تحت اسم (تواريخ ومذكرات بريطانيا العظمى ، وإيرلنده في المصور الوسطى) وذلك في مجلدات بلغ عددها في عام ١٨٦٩ - ٢٤٤ مجلدا .

كما تشكلت في بريطانيا في عام ١٨٦٩ (لجنة المخطوطات التاريخية) لفحص وفهرسة ونشر مجاميع الوثائق الهامة التي كانت في حيازة الهيئات البلدية وغيرها .

وفي الولايات المتحدة أخذت الجامعات (جامعة هارفارد ، وجامعة كولبيا ، وجامعة متشيجان .. وغيرها) تهتم بنشر ما يتعلق بتاريخ أمريكا من وثائق .

وقد بلغ من ضخامة المادة العلمية المنشورة - في هذا القرن التاسع عشر - أن أصبح المؤرخون غير قادرين على متابعة والاستفادة مما ينشر ، وبالطبع أدى هذا للتخصص النقيض - فتخصص قوم في التاريخ الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي - وهكذا .. وأصبح لفظ مؤرخ بمفهومه العام الشامل غير مستساخ .

(١) هرنشو : مرجع سابق ص ٨٦ وما بعدها .

ويذكر كاسيرير E. Cassirer : ان ما تحقق من تقدم فى علم التاريخ يعتبر من أعظم انجازات عصر الاستنارة ، فقد دفع للبحث فى طائفة جديدة من المسائل التاريخية ، كما دفع الى وضع المناهج المتميزة للمعرفة التاريخية : فالقرن التاسع عشر يعتبر من خصائصه ليس فقط اكتشاف التفكير التاريخي ، بل أيضا تقديم علم التاريخ فى صورة جديدة (١) .

ونشير فى نهاية هذا الفصل الى ما انتهى اليه الفيلسوف الالمانى هيغل Hegel (١٧٧٠ - ١٨٤١) عند حديثه عن فلسفة التاريخ - فنذكر ان التاريخ هو عبارة عن علاقة الدول بعضها ببعض ، وعلاقتها بالروح العام السائدة فى العالم . وتاريخ العالم هو عبارة عن (مجلس قضاء) يملك فيه بصولجان الحكم شعب واحد ، ويظل كذلك الى أن يظهر شعب آخر أقدر منه فينتزع منه ذلك الصولجان وهكذا .

وتاريخ العالم فى نظره - حتى عصره - مر فى ثلاثة مراحل هى (١) :

الشرقى تمثل فى الحاكم المستبد .

اليونانى الرومانى - تمثل فى النظام الذى ساد العالم يومئذ .

الجرمانى : تمثل فى ظهور شخصية الانسان من حيث هو انسان .

ولا شك فى أننا لا يمكن أن نقبل وجهة نظر هيغل فى التاريخ وتصوره له كما هى دون مناقشة لكن على كل حال هى وجهة نظر فيلسوف له مكانته ويمكن أن توضع على بساط المناقشة .

الفصل الثنائي

التاريخ عند العرب

مباحث هذا الفصل :

التاريخ عند العرب في الجاهلية (الأيام ، الانساب ، تاريخ ملوك الحيرة) .

• تطور علم التاريخ عند العرب بعد الاسلام والعوامل التي أثرت فيه .

• المراحل التي مرت بها الكتابة التاريخية عند العرب بعد الاسلام .

• مدارس الحركة التاريخية عند العرب المسلمين وخصائص كل منها :

● المدرسة اليمنية (وهب بن منبه) .

● المدرسة الحجازية في المدينة (عروة بن الزبير ، الزهري) .

● المدرسة العراقية في الكوفة ، والبصرة . ويغداد وأئمة ومؤرخي

القرن الثالث الهجري .

(البلاذري ، والبغوي ، والدينوري . وابن قتيبة ، والطبري) .

● مدرسة التاريخ في مصر والشام .

● مدرسة التاريخ في الأندلس .

• المؤثرات التي أثرت في الكتابة التاريخية عند العرب .

• أهم المواضيع التي تناولها المؤرخون العرب في كتاباتهم .

المنما بتطور علم التاريخ وتتبعنا المراحل التي مر بها هذا التطور عند الأوروبيين والمؤثرات التي أثرت على الكتابة التاريخية عندهم .

والأسئلة التي تفرض نفسها علينا بعد ذلك هي :

هل كان للعرب في الجاهلية اهتمام بالتاريخ ؟

وما التغيير الذي طرأ على الكتابة التاريخية بعد الاسلام ؟

وما الأطوار التي مر بها هذا التغيير ؟

وما العوامل التي أثرت في الكتابة التاريخية ؟

كل هذه وأمثالها أسئلة لا يد أنها تجول بالأذهان لنترك موقفنا من هذه الحركة العلمية ودورها فيها .

كان العرب قبل الاسلام يتحدثون الأوقات بالنجوم والأهلة ، كما كانوا يؤرخون بالأحداث العظيمة الحاسمة ، والوقائع المشهورة - كصام الفيل ، وبناء الكعبة ونحوها - وظل الأمر كذلك حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فامر أن تتخذ الهجرة النبوية بداية للتاريخ العربي فمضى الأمر على ذلك حتى يومنا هذا (١) .

ولا نكاد نجد للعرب في الجاهلية تاريخا مدونا باستثناء بعض النقوش على المباني القديمة في اليمن التي تحكى أخبار بعض ملوكهم وشؤونهم العامة. وكذلك أخبار ملوك الحيرة المسيحيين التي كانت مودعة في الأدبرة والكنائس ببلادهم (٢) .

لكن العرب كانوا يتذكرون أيامهم عن طريق الرواية الشفوية ويقفخرون بما أحرزته أجدادهم من انتصارات ، وذلك عن طريق الشعر أو النثر . وبالطبع اصطبغت أمثال هذه الأشعار بالمغالاة .

كذلك كانت القبائل تتفاخر بنفسها ، وتحرص على أن تلقنه لأطفالها

(١) الجيادى ، عبد الحميد : علم التاريخ ص ٣٤ .

(٢) فصل اضافته للترجمة العربية لكتاب هرنشو السابق الإشارة إليه) .

(٣) الطبرى تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٣٧ .

فتتناقله الأجيال . وكان ذلك مصحوباً بالطبع بقصص البطولات المرتبطة
بهذه القبائل ، وقد ظلت للنسب أهمية بعد الإسلام للاستعانة بها في تقرير
المطامير للجند .

وهكذا وصلتنا روايات عن عرب اليمن وملوكهم . فقد أورد هؤلاء
الرواة قصصاً خيالية لتاريخ اليمنيين نسبوا فيها اليهم أمجاداً في الحرب ،
وفى الأدب ، واللغة . . . ليدلوا على أنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم
أو أنهم لا يقلون عنهم في ذلك .

كما وصلتنا أخبار عرب الشمال مما هو محفوظ في نقوش وكتب كنائس
واديعة الحيرة . بالإضافة إلى الروايات الشفوية عن غزواتهم ومعاركهم
(الأيام) وحول أمسابهم .

ويلاحظ أن الروايات القبلية حول غزوات العرب ومعاركهم والتي أطلقوا
عليها لفظ (الأيام) كانت في البداية شفوية بصورة نثرية ، لكن تخللها
الشعر وأعطاهم أهميته ، وكانت تصلهم في المجالس القبلية المسائية ، وبقيت
كذلك بعد ظهور الإسلام وحتى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حين
جمعت الروايات وصنفت ، وهكذا صارت (الأيام) جزءاً من الأخبار
التاريخية ، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين ،
والمؤرخين .

ويذكر حاجي خليفة « أن علم أيام العرب هو علم يبحث فيه عن الوقائع
العظيمة ، والأحوال الشديدة بين القبائل . . . وينبغي لذلك أن يجعل فرعاً من
فروع التواريخ » (١) .

وكانت للعرب قبل الإسلام صلاتهم ببعض الشعوب المجاورة لهم كالروم
والفرس . سواء بسبب الاحتكاك التجاري أو الحربي . لذلك كان طبيعياً أن
تتناول قصصهم ورواياتهم شيئاً من تاريخ هذه الشعوب وأخبار ملوكهم .

فلما جاء الإسلام ، وقامت الدولة العربية - أصبحت الحاجة ماسة

(١) خليفة . حاجي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٢٠٤ .

لتدوين التاريخ : واتسع هذا العلم وتطور حتى أصبح من أهم العلوم عند العرب - وذلك لأصحاب :

١ - السيرة والمغازي :

- عنو المسلمون بجميع الأحاديث النبوية ليفسروا بها القرآن . وليسترشدوا بها في معرفة أحكام الدين ، وكانت هذه الأحاديث يتعلق بعضها بحياة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والغزوات ، وما جرت خلالها ، ولذلك وجد المتخصصون في رواية الحديث (المحدثون) ، وكانت لهم منزلة كبيرة عند الناس ، فهم الذين يحدثون الناس عن أقوال الرسول وأفعاله ، وهذه لها أهمية عند عامة الناس . وعند الحكام للاعتماد عليها في التشريع ، وفي تنظيم الإدارة ، وفي شؤون الحياة عامة ، فهي أصل من أصول التشريع في الإسلام .

• كذلك جعلت الفتوحات الكبرى ومغازي الرسول ، وغزوات أصحابه - العرب يحسون بأن لهم دورا تاريخيا خطيرا يستحق التسجيل والتعجيل ، كما كانت مواضع محببة في مجالس للسمر .

٢ - رغبة المسلمين في فهم ما جاء في القرآن والسنة - من اشارات الى الامم الغابرة . وعلى ذلك كان الاهتمام بالرواية التاريخية التي يتناول أخبار الامم القديمة . وتاريخ الانبياء السابقين ، وأصول الجاهلية . وحوادث الاسلام .

وقد اشتمل القرآن والسنة على كثير من أخبار اليهود والنصارى الصائبين والمجوس ، وكان تعرضه لها مختصرا ، فأراد المفسرون أن يتوسعوا في تفسير ذلك ، فكان مجالهم أخبار اليهود والنصارى وغيرهما مما ورد في التوراة والانجيل وشروحها وحواشيها والطبرى في تاريخه ، تاريخ الامم والملوك ، يفترض لذلك ويهتم بالتعريف برواة الأخبار لكل أمة من الامم التي عرفها العرب .

وهذه الروايات الشعبية هي مزيج من القصص الشعبي والاسرائيليات

وممن اشتهر من الرواة وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ - ٧٢٢ م) وستفصل ذلك عند الحديث عن مدارس التاريخ العربي (١) .

٢ - رغبة الخلفاء في الاطلاع على سياسات الملوك ليعسرفوا كيف يسومون شعوبهم ، خاصة بعد أن تعددت الشكالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها في الدول العربية وتشعبت المشكلات شتونها .

وقد نكر المسعودي ان معاوية كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر الى ثلث الليل يستمع الى أخبار العرب وأيامها ، والمجم وملوكها ، وسياساتها لرعيتهما ، وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة » ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارهم ، والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون . فتمر بسمعه كل ليلة جملة من الأخبار والسير والاثار وأنواع السياسات » (٢) .

٤ - تقدير الجزية والخراج : رغبة الولاة في معرفة ما فتح من الاقطار صلحا ، وما فتح عنوة ، أو بمهد . فقد كان النظام المالي مع هذه الاقطار من جزية وخراج يختلف تبعا لذلك ، وقد دعا هذا مؤرخى البلدان أن يعقروا الفصول الطويلة يبينون فيها حال البلد في الفتح . مثال ذلك « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، و « فتوح البلدان » للبلاندي (٣) .

٥ - نظام العطاء والجند : كان مرتبسا حسب الانساب ، وحسب الاسبقية الى الاسلام .

(١) الامرائيليات - يقصد بها الاحاديث الاسرائيلية المتعلقة بأحداث جاء ذكرها في القرآن الكريم ويشير اليها ابن كثير . ويذكر انها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد . ويقسمها الى ثلاثة اقسام :

أحدها - ما علمنا صحته مما يابئنا مما يشهد له بالصق فذاك صحيح .

الثاني - ما علمنا كذبه مما عتقنا مما يخالفه .

الثالث - ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل . ولا من هذا القبيل - فلا تؤمن به ولا تكذبه . ويجوز حكايته ، ومثال ذلك ما لا فائدة عنه تعود الى أمر ليني - مثل أسماء أصحاب الكعب . وعصا موسى من أي الشجر كانت .

اسماعيل . آية الفداء . بن كثير القرطبي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ج ١

ص ٤٠ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٣ ص ٢٢ .

(٣) أمين . أحمد : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٢٩ .

وهكذا استلزم تنظيم شؤون الدولة المالية الاهتمام بهذا النوع من التاريخ فظهرت كتب (الطبقات) .

٦ - احتكاك العرب بشعوب وأمم لها تاريخها ، فكان من الطبيعي أن يكون للعرب تاريخهم . يظهرون للشعوب الأخرى أنهم وإن كانوا جديدي العهد بالحضارة لكنهم قادرين على أن يسايروا الحضارات الأخرى ، وأن يستوعبوا منها ما يلائمهم بل وأن يتفوقوا عليها .

٧ - ازدهار حركة الترجمة والتأليف عامة باتساع الدولة العربية وتطورها وتشجيع الخلفاء لهذه الحركة العلمية ، فكان طبيعيا أن يكون للتاريخ حظه من هذا التطور والتقدم .

٨ - حوادث الخلاف بين المسلمين ، كالذى كان بين المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي (ص)، والخلاف بين الأمويين والشيعة ، وبينهم وبين الخوارج . كل هذا أدى للكتابة لتكون مجالا يدمج به كل فريق عقائده في هذه المسائل السياسية .

على أن الكتابة التاريخية عند العرب بعد الاسلام مرث في أطوار مختلفة نجملها فيما يلي :

أولا - القصص والاساطير الشعبية :

هذه المرحلة امتداد لما كان سائدا قبل الاسلام ، وقد إشرنا لذلك من قبل . وكان طبيعيا أن يستمر هذا اللون من الرواية التاريخية عن أيام العرب وحروبهم وعلاقاتهم بالشعوب التي اتصلوا بها فقد ظل القصص (الإخباريون) يرددون هذا النوع من القصص المبالغ فيها ، وهي لا تعتمد كثيرا على توثيق تاريخي لما ترويه من أحداث لكنها تتناول الحروب الهامة والأحداث الفاصلة دون اهتمام بالربط التاريخي .

وقد وفرت هذه القصص مادة للشعراء - لكن لم يكن معقولا أن يستمر الحال على هذا الماتوال بعد أن تعددت أحداث الجزيرة العربية فأصبح الأمر

يستلزم نقداً أكثر وريثاً للأحداث وتركيزاً على الهام منها المرتبط بمصير العرب وبالبين الجديد .

ثانياً - مؤرخو السيرة والمغازي :

اشتهر عدد من الكتاب بالتأريخ للسيرة النبوية ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغزوات اصحابه . ولعل أول ما ظهر في هذا الشأن هو كتاب موسى بن عتبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، ثم كتاب محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ الذي اختصره عبد الملك بن هشام ، ومن بعد ذلك مغازي الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم طبقات ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ (١) .
وستشير لعدد آخر من كتاب السيرة والمغازي فيما بعد .

لكن لم تقتصر كتابات هؤلاء على السيرة النبوية ، أو ذكر الغزوات فقد كان للكاتب عادة حتى القرن الثاني الهجري يبدأ بالحديث عن اخبار الماضي ، ثم يتعرض لاحوال السيرة النبوية ، ثم يختم بالحديث عن اخبار الدولة الاممية .

وهلكت كتابات هؤلاء المؤرخين متأثرة بالتيار القصصي السالف الذكر .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل في هذه السيرة - في نظرم - دور البطل في قصص الجاهلية .

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية في هذه المرحلة - إستمرار لما كان يوجد في الجاهلية . ويمكن أن نقول أن هذه الكتابة حتى هذه المرحلة لم تكن قد تأثرت بعد بمؤثرات خارجية بل كانت عربية خالصة .

ولذا تظهر فيها الخصائص التي اسماها في الجاهلية من الاهتمام (بالأيام) و (الانساب) . ولعل ذلك يتمثل خير تمثيل في كتابات محمد بن السائب الكلبي المتوفى عام ١٤٦ هـ (٢) .

(١) الكلاعي . الاكتفاء في مغازي رسول الله والخلافة خلفاء ج ١ المقدمة ص ١ .

(٢) نصار ، حسين : مرجع سابق ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

مُلَاحَظًا : منذ أوائل القرن الثالث الهجري توفرت المصادر الأصلية للمادة التاريخية لخدمة المؤرخين العرب - فقد استقرت دواوين الدولة العباسية (ديوان الانشاء ، وديوان الجند ، والخوارج ، والبريد ...)

وتيسر للمشتغلين بالتساريخ أن ينتفعوا مما في هذه الدواوين من المراسلات الرسمية أو العقود ، أو الإحصاءات .

كما أن الأحداث نفسها من ولاية كبار رجال الدولة ، أو الوقائع والغزوات أو أعمال القضاة ، أو غير ذلك - وفرت مادة علمية نفيسة للمكتاتبة التاريخية .

وقامت في هذا العصر حركة النقل عن اللغات الأجنبية كالفارسية ، والمريانية ، واليونانية ، واللاتينية .

بدأ هذه الحركة - حركة الترجمة - ابن المقفع بترجمة كتابي (خبر نيامة) ، و (آيينامه) في تاريخ الفرس . وكذلك البلاذري المتوفى عام ٢٧٩هـ الذي ترجم إلى العربية عهد (إردشير) (١) .

على أن سهولة النقل التي توفرت بين أنحاء الدولة الإسلامية في ذلك العهد - أتاحت فرصة للمؤرخين ، وطلاب العلم للرحلة لمشاهدة عجائب البلاد وأثارها ، والأخذ عن السيوخ والمشهود لهم بالثقة والصدق .

وعلى هذا يمكن أن نجعل مصادر التاريخ التي أخذ منها مؤرخو هذه الحقبة في أربعة :

(أ) كتب السيرة والأخبار .

(ب) السجلات الرسمية .

(ج) الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية

(د) المشاهدة والمشافهة .

(١) العبادي . عبد الحميد : مرجع مطابق ص ٤٩ .

(عن الفهرست ص ٦٤ ، ١٧٢) .

وأخيراً : لما تعرضت الدولة العباسية للحركات الانفصالية ، وتذاعت الوحدة السياسية للدولة وانفصلت عنها في الشرق والغرب - دولات متعددة تأثرت الكتابة التاريخية بهذا التفرق السياسي الذي أصاب الدولة .

فيبعد أن كانت حاضرة الخلافة هي مركز الحركة الثقافية ومحورها - تعددت المراكز ، وتنافست بغداد ، وأصفهان ، وحلب ، والحواضر المصرية ، والقيروان ، وقرطبة وغيرها .
وكثر العلماء في الأمصار المختلفة ، وثرثب على ذلك التركيز على (التواريخ المحلية) . فكتب ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) كتاب فتوح مصر والمغرب ، والكندي (ت ٢٥٠ هـ) كتاب ولاية مصر وقضايتها ، وابن عسكرو (ت ٥٧١ هـ) تاريخ دمشق ، وابن عذاري كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب .

على أن ذلك لم يحل دون الاستمرار في تدوين سلاسل التواريخ العام للأمة الإسلامية كلها (١) .

- فكتب المسعودي (ت ٢٤٦ هـ) مروج الذهب وأخبار الزمان .
- وابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ) - تجارب الأمم .
- وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) - الكامل في التاريخ .
- وأبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) - المختصر في أخبار البشر .
- وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) - العبر وديوان المبتدأ والخبر .

خامساً : تعرض العالم الإسلامي بعد ذلك للأطماع الأجنبية ، فاضلوا عليه الصليبيون في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، كما اغار التتار على عاصمة الخلافة العباسية ودمروها ، هذا بالإضافة إلى ما أصاب الخلافة الأموية في الأندلس من انقسام فقامت (ممالك الطوائف) بها ، ثم أخذت تسقط الواحدة تلو الأخرى حتى لم يبق للمسلمين في الأندلس (فردوس العرب المفقود) إلا غرناطة التي حكمها بنو الأحمر حتى سقوطهم في يد الأسبان في عام ١٤٩٢ م .

وآثرت كل هذه الأحداث بلا شك في الكتابة التاريخية عند العرب -

(١) العبادي ، عبد الحميد : مرجع سابق ص ٤١ .

خائبر عدد من المؤرخين يتناولون بالتعليك والتحليل - عوامل قيام الدول
واسباب قوتها - وعمل انحلالها وسقوطها .

ولا شك في ان هذا الاتجاه ساعد المؤرخين العرب على الخروج عن
المألوف - سواء في سرد الأحداث أو نكرها منسوبة لصدها دون تحليل أو
تعليق - الى ان يفتوا من الأحداث موقفا فلسفيا عميقا ليصلوا الى اسبابها
ويحللوا النتائج التي قرئت عليها .

سأبينا : على ان القصور الهام في التدوين التاريخي عند العرب
يتمثل في النظرة للتاريخ على انه علم له اصوله في البحث والكتابة .

ويعتبر ابن خلدون في مقدمة الذين نهجوا هذا النهج ونادوا بهذا المبدأ .

فقد كتب في مقدمته في فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، وأشار الى
أخطاء المؤرخين فحذر من الوقوع تحت تأثير النقل من الأقدمين - دون مراعاة
لأصول البحث العلمي التي شرحها وأوضحها في مقدمته (١) .

(١) ولد ابن خلدون ، ابن زيد عبد الرحمن بن محمد - في تونس ، وتولى عدة
مناصب في القصور الملكية بفاس ، وغرناطة ، ووجيه ، وتونس - وتوفي بالقاهرة
في ١٩ مارس ١٤٠٦ م حيث كان يعلم في الأزهر الشريف - وقد قضى في مصر مدة
بلغت ٢٤ عاما وكتابه « العبر وديوان اليكنا والخير » قسمه الى ثلاثة اقسام :
القسم الأول - (المقدمة) : عرض فيها الأصول العامة لعلم التاريخ ، والامس
الفلسفية لتاريخ الشعوب الاسلامية .

القسم الثاني : يتناول تاريخ الشعوب العربية وما جاورها من الامم الشهيرة .
القسم الثالث : يتناول تاريخ البربر والامم الاسلامية في شمال افريقيا .
وقد ترجمت مقدمته لعدة لغات ، وترجمت الى التركية مرتين - الاولى طبعت
بالقاهرة عام ١٧٣٦ م ، والثانية ترجمها جودت باشا مؤرخ الدولة العثمانية - وطبعت
بالاستانة سنة ١٢٣٧ هـ ، كما ترجمها الى الفرنسية البارون (ده سلاز) ، وتوجد
نسخة من المقدمة بدار الكتب المصرية عليها تصحيحات بقلم ابن خلدون نفسه ، كما
توجد في (فاس) بالمغرب نسخة أخرى موهرة بخطه .
ولن يبريد المزيد عن ابن خلدون ومؤلفاته - انظر :

بدوى ، عبد الرحمن : مؤلفات ابن خلدون (القاهرة ١٩٦٢) .

كذلك اتجه هذا الاتجاه • فى إبراز قيمة التاريخ كعلم - السخاوى فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » - وهو عبارة عن مقالة طويلة عن التاريخ وفضله كعلم ، تحدث فيها عن علم التاريخ لغة واصطلاحا ، وبين فائدته ونكر بعض المصنفات التاريخية وأربابها ومتى بدأ الاهتمام به ، ولم من ذم التاريخ (١) •

مدارس الحركة التاريخية عند المسلمين (٢) :

فى ضوء ما تقدم نجد أن هناك خمسة مدارس واضحة المعالم فى تطور الحركة التاريخية عند العرب •

أولاً - المدرسة اليمنية :

وقد اهتمت بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن • والتاريخ فيها قصص واساطير •

فهى استمرار للتأريـر الجاهلى ، والمؤرخون هنا قصاص شعبيون أو لخباريون يريدون الروايات التاريخية كما هى دون محاولة جادة لتقديمها أو تخليصها من الخرافات •

ففيها تبدو بوضوح العسمات التى ذكرناها عن الروايات اليمنية فى طابعها الأسطورى القصصى فهى مزيج من القصص الشعبى ، والاسرائيليات ، وفيها تمجيد لعرب اليمن ، كما أنها فى أسلوبها لا تخرج كثيرا عن أسلوب قصص أيام العرب •

والبعض ينظر لرواد هذه المدرسة على أنهم قصاص أكثر منهم مؤرخين •

وفى مقدمة هؤلاء وهب بن منبه ، وعبيد بن شريح •

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية -

وقد صدرت منه طبعة فى دمشق ١٢٤٩ هـ •

(٢) مدرسة هنا تعنى بها الحركة العلمية لا البناء الخاص بالتعليم •

وسنشير - لوهب بن منبه - بشيء من التفصيل باعتباره يمثل بحق هذه المدرسة اليمنية ..

ورغم أن البعض زج يوهب بن منبه في نطاق أهل المغازي - لكن وضعه الحقيقي في نطاق هذه المدرسة اليمنية بطابعها الذي اشتهرت به من اهتمام بالمقصص والاسرائيليات (١) .

ولد وهب بن منبه في اليمن ، وهناك اختلاف في تاريخ ولادته ، وفي تاريخ وفاته . لكن لعل الأرجح أنه ولد في سنة ٢٤ هـ (٦٥٤ - ٦٥٥ م) كما يذكر الدوري (٢) .

ويصفه كل من ياقوت ، وابن خلكان ، والذهبي (بصاحب الاختصار والقصص) .

وهو يستقى موارده من الروايات الشفوية ، ومن كتب الأنبياء وغيرها ، فقد اشتهر بسعة الاطلاع .

فقد روى قطعاً من العهد القديم (التوراة) ، خاصة من المزامير وسفر التكوين ، ولعله أخذ أيضاً من الانجيل معلومات عن ميلاده المسيح وحياته ، وعن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن بالذات .

ونسبت اليه العديد من المؤلفات ، رغم أنه لم يصلنا منها الا القليل من المقتبسات التي اقتبسها بعض الكتاب عنه مثل الطبري ، وابن قتيبة وغيرهما .

ومما ينسب اليه انه ألف « احاديث الانبياء ، والعباد ، واحاديث بني اسرائيل » و « مبعث الخلق » و « الاسرائيليات » وكتاب « الملوك المتوجة من حمير وابخارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم » .

ويبدو من هذا انه اهتم بالكتابة عن - خلق السموات والارض ، وقصص الانبياء ، وخاصة من بني اسرائيل .

(١) الدوري ، عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠٢ .

(٢) نفس المرجع نفس الصفحة .

وبالإضافة لهذا ألف وهب في المغازي - لكن لم يشر لكتابات هذه في كتب السيرة - مما يجعلنا أن نضعه في مكانه الصحيح باعتباره من كتاب الأقاصيص والأساطير اليمينية ، ولأنه امتداد لفترة ما قبل الإسلام ، وأن له آثاره التي امتدت لفترات تالية ، فقد أدخل (عنصر القصة) في حقل التاريخ الإسلامي . ولا يخفى علينا أن القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأوائل هو - كما قلنا - امتداد للقصص القديم في أسلوبه وطريقته .

فدور وهب بن منبه وأمثاله إذن هو أنهم كانوا أول من وضعوا هيكلًا - وإن كان قصصيا - لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام ، وقد تأثر بهم بعض المؤرخين التاليين .

ولم يكن للاختيار والروايات في البداية أسانيد ، بل استمرت كجزء من الثقافة العامة وهي تهم الجميع ، وكان رواية الشعر أو مضايخ القبايل هم الرواة الأساسيون لها ، وهكذا استمر هذا الوضع إلى فترة في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام - لكن ظهور الإسلام ، واستقرار القبائل في الأمصار أدّى إلى تغيير كبير خاصة حين بدأ الاهتمام بالكتابة والقراءة وحدثت ثورة ثقافية كان للتاريخ بالطبع نصيبه فيها .

هذا وقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملاً رسمياً يمهّد به إلى رجال رسميين يعطون عليه أجراً - فقد ذكر الكندي في كتابه (القضاة) أن كثيراً من القضاة كانوا يعيّنون أيضاً (قصاصاً) ، وكان القاضي يجلس في المسجد وحوله الناس فيذكرونهم بأهـ ويقص عليهم حكايات وقصصاً عن الأمم الأخرى وهكذا (١) .

ثانياً - المدرسة الحجازية (في الهيئة ومكة) :

هي مدرسة كتاب السيرة والمغازي (٢) .

(١) أمين ، أحمد : فجر الإسلام ص ١٩٠ وما بعدها .
(٢) أصل المغازي - جمع مغزى ، ومغزاه وكلاهما معناه موشع الغزو ، أو الغزو نفسه . ثم توسعوا في معناها فاطلقوها على مناقب الفزاة وغزواتهم ، ثم استعملوها استعمالاً واسعاً للدلالة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى جعلوها مرافقة للسيرة - أنظر :

أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ج ٢ ص ٣١٩ .

الذين اهتموا بفرض الظروف والاحداث التاريخية الهامة في حياة
الرسول والمسلمين الاولين ..

وقد اعتمدوا على شيئين :

الاول - ما كان دائرا بين العرب من اخبار الجاهلية .

الثاني - احاديث رواها للصحابه ، والتابعون ، ومن بعدهم عن حياة
النبي (ص) ومن ولانته وثقاته ودعوته الى الاسلام ، وجهاده مع المشركين ،
وغزواته . وعلى الجملة اخباره الى حين وفاته .

ويقسم الدكتور احمد امين مؤرخ السيرة والمغازي حسب المصادر التي
استقوا منها معلوماتهم الى ثلاث طبقات (١) .

وقد سار هؤلاء الكتاب على نمط علماء (الحديث) في كتاباتهم ، من
الاعتماد على الاسانيد .

ومن الطبيعي ان تكون المدينة هي اهم مصدر للمغازي فقد وقعت اكثر
الاحداث تحت اعين اهلها .

وشملت كتاباتهم ما اتصل بعهد الرسول ، والخلفاء الراشدين والامويين
ايضا - وسنشير بايجاز لاثنتين من أبرز المنتمين لهذه المدرسة وما تناولته
كتابتهما ، لالقاء الضوء على هذه المدرسة التاريخية واهتماماتها ، واتجاهات
اتباعها - وهما عروة بن الزبير ، وتلميذه أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله
ابن عبد الله بن شهاب الذي اشتهر باسم الزهري (٢) .

اما عن عروة بن الزبير - فهو ينتسب من جهة الاب والام لاسرتين من

(١) أمين ، أحمد : فحوى الاسلام ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) من يريد تفصيلات اكثر عن هذين الفقيهين يرجع الى :

(١) الدررئ : مرجع سابق .

(ب) هوروقتش ، يوسف : المغازي الاول ومؤلفوها (تعريب نصار ، حسين -

القاهرة ١٩٤٩) .

إشراف قريش ، فأبوه القائد العربي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر (١) -

ولد سنة ٢٣ هـ (٦٤٢ م) وتوفي سنة ٩٤ هـ (٧١٢ م) ونشأ في المدينة وزار مصر وأقام بها سبع سنين ، كما زار دمشق عدة مرات . كان زاهداً في الدنيا ، محباً للعلم ، أمضى حياته بين الدرس والتدريس حتى أصبح من فقهاء المدينة ، ولم يَزِجْ بنفسه في الأحداث السياسية في زمنه ، ومع أنه كان ضد سياسة الأمويين فقد أحترموا لعلمه فكانوا يسترشدون بعلمه ومعرفته فيما يتعلق بالأحداث الخاصة بفترة الرسالة .

فقد أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان يسأله عن حوادث تتعلق بالرسالة وقد ذكر الطبري بعضها (٢) .

وقد اهتم عروة في كتاباته بالاسناد في غالب الأحيان وهذا يعطى لكتاباتاه أهمية خاصة . لكنه لم يلتزم بهذا في كل رواياته .

وعلى كل لم تكن قواعد الاسناد قد تبلورت وثبتت بعد في زمنه (٣) .

وقد قال عنه تلميذه الزهري فيما بعد « كان عروة بحرا لا يكره الدلاء » (٤) .

ولعل هذا الوصف ينطبق فعلا عليه . وقد تناول بالكتابة الأحداث المتعلقة بـ :

(١) انظر نسبه كاملا في :

البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٧١ .

(٢) عن صلته بالامويين - انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٢٠ .

(٣) الاسناد - يقصد به ذكر سلسلة الرواة أو المحدثين أي مصدر المعلومات .

فقد أدخل هذا عنصر البحث والتحري والتتقيق في الروايات ، وبالطبع كان أساسا هاما للرواية التاريخية والبحث السليم .

(٤) الاغانى (طبعة دار الكتب) ج ١ ص ٨١ ، ٩٣

٣ - بحث الرسول ﷺ ونزول الوحي ، وبداية الدعوة وموقف قريش من المسلمين .

٢ - الهجرة الى الحبشة وأسبابها .

٢ - ازدياد مقاومة قريش للدعوة ، وهجرة الرسول (ص) الى المدينة .

٤ - ثم تحدث عن المغازي .

٥ - ورسائل النبي الى الجهات المختلفة .

٦ - الفترة الأخيرة من حياة الرسول .

ولم يقتصر عروة على المغازي بل تعرض لفترة الخلفاء الراشدين ، فتحدث عن حروب الردة في خلافة أبي بكر . وعن حروب الشام ، وعن مواضع أخرى جاءت في رسالة عبد الملك بن مروان له .

ويختلف تناولها لهذه الأحداث ، فاحيانا لا يعدو الأمر اشارات عابرة ، وفي بعض الأحيان يأتي بتفاصيل .

واتبع عروة أسلوب أهل (الحديث) في كتابته ، ومكانته منزلته ، وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات والمعلومات من منابعها .

وقد أورد بعض كتب الرسول الى الجهات المختلفة ، وفي هذا اتجاه الى ما عرف فيما بعد (بالتوثيق) في الكتابة التاريخية . كما استشهد بالآيات القرآنية ، وكان أحياناً يورد بعض الشعر على لسان المشركين في الأحداث .

ويتميز أسلوبه بالسلاسة ، والبعد عن المبالغة ، وكان يمهّد للحادثة بمقدمة .

وهكذا جمع عروة ما هو متداول عن الأحداث التاريخية المرتبطة بالمغازي وأسهم في وضع بعض الاسس التي تقوم عليها الدراسة التاريخية لهذه الفترة الهامة في تاريخ الاسلام .

وقد أورد كل من الطبري (١) ، والبلاذري (٢) وكذلك الذهبي (٣)

(١) تاريخ الامم والملوك

(٢) فتوح البلدان

(٣) تراجم رجال روى عنهم محمد ابن اسحق .

بعضاً مما كتبه عروة عن المغازى . أما عن الزهرى ، أبى بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب - فهناك أيضاً اختلاف فى تاريخ ولادته . لكن يرجح أنه ولد عام ٥١ هـ (٦٧١ م - وتوفى عن ٧٢ سنة فى عام ١٢٤ هـ (٧٤٢ م) . وقد أخذ عن أعلام الحديثين الذين يقول عنهم (انهم بحور للعلم) ، ومنهم استاذ عروة بن الزبير .

ويذكر انه قام يبحث واسع فى المدينة عن أحاديث الرسول والصحابة ، ساعده فى ذلك مكانته الاجتماعية . وذاكرته القوية ، واستعانته بالكتابة فقد كان يكتب كل ما يسمع من أحاديث .

ويقال انه كان يقضى المجالس . ويحضر الأشخاص لهذا العرض . ذكر عنه الذهبى : ، انه كان يأتى المجالس من صدورهم ولا يأتونها من خلفهم ، ثم يأتى الدار من دور الانصار فلا يبقى شاباً ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة الا ساءلهم ، حتى يحاول ربات المجالس (١) .

واشتهر الزهرى كمحدث وفقهه بالإضافة الى كونه مؤرخاً - قال عنه الطبرى : « كان محمد بن مسلم الزهرى مقدماً فى العلم بمغازى رسول الله (ص) ، زأخيار قريش ، والانصار . ورواية لأخبار رسول الله (ص) وأصحابه » (٢) .

وقد وصلتنا مقتطفات من معازى الزهرى فى ابن اسحق ، والواقدي ، والطبرى والبلاذرى .

وقد حاول الدورى أن ينظم هذه المقتطفات ، وتسلسلها تاريخياً ليصل الى تصور تفرييى لهذه المغازى (٣) .

ويتضح هنا أنه كتب عن :

بداية الخليقة ، وأخبار الانبياء الماضين . والاحداث التى شهدتها النبى

(١) تراجم رجال روى عنهم محمد ابن اسحق ص ٦٩

(٢) الطبرى : المنتخب من كتاب نيل المذيل (الطبعة الحسينية) ص ٦٧

(٣) الدورى : مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها

قبل الإسلام ، وانتقل إلى دور الرسالة فتحدث عن الفترة المكية من بدء نزول الوحي إلى بيعة العقبة ، ثم الفترة المدنية من الهجرة فالمغازي والسرايا ، ثم زسائل وسفارات الرسول إلى هرقل وكسرى ثم يشير إلى حجة الوداع ، والمرض الأخير للرسول ووفاته وأثر ذلك ،

وهكذا أعطى الزهري أطارا واضحا للسيرة النبوية . وقد رأى بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث ، وذكر بعض التواريخ - مثل تاريخ الهجرة ، وتواريخ بعض الغزوات .

وهو يهتم إلى حد كبير بالاسناد ، وقد خطا خطوة هامة نحو الأخبار التاريخية المتصلة - حين اتخذ (الاسناد الجمعي) ، وذلك بجمع عدة روايات في قصة متسلسلة يتقدمها رجال الاسانيد ، وهو كذلك يكثر من ذكر الآية القرآنية التي تتصل بما يورد من أخبار .

واسلوبه يتصف بالصراحة والبساطة ، والتركيز . وقلما يلجأ للمبالغة ، وكان يعتمد على (الأحاديث) ، بينما نظر للقصص الشعبي على أنه مادة للتسلية فحسب (١) .

ويورد الزهري أحيانا بعض الأشعار المتعلقة بالأخبار التي يذكرها . وبالإضافة إلى المغازي - كتب الزهري في : الانساب ، وتاريخ صدور الاسلام ، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين فتحدث عن اختيار أبي بكر خليفة ، وعن فترة خلافته ، كما تحدث عن انشاء ديوان الجند في عهد عمر بن الخطاب .

وعن بعض الأحداث في عصره ، وعن خلافة عثمان ، ثم تحدث عن الفتنة والانقسامات في المدينة ، فنهاية عثمان وانتخاب علي ، وعن النزاع بين علي ومعاوية ووقعة الجمل ، ومعركة صفين ، والتحكيم ، والأحداث التي أدت إلى تنازل الحسن بن علي - ويبدو أنه لم يعالج الفترة الأموية .

وهكذا تظهر أهمية الزهري - بالإضافة إلى ما كتبه عن السيرة النبوية - في اللقاء الضوء على الأحداث الهامة الخاصة بظهور الأحزاب السياسية ،

(١) الذهبي - مرجع سابق ص ٧٢ ، ٧٤ .

والجبل بينها فيما يتعلق بمسألة الخلافة - هل هي بالانتخاب أم الوراثة ،
والنظام الإداري ، والأحداث الخاصة بالنزاع بين علي ومعاوية وغير ذلك من
أحداث الأمة الإسلامية في ذلك العصر .

وهو بذلك يعرض لنا الأحداث الهامة - على الأقل - من وجهة نظر
رجل من البارزين من رجال المدينة .

ويقال أن الزهري ذهب إلى دمشق لفترة في زمن يزيد بن عبد الملك ،
وأن هشام بن عبد الملك جعله مؤبداً لولده ، وطلب إليه أن يكتب الحديث
لفائدة أولاده ، وخصص كاتبين ليصحباه ويحضرأ دروسه ، وليسودنا
أحاديثه ، وقد وجدت جل تأليفه في خزانة كتب البلاط الأموي ، (١) .

وهكذا يعتبر الزهري أول من وضع الخطوط الرئيسية لكتابة السيرة
النبوية على أساس دراسة جدية ، كما ينكر له دوره في ضبط أحاديث المدينة
ورواياتها . فإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فإن الزهري مؤسس
المدرسة التاريخية في المدينة .

من هذا العرض نستنتج ما يلي :

١ - أن أكثر كتاب السيرة والمغازي كانوا من أهل المدينة المنورة ، لأن
أكثر أحداث السيرة من تشريع مدني ، ومغاز كان والنبى (ص) فيها ، وكان
من حوله من أصحابه أعرف الناس بتلك الأخبار ، وبدأ تدوين هذه الأحداث
في المدينة .

٢ - كانت السيرة والمغازي جزءاً من الحديث يرويه الصحابة ، وكان من
يعدم يرويها عنهم .

٣ - سلك كتاب السيرة والمغازي مسلك المحدثين الأولين فمنهم من كان
يعنى بالاسناد ، ومنهم من لم ينتهج هذا المنهج باستمرار .

٤ - كل ما ينطبق على الحديث من ناحية تقسيمه إلى أقسام باعتبار

صحته ، أو ضعفه ينطبق على الميرة والمغازي فيمكن تقسيم هذه الكتابات على نفس المنهج وينفس المقاييس .

ثالثا - المدرسة العراقية (في الكوفة ، والبصرة ، وبغداد) :

نشأت مدرسة التاريخ في العراق في الكوفة والبصرة وبغداد مستقلة ، ومن جذور تختلف عن جذور مدرسة المدينة .

وفي الوقت الذي كانت فيه المدينة - مهد الاسلام - المركز الأول لاتجاه أهل الحديث - كانت البصرة والكوفة مقر الحاميات القبلية ، وموطن التقاليد القبلية .

وكان انتفاخ في البداية بين البصرة ، والكوفة شديدا ثم دخلت (بغداد) التي أنشأها أبو جعفر المنصور واتخذها عاصمة الخلافة - في المنافسة - فكانت العصبية للقطر ثم للبلد .

فالعراقيون يتعصبون للعراق على الحجاز ، والحجازيون يتعصبون للحجاز على العراق ، ثم في القطر الواحد يتعصب الكوفيون للكوفة على البصرة ، والبصريون للبصرة على الكوفة ، والبغداديون لبغداد على البصرة والكوفة وغيرهما ونحو ذلك .

ف نجد مثلا الخطيب البغدادي - يؤلف كتابا عن « تاريخ بغداد » - يضمه تراجم علمائها وزهادها وأدبائها نحو من ٧٨٣١ ترجمة (١) .

وفي الوقت الذي اهتم فيه الرواة بالحوادث والأمر العامة - لا بالأخبار القبلية الخاصة - اتجه الاخباريون الاتجاه القبلي .

وكان (الاخباريون) والمؤرخون الأوائل في العراق ، وقاموا بجهود كبيرة لجمع الروايات القبلية هناك ، وعندما انتقلت الخلافة الى (بغداد) احتل العراق المركز الأول في التاريخ الاسلامي - وصار الاهتمام بتاريخ وأحداثه في المرتبة الأولى .

(١) أمين أحمد : ضحى الاسلام - مرجع سابق ص ٨٢ وحده بعدها .

لكن الى جانب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق أبدى الاخباريون عناية
بشؤون الأمة .

ولذا نلاحظ لديهم فكرة وحدة تجارب الأمة واتصالها ، كما نرى فكرة
ترابط التاريخ العربى ، فقد اهتم الاخباريون بأخبار الشام ، والجزيرة
العربية بالاضافة الى أخبار العراق .

فنجدهم سيف بن عمر يتحدث عن الردة ، والفتوحات ، وفى الوقت الذى
يمتد فيه على (روايات كوفية) نجده يكملها ببعض الروايات المنسية ،
والشامية ، فهناك اذا فكرة السبولة ، والتأكيد على حقوق الانام والولاء
والطاعة له .

وهكذا يمكن القول بأن الاخباريين لم يهبطوا فى كتاباتهم الى مستوى
حزبى ، ومع ذلك فقد كان للاقليمية والقبلية أثرهما فى الكتابات التاريخية
عندهم ، فبعضهم أظهر فى كتاباته ميولا علوية ، وميولا عراقية الخ .

هذا على أن الاخباريين استخدموا فى كتاباتهم وثائق رسمية ، من
رسائل ومعاهدات ، كما أن بعضهم اضطر لذكر الروايات المعارضة أو المقاتلة
للرواية التى أوردها ، وكان لهذا بالطبع أثره فى وضع اساس الطريقة النقدية
فى التاريخ .

وهكذا تركزت كتابات المؤرخين فى هذه المرحلة على الموضوعات التى
كانت تشغل بال العرب - أو ما نطلق عليه اليوم (موضوعات الساعة) -
كالردة ، والفتوحات ، والشورى ، والفتنة ، وتحمل المعارك والمواقف بين
العلويين والامويين مكانا بارزا من كتاباتهم .

وتميز أسلوب الاخباريين بالمسهولة وكانوا يوردون الشعر خلال كتاباتهم
عن المعارك مستشهدين به .

على أن الصراع الثقافى الذى احتمل مع الشعبية من جهة ، وتوسع
تيار الموالى من جهة أخرى ، والانقسامات الاميانية التى اجتاحت الدولة

الاسلامية ، والنزاعات القبلية ، هيات ثرصة لبراسات أكثر دقة ، فوجهت جهود لجمع الروايات التاريخية وغرقتها (١) .

هذا وقد أدخل اللغويون أسلوب (النقد الداخلى) للمواد التاريخية الى جانب (النقد الخارجى) للمصادر والرواة (٢) .

وقد حظى الشعر على وجه الخصوص بعناية خاصة واهتمام ومحاولة للتمييز بين الشعر الصحيح والموضوع .

كما تنوعت موضوعات الكتابة بتنوع وتعدد المشكلات السياسية والاجتماعية ، فاثرت مسائل تتعلق بالصلة بين قريش والقبائل العربية

(١) بدخول الشعوب - غير العربية - فى الاسلام ومشاركتها فى الحركة العلمية وغيرها - أصبح هناك عنصران هما العرب ، والموالى - وقد نكر ابن خلدون أن أكثر العلماء كانوا من الموالى ، وادى هذا الى انتشار نزعة شعبية فى القصص والتاريخ والشعوبية من القضايا الهامة التى شغلت الكتاب والمؤلفين العرب وترجع الى الصراع الاجتماعى العنصرى - فهناك من يدافعون عن التفوق الفكرى العربى وحجتهم تستند الى أن الوحى الذى نزل على النبى العربى الكريم هو أسما من كل معرفة حقيقية وعلم صحيح - بينما يرى الفريق الآخر من الشعوب التى دخلت فى الاسلام أن الحضارات الأخرى حضارات أسما وأرقى كحضارة الفرس مثلا - وقد عد (ابن المقفع) مثلا شعوبيا ، وراجت بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى نظرية أخرى هى نظرية (الحكمة الابدية) حاول أصحابها التوفيق بين الفريقين المتصارعين فكروا وحضاريا .

ولعل ابن مسكويه فى كتابه الفارمى (جاويدان خرد) أى الحكمة الابدية يمثل هذه الفكرة فهو يحاول أن يثبت أن جميع الحضارات اليونانية ، والفارسية ، والهندية، والعربية الاسلامية هى تجسيد لهذه الحكمة الابدية .

لكن الموالى فى العلم انظر :

أمين ، أحمد : فجر الاسلام - مرجع سابق ج ١ ص ١٨٢

وعن الشعوبية والصراع بين الحضارات انظر :

روزنتال ، فرانتز : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى (ترجمة د. اتيس فرنجه) ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) عن النقد الداخلى ، والنقد الخارجى - انظر :

الفصل الثامن (نقد الاصول التاريخية)

الأخرى ، وغير ذلك من المشكلات ، ومسائل تتعلق بالأدب العربي ، واللغة ،
ويظهر التأثير الفارسي بتناول تاريخ الفرس المتصل بتاريخ العرب .

وشهد انقرن الثالث الهجرى مرحلة جديدة فى تطور الكتابة التاريخية
عند العرب ، وتميز هذا القرن بوفرة المانة التاريخية ، من كتب ومصادر
وروايات فى 'الأمصار المختلفة' .

كما برزت ظاهرة أخرى تتمثل فى (الرحلة فى طلب العلم) .

وفى سبيل جمع وتصنيف الأحاديث . وترتبت على هذا نتائج بالغة
الأهمية من ناحية تبادل التأثير وتبلور فكرة الكتابة التاريخية المدعمة بالأسانيد

ويظهر فى هذا العصر من أئمة المؤرخين عدد كبير نذكر منهم :

ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ - ٨٨٢ م) : المعارف .

البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) : فتوح البلدان وإنساب الأشراف .

اليعقوبى (ت ٢٨١ هـ - ٨٩٧ م) : التاريخ .

الدينورى (ت ٢٨٢ هـ - ٨٩٨ م) : الأخيار الطوال .

الطبرى (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م) : تاريخ الأمم والملوك - وجامع البيان
فى تفسير القرآن .

ولو تأملنا كتابات هؤلاء المؤرخين نلاحظ ما يلى :

١ - ابن قتيبة - يسد حاجة قراء عصره الى تاريخ شامل موجز ، فهو
يجمل خبرة الأمة ، كما يعبر عن النظرة العسالية للتاريخ ، ويجابه الحركة
الشموعية فى الميدان الثقافى .

٢ - أما البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان - فهو يعبر عن الواجب الأول

للمسلم وهو الجهاد ، وعن دور العرب التاريخي ، بينما في كتابه الثاني « أنساب الأشراف » فهو يعالج موضوعا يتملق بالارستقراطية العربية - مركز الثقل في المجتمع العربي في نظره .

٢ - أما لليعقوبي - فيكتب تاريخا عاما ، فهو يمثل النظرة العالمية للتاريخ - وأن كانت تبدو في ثنأيا كتاباته ميوله العلوية الشيعية مثل كثيرين من كتاب المدرسة العراقية .

٤ - وفي كتاب (الأخبار الطوال) ندينوري - يظهر تأثير العراق وفارس على الكتابة والأدب العربي ، ويعطى تفسيراً تاريخياً لاشتراك العرب والفرس في السلطة في العصر العباسي .

٥ - أما الطبري - فبالإضافة إلى الفاحية الروحية الاندنية التي تتمثل في تفسيره لنقران - فإنه يمثل النضج الذي وصلت إليه الأمة ، والمثقفون على وجه الخصوص من المأمهم بالأحداث الهامة - فهو يعبر عن فكرة وحدة تجارب الأمة ، وكذا تكامل الرسائل ، فالتاريخ في نظره تعبير عن مشيئة الله .

وعلى كل تميزت كتاباتهم جميعاً بالدقة ومحاولة تحدى الحقيقة ، وقلة التحريف وعدم الانحياز ، والاهتمام بالاسناد ، ونقد المصادر ، والرجوع في كثير من الأحيان إلى السجلات ، والأوراق الرسمية ، أو ما نعتبر عنه اليوم (بالوثائق الأصلية) .

كما تتسم كتاباتهم بالتركيز ، ونلمس فيها الالتزام بخطوط واضحة في التفكير والكتابة .

رابعا - مدرسة التاريخ في مصر والشام :

تكونت في مصر والشام مدرسة أول أساتذتها من الصحابة الذين رحلوا إلى هذه الأقطار ، ثم أخذ عنهم التابعون ، وأخذ عن التابعين تابعوهم ، وقد عد هؤلاء 'انصحابه مصريين أو شواما لنزولهم هذه البلاد واستيطانها .

ومن الشخصيات البارزة فى تاريخ مصر العلمى (يزيد بن أبى حبيب
الازدى) اشتهر بالناحية التاريخية ، فيروى عنه الكثير مما ذكره عن فتوح
مصر وقتها وحروبها (١) .

وكان مسجد عمرو بالقسطاط مركز الحركة العلمية فى مصر كما هو
مركز للحركة الدينية . وقد بدأ تاريخ مصر وأخبارها فى شكل حديث فالذى
بداه هم (المحدثون) .

والمؤسس الأول لمدرسة مصر للتاريخ الإسلامى فى مصر هو عيد الله
ابن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) ، وتبعه كثيرون نذكر منهم الامام الليث بن
سعد (ت ١٧٥ هـ) ، عيد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) (٢) ، وأبو عمر
الكندى (ت ٢٥٠ هـ) (٣) ، والحسن بن زولاق (٤) .

والى جانب القسطاط اشتهت مدرسة (الإسكندرية) ، ولعل ذلك كان
امتدادا لمدرسة الاسكندرية قبل الفتح . والمعروف أن الحركة الإسلامية
ظلت لفترة محصورة فى الغالب فى القسطاط والاسكندرية حتى انتشر
المسلمون فى البلاد وتغلغلوا فيها عقب سنة ٢١٦ هـ .

وفيما يتعلق بالشام . فقد نزل بها كثير من الصحابة والعلماء وحدثوا
هناك عن رسول الله ، وعلموا الناس الأخبار والأحكام – ويذكر عن أبى مسلم
الخولانى قوله « دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب
النبي (ص) (٥) » .

ومن اشتهر من علماء ومؤرخى الشام – الأوزاعي (عبد الرحمن بن
عمرو) نزل دمشق ثم بيروت ومات فيها سنة ١٥٧ هـ – قيل انه اشتهر فى

(١) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام – مرجع سابق ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس

(٣) مؤلف كتاب الولاة والقضاة – تناول تاريخ مصر من الفتح العربى الى وفاة

محمد الاخشيد .

(٤) صاحب كتاب « العين الدعج فى حلا دولة بنى طنج » تحدث فيه عن تاريخ

الدولة الاخشيدية ..

(٥) ضحى الإسلام ص ٩٦ .

الحديث والفقهاء . وكان له مذهب كـمذهب مالك ، وأبني حنيفة ، وقد عمل أهل الشام بعد ذلك حيثما ، وانتشر مذهبه أيضا بالأندلس لرحيل عدد من التابعين له المعتنقين لمذهبه الى الأندلس ، ثم حل محل الأوزاعي مذهب الشافعي في الشام ومذهب مالك في الأندلس :

على كل حال هو علم من أعلام الشام تذكره على سبيل المثال فقط .
وقد اشتهر الكتاب والمؤرخون في الشام بمعرفتهم للسيرة والكتابة في فنون الشام وتاريخه .

والأوزاعي له كتاب تناول فيه شرح النظام الحزبي للمسلمين ، وكانت هذه الكتب الأحاديث في الفنون وما إليها نواة كتب (تاريخ الشام) كما هو الشأن في تاريخ مصر .

ولما جاء العهد الأموي كانت دمشق حاضرة الدولة الإسلامية . وكان الخلفاء والأمراء الأمويون عربا خلصا في ذمهم وفي ثوبهم ، أحب شيء اليهم التماسر بأحاديث العرب وأيامهم وأخبارهم .

وكذا أصبحت الزعامة العلمية في العصر الأموي للشاميين أصلا ، أو موطنًا ، أو وفادة ، وظل الأمر كذلك حتى جاء العصر العباسي فتحول الأمر الى بغداد مع تحول الحاضرة من دمشق الى بغداد (١) .

ولابد من الإشارة لما كان بالشام من مدارس فقهية وغيرها لتعليم القانون

(١) في مجال الحديث عن انتقال مراكز العلم تبعًا لتغيير المركز السياسي للدولة أثير الى مدرسة الاسكندرية وانتقالها وثغوانها الى بلدان مختلفة مع ملاحظة ، أهم هذا المدرسة لم يكن يمثل معهدا رسميا بل مراكز للدراسات التي كان ولاية الامور يعيرونها عنايتهم - فقد نقلت بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز الى أنطاكية ، لكن بقيام الخلافة العباسية فقدت سوريا وحتمها أيضا أهميتها فنقلت المدرسة المذكورة من أنطاكية الى حيرار في عهد المتوكل واستقرت أخيرا في بغداد - أنظر البحث القيم المنشور في مجلة أكاديمية العلوم (اركيون) للكتاب ماكس مايرهوف عن نهاية مدرسة الاسكندرية تبعًا لبعض المؤلفين العرب .

Meyerhof. Max : La fin de l'Ecole d'Alexandrie d'après quelques auteurs arabes (Archéion 1933), p.p. 1-16.

الريزاني ، واشهرها مدرسة (بيروت) - على كل نم يعد للشام في العصر
العباسي منزلتها العلمية الاولى فقد خرج العلماء والكتاب من الشام الى العراق
فتحولت الزعامة الى العراق *

خامسا - مدرسة التاريخ في قرطبة (الأندلس) :

حكم انعرب الأندلس في الفترة من ٩٢ هـ الى ٨٩٧ هـ (٧١٠ م الى
١٤٩٢ م) - ومفتد فتح العرب الأندلس على يد موسى بن نصير ومولاه طارق
ابن زياد صارت هذه البلاد ولاية اسلامية تابعة لدمشق (من ٩٢ هـ الى ١٢٨ هـ)
ثم أصبحت دولة مستقلة عن خلافة المشرق يحكمها أمراء وخلفاء من بني أمية
منذ عهد عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك (١٢٨ - ٢٩٩ هـ) - (٧٠٥ -
١٠٣١ م) وفي عهد الخليفة هشام المؤيد أصبح صاحب السلطان الفعلي هو
(الحاجب) وذلك ما يسمى في تاريخ الأندلس باسم (الدولة العامرية) ، ثم
كانت الفترة البربرية واقتسم الطامعون مدن الأندلس وحكمها (ملوك الطوائف)
وضاعت سيادة قرطبة بذهاب الخلافة الأموية . وفي عهد دولتي المرابطين
والموحدين صارت بلاد الأندلس ولاية تابعة للمغرب وآخر من حكم الأندلس
من المسلمين بنو الأحمر في غرناطة (١) *

وانفثرت بالأندلس المكتبات في (قرطبة) وفي غيرها من المدن الهامة ،
وقيل أنه كان بالخزانة الملكية بقرطبة وحدها أكثر من أربعمائة ألف مجلد (٢) *
وقد اتسمت الحياة الثقافية منذ البدء بالاعتماد على المشرق الاسلامي وتقليد
أهله ، فهاجرت كتب المشاركة الى الأندلس بكثرة (٣) *

ومع ذلك فإن أوضاع الأندلس نفسها المثلة في الصراع المستمر الداخلي
والخارجي ، أثرت في كتابات المؤرخين وجعلتهم يشعرون بأن للأندلس تاريخا
يستحق التخليد . ويتمثل الصراع الخارجي في الغزوات والمرابطة والجهاد في

(١) لمن يريد التوسع في الدور الذي لعبه المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين (بطل
معركة الزلاقة ١٠٨٦) ثم دور الموحدين في الأندلس - انظر :

الجمال . شوقي : المغرب العربي الكبير *

(٢) الروميلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي (ترجمة د *

عبد الحليم النجار ، د - محمد يوسف موسى) ص ٣٤٥ *

(٣) عباس . احسان : تاريخ الاندلس من ٢٨ (عصر سيادة قرطبة)

الثغور . وأما الصراع الداخلى فيتمثل فى الفتن وثورات الطامحين والمنشقين
عن طاعة قرطبة .

ونكتفى أن يراجع القارىء كتابا فى التاريخ الأندلسى حتى يجد فيه التاريخ
مرتبا على حسب سنوات الفزو .

ومن أوليات صور هذا التخليد أن نظم الشعراء الأراجيز التاريخية .
من ذاك أن (يحيى بن حكم الغزال) نظم قصيدة طويلة فى « فتح الأندلس »
ذكر فيها السبب فى غزوها ، فصل فيها الوقائع بين المسلمين وأهلها ، وعدد
الأمراء عليها وأسماءهم - كما أن (تمام بن عامر الثقفى) له أرجوزة فى ذكر
افتتاح الأندلس وولاتها من وقت دخول طارق بن زياد الى آخر أيام الأمير
عبد الرحمن بن الحكم .

ونظم ابن عبد ربه أرجوزة فى غزوات الامام عبد الرحمن الناصر من
سنة ٢٠٦ هـ الى ٢٢٢ هـ .

وقد اهتم مؤرخو الأندلس بوصف القلاع الحصينة والحرب البحرية
والأحداث الداخلية وغير ذلك من تاريخ هذه البلاد . ولعل ابن حزم (ت
٤٥٦ هـ) فى رسالته بعنوان « بيان الأندلس وذكر علمائه » التى كتبها ردا
على إتهام الحسن بن محمد اليمنى القيروانى أهل الأندلس بالتقصير فى تخليد
أخبار علمائهم - يعطى صورة عن بعض من برز من مؤرخى الأندلس (١) .

فيذكر العديد ممن ألفوا فى تاريخ الأندلس . (٢)

وقد اشتهر من مؤرخى الأندلس كثيرون نذكر منهم :

- أحمد بن محمد الرازى التاريخى (ت ٣٤٤ هـ) : مصالكة الأندلس
ومرائنها ، وأمهات مدنها وأخبارها .

- ابن الفرخى . أبو الوليد (ت ٤٠٣ هـ) : تاريخ العلماء والرواة للعلم
الأندلسى .

(١) عباس . احسان : مرجع سابق ص ٢٩٦

(نقل عن المقرئ فى تنقيح الطيب)

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ وما بعدها .

٢٠٠ - أبو عمر بن عبد البر (٤٦٢ هـ) الدبر في اختصار الفرائض
والمسير .
- ابن حبان القرطبي (٢٧٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) وقيل انه
الف نحو خمسين كتابا أشهرها « الفتن » في ستين جزءا . « والمفتبس في
تاريخ الأندلس » .

- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميري الأندلسي (ت ١٠٩٥ م)
واصله من قرطبة أيضا ، ومن مؤلفاته « جذوة المفتبس » وهو عن تاريخ علماء
الأندلس .
- ولسان الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ -
١٢٧٤ م) ، وكان وزيرا لأبي الحجاج يوسف سلطان (غرناطة) وله كتاب
« الاحاطة في تاريخ غرناطة » - الذي أخذ عنه المقرئ (١) .

- وأبو العباس أحمد المقرئ (ت ١٠٤١ هـ - ١٦٢١ م) أصله من المغرب
وهو صاحب كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » - تحدث فيه عن
تاريخ الأندلس من فتحها الى غزو الملك فرديناند غرناطة .

هذا وقد اشتهر عدد كبير من الأندلسيين بحب الرحلة والتجوال في البلاد
الاسلامية وغيرها ، ولهم رحلات مشهورة أسهمت في كشف النقاب عن تاريخ
العرب وحياتهم في العديد من الأقطار التي انتشروا فيها بالاضافة الى التعريف
بأماكن لم يكن العالم المتحضر يعرف عنها شيئا . نذكر منهم على سبيل المثال
الرحالة ابن جبير (٥٤ - ٩١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م) صاحب الرحلة
المشهورة باسمه - كذلك يذكر في هذا المجال ابن بطوطة ، وأبو عبد الله
محمد بن عبد الله بن محمد أبراهيم اللواتي الطنجي المولود في طنجة
سنة ١٢٠٢ م والمتوفى بمراكش سنة ١٢٧٧ م . وكذلك ابن الوزان . الحسن بن
محمد (ليون الافريقي) وغيرهم كثيرون يضيق المجال عن حصرهم .

(١) كان ابن الخطيب عالما اتم على اخص بالتاريخ . صنف تواريخ كثيرة خلفاء
المشرق ، والأندلس ، وافرقيقة مثل كتاب : الحلال المرموقة . والحكمة البديرة في الدولة
الناصرية . وله ايضا كتابات عن اخبار الرحلات واصناف للمدن الاندلسية يتعرض
فيها للعلماء الذين لقيهم ، والأماكن التي زارها . ويقال ان كتبه تبلغ المئتين لكن لم يبق
لنا منها الا نحو الثلث ، طبع بعضها طبعا تختلف من حيث دقتها ومحاولة تحقيقها .

هذا بالإضافة الى شهرة الأندلسيين في الفلسفة . وتكفى الإشارة الى الفيلسوف ابن رشد (١) . وابن زهر ، وابن طفيل الذي ترجمت كتبه الى عدد كبير من اللغات الأوروبية ، وابن باجة ، وابن البيطار ، وابن فرناس ، وابن الجعفي ، والفيلسوف العالمي ابن خلدون والعالم الصوفي ابن عربي ، وغيرهم من الاعلام (٢) .

وقد نافست (قرطبة) وغيرها من بلاد الأندلس بغداد في مكتباتها ، واستهوا العلماء للمكث بها فقد جاء اليها كثير من العلماء من البلاد العربية ولا سيما عندما أخذ بنو أمية في مجازاة خلفاء بني العباس في الاقاضة على العلماء والمؤرخين - ويكفي أن نشير الى أن معاهد العلم في قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، ومرسية وغيرها من بلدان الأندلس كان لها الفضل في نشر نور العلم في سماء أوروبا ذاتها (٣) .

وكانت المداس العليا بقرطبة ومكتبتها العظيمة قبلة طلاب العلم في كل انحاء الشرق والغرب - وقد جمع الخليفة الحكم الثاني - وهو من أشهر علماء عصره - مكتبة قرطبة نصف مليون من الكتب القيمة جمعها له عشرات من رجاله . وعلق الخليفة بنفسه على هوامش عدد كبير منها قبل وفاته قبل نهاية القرن العاشر بأربعة وعشرين عاما (٤) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن رشد - ولد في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) في أسرة عربية أصيلة ، استقرت بالأندلس واشتهرت بحب العلم ، وقد عاش في عهد دولة الموحدين التي غلبت في شمال إفريقيا وبلاد الأندلس . وللمزيد من التفاصيل انظر :

قاسم ، الدكتور محمود : فلسفة ابن رشد وأثرها في التفكير الغربي وهي محاضرة التيقيتندائ الخريجين بالخرطوم في ١٤ فبراير ١٩٦٧ وطبعت بعد ذلك .

(٢) هوتكه ، زيفريد : مرجع سابق من ٥٠٠ .

(٣) خواجه ، محمد عبد النعم : قصة الالب في الأندلس من ٢٨ .

• ابن مريد : التوسم في دور العرب العلم في الأندلس ، يرحم الله .

• بالنشيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة حسين مؤنس) .

• العيادي ، أحمد مختار : الإسلام في أرض الأندلس (عالم الفكر - المجلد العاشر

- العدد الثاني) .

(٤) الحكم الثاني هو تاسع الخلفاء الأمويين في الأندلس كان عصره عمر ازدهار ، نهضة ، غدت فيه جامعة قرطبة متارا للعلماء والباحثين ، وكان حجة في الالب والتاريخ ، يقال انه قد اربعمائة ألف كتاب التي كانت بمكتبته ، علق عليها جميعا .

٥٥ - الطريقة التي تناول بها العرب التاريخ :

يمكن من الجولة السابقة التي تناولنا فيها المراحل والأطوار التي مرت بها كتابة التاريخ عند العرب أن نرسم الخطوط العريضة لطريقتهم في كتابة التاريخ .

فقد كان الاهتمام قبل الاسلام بالإيثار والانتساب ، ولذا كانت الروايات الشفهية ، والقصص والأخبار تعتبر ملكا مشتركا للعائلة أو القبيلة ، ولم تكن من اختصاص الأفراد .

وكان طبيعيا أن تنسب بالمبالغة ، والفجر وغير ذلك مما يلائم الأوصاف الاجتماعية السائدة لديهم حول الحسب والنسب .

واستمر هذا الوضع بعد ظهور الاسلام . لكن تركيز الاهتمام بعد ذلك على دراسة سيرة الرسول وسير أتباعه ، والكتابة في المغازي والفروقات .

وكان كتاب السيرة والمغازي يجمعون الروايات ويرتبونها حسب الأحداث ، والسنين بعد التقديم لها بمقدمة في التاريخ القديم قد يذهبون فيها إلى الطوفان ، أو خلق الإنسان (١) .

وقد يسوقون الحوادث كقصص مرتبة حسب تاريخها ، ويدونونها مستندة إلى مصدرها الأصلي .

ومن ثم برز الاسناد كاملا هام في الكتابة التاريخية في هذه الفترة - فقيمة الرواية أو الحديث تتوقف على مدى سلامة الاسناد وتصلصله (٢) .

(١) اتجه هذا الاتجاه : الطبري . وابن مكيويه . وابن الأثير ، وأبو الفداء وغيرهم .

(٢) يشير (روزنتال) إلى أن علماء الحديث والفقه كانوا يهتمون بالدرجة الأولى (بالاسناد) ، وكان لذلك اثر في الكتاب والمؤرخين ، حتى أن السيوطي (ت ١٥٠٥ م) يقول : « انه ليس في جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية أو رأى لم يدعمه بالاستشهاد ، انظر - روزنتال . فرانز : مرجع سابق ص ٩١٧ .

وكان النقد أو (الجرح والتعديل) كما كان يطلق عليه منصبا على الرواة .

وارتبط علم التاريخ من البداية بعلم الحديث ، وتأثر به ، فقد بدأ التاريخ كفرع من فروع الحديث ، وأتبعوا طريقة علماء الحديث في تدارس أمهات كتب التاريخ من حيث تلاوتها وتكرار سماعها ، واجابتها .

حدث ذلك مثلا في مغازي الواقدي وأمثاله من كتب الأصول (١) .

وقد تعرض كتاب السيرة والمغازي في هذه الفترة لما تعرض له المحدثون من رواة الحديث وكتابه من تمحيص ونقد وجرح في ضوء النظر الى الأسانيد ومصدرها .

ويضع ابن خلدون مقاييس لذلك فيذكر أن الأمر يرجع الى « كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مئالة أو اجازة » ، .

ويذكر « أن أهل الحجاز اشتهروا بالنسبة في الاسناد لاستبداهم في شروط النقل من العدالة ، والضبط ، وتجاوهم عن قبول المجهول » .

كما يتحدث عن أئمة الحديث - الامام مالك ، والامام محمد بن ادریس الشافعي ، والامام أحمد بن حنبل ، وأمثالهم .

وعلى هذا الأساس رتب ابن خلدون الحديث الى صحيح ، وحسن ، وضعيف ، ومرمل ، ومنقطع ، ومتصل ، وشاذ . . (٢) .

وينفس هذا الأسلوب كانت النظرة والتقييم لكتب السيرة والمغازي ولا شك في أن الاهتمام بالاسناد والنظرة النقدية لما يروى ويكتب عن غزوات الرسول وغيرها من الأحداث التاريخية ، وغريلة الكتابة بهدف الوصول الى الحقيقة - وضع الاسس الأولى لعملية النقد التاريخي .

(١) العيادي . عيد الحميد : مرجع سابق ص ٤٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٤ وما بعدها تحت عنوان (علم الحديث) .

على أن ظاهرة النقد والتحليل ، التحليل ، وربط النتائج بالمقدمات -
أخذت تنتشر أكثر عندما تعرض المؤرخون العرب للأحداث التي أتت بالدولة
العربية فأنشغفتها وأنت لتفككها وجعلتها مطعمة لأعدائها .

وكانت المبادئ التي أخذت تثار في المجتمع الاسلامي دافعا لمزيد من
التفكير والبحث والكتابة .

فمشاكل الشورى ، وفكرة الدولة - كما حاول الامويون بتثبيتها -
والفتنم ، ووضع الموالي في الدولة الاسلامية ، والردة ، والفتوحات وبنو
القبائل فيها وغير ذلك من المشكلات ، والحوادث التي اجتاحت العالم الاسلامي
- اتاحت مادة للكتابة التاريخية وفرصة للتحليل والتحليل .

ولعل هذا يدفعنا لأن نحاول أن نجعل فيما يلي المؤثرات التي أثرت على
الكتابة التاريخية عند العرب .

المؤثرات التي أثرت على الكتابة التاريخية عند العرب :

في ضوء ما ذكرناه يمكن أن نجعل المؤثرات التي أثرت على الكتابة
التاريخية عند العرب ، وأثرت في تطورها فيما يلي :

١ - الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة في شبه الجزيرة قبل
الاسلام .

فقد ترتب عليها اهتمام العرب (بالأيام) و (الانتساب) .

واستمر هذا الاهتمام بعد ظهور الاسلام .

وكانت (الرواية الشفوية) هي الوسيلة التي تناسب الوضع الثقافي
السائد في ذلك الوقت - وكانت المبالغة والاشادة بالبطولات وغير ذلك مما قد
لا يساير المنطق - شيئا طبيعيا يردده الرواة وتتناقله الأجيال دون نقد أو
محاولة تجريح .

٢ - الظروف الخاصة ببعض جهات شبه الجزيرة كاليمن في الجنوب ،
والحيرة في الشمال :

فقد وجدت بعض النقوش على المباني القديمة في اليمن تحكى أخبار ملوكهم وأمورهم العامة التى تبلى على نوع من الاستقرار والتقدم الاقتصادى، كما أن ما عثر عليه فى كنانس وأبيرة الصيرة يصور أخبار ملوك الحيرة ويعطى فكرة عن ظروف هذه البلاد السياسية والاجتماعية .

٢ - وفى المدينة المنورة - كانت دراسة سيرة الرسول ، وسير أتباعه والمغازى والغزوات دافعة كبرى للكتابة التاريخية . وقد اتخذت الكتابة فى هذا المجال مسار علوم الحديث من حيث الاسناد ومحاولة تحرى الحقيقة وتقوية الأحداث التى تروى أو تكتب مما علق بها من تفاصيل قد تهدف بها عن واقعها .

٤ - وتأثرت الكتابات التاريخية عند العرب أيضا بالمشكلات التى أحاطت بالامة العربية كالشورى ، ومسألة الخلافة ، وظهور الأحزاب السياسية ، والتشيع ، والشعوبية والصراع بين العرب والموالى .

٥ - وكانت فكرة (الامة) قد تركزت من البداية فى المدينة المنورة لكن انتشار القبائل العربية فى الأمصار نقل مركز الثقل الى جهات أخرى خارج شبه الجزيرة العربية .

وبالطبع أثر هذا فى الكتابة التاريخية .

٦ - وفى العراق ظهر الاهتمام من جديد بالقبيلة وامجادها ، كما ظهرت مؤثرات جديدة فى الكتابة التاريخية نتيجة تأثر العرب فى هذه البلاد بتيارات أخرى كالفارسية .

٧ - وأدى التصادم بين المبادئ والأفكار كمبدأ القدرية أو حرية الإرادة، ومبدأ الجبر الذى تبناه الأمويون ، بالإضافة الى المشكلات المتعددة التى اثيرت فى ذلك الوقت الى حركة واسعة من النقد والتحليل والتعليل ظهرت فى كتابات مؤرخى القرن الثالث الهجرى على وجه الخصوص .

٨ - على أن نشأة الدواوين وتطورها خاصة بعد أن اتسع نطاق الدولة

العربية . وتشعبت مشاكلها أوجد مجلات رسمية ، ومصادر أصلية للكتابة التاريخية استخدمها واستند اليها كثيرون من المؤرخين .

٩ - وكان اهتمام المؤرخين العرب مركزا في البداية على شئونهم ، وما اتصل بهم من دول ، ثم اتسع هذا النطاق فشمل الدولة الإسلامية عامة ، ثم اتسعت الكتابة التاريخية بشمول أكثر يمثل وحدة التاريخ وتكامله .

فكتب أبو عبيدة معمر بن المثنى - أخيار الفرس - الموالى - كما كتب غيره عن الشعوب الأخرى التي أحاط بها العرب .

١٠ - ولا شك في أن المؤرخين العرب . كان لهم دورهم في إرساء بعض المبادئ الهامة في الكتابة التاريخية كالاتمام بذكر المصادر - فالمقرئ مثلاً (ت ١٤٤٢ م) يشير الى المصادر الثلاثة التي رجع اليها عند تأليفه خطط مصر وهي :

أولاً - المصنفات الألفية

ثانياً - المعلومات التي استطاع جمعها من أساتذته ومعاصريه من العلماء .

ثالثاً - المعلومات المبنية على اختبار الشخص ومشااهداته .

وقد اعتبروا عدم ذكر المصادر التي أخذ عنها المؤلف نقصاً - فقد أشار مثلاً فخر الدين الرازي في كتاب « المباحث الأربعون في أصول الدين » الى أن الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » - لم يذكر المصادر التي أخذ عنها . ويذكر أن في هذا ما يسيء الى الحقائق التاريخية ويشوشها (١) .

١١ - وقد شدد العلماء المسلمون على ضرورة (الأمانة) و (الدقة) في النقل - ففي مقدمة كتاب « معجم البلدان » يشير ياقوت الى ذلك . ويذكر أنه نقل من المصادر بكل دقة وأمانة - ويشرح قيمة الإشارة للمصدر الذي أخذ

عنه فيقول « أن ذلك يسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة في ذلك العلم » (١) .

كما يشير إلى أن العالم عندما يختلف مع آخر في الرأي يجدر به أن يذكر الروايتين - روايته والرواية المعارضة (٢) .

وعند اقتباس رواية من مصدر - مختصرة عما وردت في المصدر الأصلي - كانوا يشارون إلى ذلك فيقولون (انتهى ملخصا ٠٠) (٣) .

وكان المؤرخون العرب يمارسون النقد بطريقة مرضية فكانوا يقابلون بين التواريخ المذكورة في الخبر أو القصة التي يحققون في صحتها - فإذا ظهر تباين أو تعارض حكموا بأن الخبر لا يمكن أن يكون صحيحا بالشكل الذي ورد عليه .

مثال ذلك ما قام به الخطيب البغدادي صاحب كتاب « تاريخ بغداد » من فضح الوثيقة التي منح يهود خيبر بموجبها امتيازات خاصة - لكنه أثبت أنها مزورة وغير صحيحة (٤) .

وهكذا كان للعرب دورهم في الكتابة التاريخية بمنهجها السليم .

أما أهم الموضوعات التي تناولها المؤرخون العرب فهي :

١ - حياة النبي (ص) من ولادته ونشأته ، ودعوته إلى الاسلام ، وجهاده مع المشركين ، وغزواته .

٢ - تاريخ الحوادث الاسلامية من حروب بين بعض المسلمين وبعض (كواقعة الجمل ، وواقعة صفين) وبينهم وبين الشعوب الأخرى .

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٩ .

(٢) ياقوت : ارشاد الايب ج ٥ ص ٢١٥ .

(٣) أمين ، أحمد : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢١٩ وما بعده .

(٤) روزنتال : مرجع سابق ص ١٢١ .

٣ - الانساب •

٤ - تاريخ الأمم الأخرى التي احتكوا بها من فرس وروم ونحوهما •

٥ - تاريخ الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية •

٦ - تراجم الرجال •

٧ - الأخبار - وقد أطلق على روايتها اسم (الأخباريون) مثل البيهقي بن
عدي الطائي الكوفي الأخباري •

وقد يكون أساس الحادثة التي يرونها صحيحا لكنهم عادة يكملوه بن
خيالهم •

وفي ختام هذا الفصل نشير إلى أنه رغم التطورات السريعة والاتجاهات
الحديثة في علم التاريخ اليوم ومناهجها في الدول الأوروبية وغيرها - فاننا يجب
الأن ندعو لأن ننقل من هذه الدول اتجاهاتها ومناهجها في البحث التاريخي بل
أن نتقنها ونمحصها ونبحثها ونطور مناهجها ومفاهيمها في ضوء ذلك وعلى
أساس الإدراك لواقعنا وتاريخنا ودورنا نحن أيضا في هذا المجال وما يلائمنا •

الفصل الثالث

التاريخ بين العلوم الأخرى

مباحث هذا الفصل :

- تطور الدراسة والبحث التاريخي •
- (العلل المباشرة لم تعد الأسباب الحقيقية للأحداث) •
- المؤرخون يبحثون في دور الإنسان في الأحداث التاريخية •
- الاختلاف على وضع التاريخ : علم أم أدب أم فن ؟
- الرد على القائلين بأن التاريخ ليس علما •
- التاريخ علم نقد وتحليل •
- العوامل النفسية التي قد تؤثر في تشكيل أحداث التاريخ •
- علم التاريخ واهتمامه بحياة الشعوب •
- مدارس علم التاريخ •
- محاولة الزج بالتاريخ في زمرة العلوم الطبيعية وما ترتب على ذلك من أخطاء •

— أهداف تدريس التاريخ :

- تربيته في تربية الفرد •
- قيمته لرجال السياسة •
- قيمته كفرع من فروع الدراسات الاجتماعية •
- التاريخ بين المنادين بقصر اهتمامه على الأحداث السياسية والداعين للمركز على تتبع حضارة الشعوب •

رأينا كيف تطورت الكتابة التاريخية فلم يقتصر الأمر على مجرد ترويض القصص أو بسط الموقائع التي كان العالم مسرحا لها - لكن أصبح من الضروري دراسة العلل المباشرة للأحداث ، ثم بحث العوامل العامة التي كانت ذات أثر في تكوينها زمنا طويلا ، فحوادث التاريخ لا تقع فجأة لكنها في الحقيقة نتيجة سلسلة طويلة من الوقائع ، وإن كانت عللها المباشرة تبسود كأنها هي الأسباب الوحيدة للأحداث •

فإذا قصرنا بحثنا مثلا - عن أسباب الحرب العالمية الأولى - على الأسباب المباشرة ، وعلى تتبع المفاوضات الدبلوماسية التي انتهت بانتفاض بعض الأمم الأوربية الكبرى على بعض - لحكمنا على أن الاضطراب الذي انتهى بهم المطاف الى الحرب قد أصيبوا بالجنون - • فالأسباب المباشرة لا يمكن أن تبرد قيام الحرب - لكن الأمر في حقيقته غير ذلك فهو يرجع لسلسلة من العلل البعيدة التي كانت في قوتها أشد من أرادة هؤلاء الصامسة (١) •

فالمؤرخ إذا لابد أن يبحث عن هذه العلل المتعددة الخفية البعيدة في زمنها عن زمن الأحداث ذاتها •

نعم لم يصبح المؤرخون يقتصرون في تفسيرهم للأحداث على أن قدرة ربانية قاهرة كانت توجه مجرى الأمور ، ويتنظم مصير المعارك فلا تقع أية حادثة خارج ارادتها • فمع الإيمان بهذه القوة الربانية العظمى - فإننا نبحث أيضا في دور الإنسان في الحوادث التاريخية • فلم يصبح مبدأ (القدورية) وحده مقبولا في تفسير أحداث التاريخ - فقد اقتضى العصر الذي كان فيه ينظر الى الأحداث التاريخية من الوجهة اللاهوتية فحص (٢) •

هذا مع أنه حتى في علوم الفيزياء وغيرها لا يزال الكثير من مظاهرها خفي عن إدراك الإنسان فلا يكاد يعطى لها سببا معقولا •

(١) لوبون ، غوستاف : فلسفة التاريخ (ترجمة عادل زعير) ص ١٢ •
 (٢) ظل علم اللاهوت يطبع كل الدراسات التاريخية ، ويذكر بعض الكتاب والفلاسفة أن التفسير اللاهوتي هو الذي سيطر على عقول الأوربيين من القرن الخامس الى القرن الثامن عشر تقريبا ، فالروح اللاهوتية هي الدم الذي جرى في عروق العالم الأوربي حتى بيكون ، وبيكارت ولم تأخذ ميادى التاريخ اللاهوتية في الزوال إلا بعد أن أثبت تقدم العلم أن جميع حوادث العالم خاضعة لعل متعددة ومعقدة •

فمثلا الحرارة - ما تزال قوة مجهولة في جوهرها • وكل ما نعسرفه عنها انها قادرة على تمديد الأجسام فتقاس بدرجة هذا التمدد •

• والثقل - قوة مجهولة أيضا في جوهرها • لكن نعلم انها قادرة على جذب الأجسام فتقاس بطاقة هذا الجذب •

والكهرياء - قوة مجهولة في جوهرها لكنها قادرة على أحداث بعض النتائج الجينية: الخارة • فتقاس أيضا بشدة هذه النتائج • • لكن لا تزال الحلال الأصلية قاضية (لا) •

في ضوء ذلك يثار جدل طويل عن التاريخ •

هل هو علم ؟

وأذا كان كذلك فالى أى أنواع العلوم ينتمى ؟

أم أن التاريخ فن أو أدب ؟

وبالطبع أدى هذا لسلسلة أخرى من التساؤلات مثل :

ما الذى يبحث فيه التاريخ ؟

ما هو موضوعه ؟

ما هي أهدافه ؟

ما الفائدة من دراسته وتعليمه ؟

ما الشروط اللازم توفرها فيمن يتعرض للبحث التاريخي ؟

هل يحتاج هذا الباحث للتزود بقدر من المعرفة في علوم أخرى ؟

ما هو المنهج الذى يتعين أن يتبعه الباحث في التاريخ ؟ •

وسنحاول في الفصول التالية الرد على هذه التساؤلات وغيرها مما

يثار حول (التاريخ) •

اختلف رجال العلم والتاريخ والأدب في وضع التاريخ وفي نسبته الى أى فرع من فروع المعرفة الإنسانية ، فذهب الأستاذ ولیم استانلى جيفونز (William Stanley Jevons) (١٨٢٥ - ١٨٨٢) الأستاذ بجامعة لندن في كتابه « أصول العلم » الى أن التاريخ لا يمكن أن يكون علما ، لأنه يعجز عن

لخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المادية والملاحظة والفحص والاختبار والتجربة وبذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أو علم الكيمياء مثلا .
فقيام عنصر المصادفة ، ووجود عنصر الإلحاحية الإنسانية ، وحصرية الارادة ، مما يهدم الجهود الرامية الى اقامة التاريخ على أسس علمية ، على نحو ما يفعل علماء الطبيعة أو الكيمياء أو الجغرافيا (١) .

وهكذا لخص جيفونز الأسباب التي من أجلها استبعد التاريخ من زمرة العلوم . فيما يلي :

(١) الاختبار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية .

(ب) كل واقعة من وقائع التاريخ قائمة بذاتها ، ولا يمكن أن تتكرر ظروف وقوعها .

(ج) لا يمكن الوصول في التاريخ الى شيء من قبيل (التعميمات) أو (القوانين العلمية) .

وختم هذا العالم الانجليزي تحليله هذا بقوله :

« فمن الصغف اذا أن نفكر في التاريخ على أنه علم بالمعنى الصحيح » .

وقد أيد هذا الاتجاه كارل ر . بوبز (Karl R. Popper) في كتابه « عقم المذهب التاريخي » - فقد أوجز أدلته على كتب المذهب التاريخي في النقاط الخمس الآتية : (٧) .

١ - يتأثر التاريخ الانساني في سيره تأثيرا قويا بنمو المعرفة الإنسانية .

(١) عثمان ، حسن : منهج البحث التاريخي ص ١٦ .

(٢) بوبز ، كارل : عقم المذهب التاريخي (ترجمة عبد الحميد صبره) - التصدير

٣ - لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية -

٢ - إذن فلا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانساني .

٤ - هذا معناه أننا يجب أن نرفض امكان قيام علم تاريخي اجتماعي ، يقابل علم الطبيعة .

ولا يمكن أن تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح لأن تكون اساسا للتنبؤ التاريخي .

٥ - إذن فقد أخطأ المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوصل اليها . بعناجه .
وبييان ذلك يدعى المذهب التاريخي .

وذهب لخبيرين الى أن التاريخ فن ، فالمؤرخ فنان يطلق العنان لطبيعته الفنية وخياله وموهبته الخاصة . فالتصوير الناطق يعبر عن ملامح العصر الذي يتحدث عنه (١) .

هذا ويرى آخرون أن التاريخ نوع من الأدب فهو يعنى بالتدوين القصصي لمجرى الأحداث . والقصة بلا شك هي من أبواب (الانشاء الأدبي) .

والانشاء الأدبي فن ، والأمر يحتاج الى براعة الكاتب ليبرز لنا القصص التاريخية والأحداث في ثوبها . اللائق .

لكن المؤرخ الانجليزي بيوري (J. B. Bury) استاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج يذهب الى « أن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل » .

وقد نحا هذا النحو عدد كبير من المفكرين القدماء والمحدثين من أمثال هيراقليطس ، وأقلاطون ، وهيجل ، وماركس ، وأوجست كونت ، وستيوارت

(١) كاسير ، أرنست : مرجع سابق ص ٥٥ .

مل ، وشبينجلر ، وكارل ملنهايم ، وأرنولد توينبي - فاعتبروا التاريخ علم يهتم بتتبع تطور المجتمع في الفترات المتعاقبة .

وأن كان المعارضون لذلك يتقنون أن تطوّر المجتمع يخضع لقوانين معينة - فلا يمكن أن يكون للتطور في نظرهم قانون علمي (١) .

وقد ذهب كونت (Auguste Conte) إلى حد القول « إنني ساقدم برهانا فعليا على وجود قوانين محددة للأحداث المرتبطة باندقاء وتطور العنصر الانساني . كما توجد قوانين لسقوط الحجارة »

إن فكرة التطور تعني ظهور عوامل جديدة وهذه العوامل تظهر نفسها في تقدم اللغة ، والدين ، والفن ، والعقل ، وهناك منهج واحد يمكن بواسطته معرفة أصل هذه العوامل - هو المنهج التاريخي ، (٢) .

وقد عارض كونت الاعتقاد القائل بوجود شيء في عالم الانسان يمكن ارجاعه للمصادفة ، أو أن هناك شيئا يخلو من النظام الطبيعي وحتيمته الصارمة .

وقد أيد هذا الرأي تين (H. Taine) في فرنسا في كتابه "Vie et Correspondance" وذهب في النهاية إلى أن العلل المختلفة للأحداث يمكن أن تنتهي بنا إلى بعض المبادئ العامة التي تتحكم في كل الوقائع وتقررها - وأتينا نستطيع العثور وراء كل تنوعات الأحداث التاريخية ، واختلافها إلى درجة كبيرة - كما يقول تين - على نفس الهيكل العظمي الذي لا يتغير كثيرا أو قليلا ، فالوقائع تتغير ولكن هيكلها يبقى (٣) .

ولعل المعركة كما يذكر الأستاذ هرنشو (Hearnshaw) تنفض إذا وصلنا لتعريف سليم للفظي (علم) و (تاريخ) (٤) .

(١) بوبر ، كارل : مرجع سابق ص ١٢٢ .

(٢) كامبير ، أرنست : مرجع سابق ص ٤٣ وما بعده .

(٣) كامبير ، أرنست : مرجع سابق ص ٤٨ .

(٤) هرنشو : مرجع سابق ص ٣

فلو عرفنا العلم بأنه « المعرفة المنظمة الميوية المقتنة » - وأن صفة العلم يمكن أن تطلق على « كل دراسة تهدف لتوخى الحقيقة ، والوصول الى حكم قائم على النقد ، مع اليمد عن كل هوى النفس ، وكل افتراض سابق - على أن تقوم هذه للتراسية على الأمور الثلاثة : التصنيف ، والتبويب ، والتقنين » (١) .

أو إذا اخذنا بقول الأستاذ ت . ه . هيكسلى (T. H. Huxley) « ان العلم هو كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط » .

أو كما يقول الدكتور الكسندر هل (Aelx. Hill) « ان كل معرفة معقولة هي علم » . فالعلم معرفة روعيت فيها الأوضاع الصحيحة » .

كذلك توضح الأستاذ كارل بيرسن (Karl Pearson) لوظيفة العلم بأنها تنحصر في تقسيم الوقائع ، ومعرفة نتائجها ، وأهميتها النسبية .

وتعريف الأستاذ ف . ج . تجارت (F. J. Teggart) للعلم بأنه « مجرد البحث المنظم للتصرفات التي تبدو في الظواهر الطبيعية » .

إذا أخذنا - بهذه التعاريف - فليس ثمت مسوغ لأن نتعجل اسقاط التاريخ من عداد العلوم .

فالميتورولوجيا علم رغم أننا لا يمكن أن نصل فيها الى تعميمات خاصة بالجو ، فلا زلنا بعيدين عن وضع قوانين ثابتة لكثير من الظواهرات ، ولا تزال

(١) يعرف د . شارل مالك - العلم بأنه هو الذى يؤدى الى المعرفة - ويقسم العلوم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

- العلوم النظرية : غايتها المعرفة من اجل المعرفة .
 - العلوم العملية : تهتم بسلوك الانسان كائنات .
 - العلوم الانتاجية : غايتها الاتيان بانتاج مادى سواء اكان جميلا فقط كالتمثال او الرسم او مقيدا لمد حاجة ما .
- انظر - مالك . شارك وآخرون : البحث العلمى فى العالم العربى (بيروت ١٩٥٦) ص ٥٠ وما بعدها

نتيؤات الخبراء عن أحوال الجو تخطئ ، ومع ذلك لا يوجد من ينكر ان
الميتورولوجيا علم •

ويقول شارل سينويس (Seignobos, Ch.) المؤرخ الفرنسى « التاريخ
علم ما فى ذلك ريب - فهو علم الوقائع التى تتصل بالأحياء من الناس فى
مجتمع خلال توالى الأزمنة فى الماضى - وهو يدخل فى عداد العلوم
الوصفية » (١) •

والتاريخ - كما يقول هرنشو - « يقوم على اصول تضارع قيمتها على
اقل تقدير - ذرات الكيمياء النابضة ، والكروونات الفيزيقي الراوغة -
ان التاريخ يبحث فى الفعل ورد الفعل الصادرين عن انسان غير متغير أصلا ،
وعن بيئته غير متغيرة أصلا » (٢) •

فاذا اخذنا التاريخ بمعنى (البحث) او الاستقصاء بهدف الوصول
الى الحقيقة التى من وراء الاحداث فهذا المعنى يكون التاريخ علما •
لكن من أى أنواع العلوم يعتبر التاريخ ؟

انه ليس كالفلك - علم معاينة مباشرة ، ولا كالكيمياء علم تجرية واختبار
- لكنه علم نقد وتحليل •

وهو كما يذكر - هرنشو - أقرب العلوم الطبيعية الى (الجيولوجيا) •
فكما ان الجيولوجى يدرس الأرض كما هى الآن ليعرف - اذا أمكنه ذلك - كيف
صارت الى حالتها الحاضرة - فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المتخلفة من الماضى
ويحاول ان يفسر بواسطتها ويقدر امكانه ظاهرة الحاضر •

وكما ان الجيولوجى يجد مادته الأساسية فيما حفظ من بقايا الطبيعة

(١) من رسالة له بتاريخ ١٩٤١/٢٩/١٠ - انظر : اتجلو وسينويس : المدخل الى
الدراسات التاريخية (ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ضمن مجموعة بعنوان النقد
التاريخى) - المقدمة ص (١) •

وقد رجعنا أيضا للترجمة الانجليزية بقلم Berry والتي نشرت فى لندن
عام ١٩١٢ وأشارنا اليها -
(٢) هرنشو : مرجع سابق ص ٥ وما بعدها •

من أدلة قليلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة - فكل ذلك المؤرخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات أو تقاليد .

يعتمد المؤرخ على ما تمده به هذه الآثار أو السجلات أو غيرها من مادة علمية - بعد أن يتحقق من صحتها ، ويستبعد ما يثبت عدم صحته أو ما يداخله شك في صحته . فيلقى عليه الضوء ، ويحاول يفكره أن يستخلص الأسباب والدوافع التي كانت وراء تلك الوقائع .

ولابد أن يضع في الاعتبار العوامل الأخرى غير منطق العقل التي تؤثر في الأحداث الهامة .

إن الكثير من الأفعال الإنسانية سواء في ميدان السياسة أو الفلسفة أو الدين أو الفن لا تمثل إلا الجانب الخارجى من الإنسان - أما الحياة الباطنية فإنها لا تظهر نفسها إلا بعد النفاذ وراء هذه الأفعال لاختبار طبيعتها إن ماهيتها الحقيقية في قلوب الناس .

وقد ترتب على هذه النظرة - تغير موضع بؤرة التاريخ . فالأحداث أصبحت هامة فقط بقدر استبطاعتها الكشف عن الطبيعة الإنسانية وإزالة الحجب عنها (١) .

فهناك أيضا اندفاعات الحياة العاطفية اللاشعورية . وكما يقول - غوستاف لوبون - « أن العديد من المنازعات التي تزعج حياة الأمم وتسيطر على تاريخها - مرجعها إلى الحياة الغريزية التي تولد الشهوات ، وميقي الأمر ، ولا ريب هكذا حتى اليوم الذى يستخلص الإنسانية فيه من الحياة اللاشعورية الوراثية - فتقبل من التطور الكافى ما يكون العقل فيه مسيطرا ، ولم تبلغ هذه المرحلة بعد ، ولذلك يشتمل التاريخ على قليل من الحوادث التي أوحى بها العقل المحض » (٢) .

ولعل من الأمثلة القوية لذلك الدوافع وراء الاستعمار الأوربى في

(١) كامبير . أوتست : مرجع سابق ص ٦

(٢) لوبيون . غوستاف : مرجع سابق ص ٤١

العصر الحديث • فلاشك في أن الدوافع النفسية أو الغريزية من حب العظمة وحب الظاهر ، والرغبة في التقليد والمحاكاة ، وغير ذلك من العوامل - كانت من العوامل التي دفعت الشعوب ثم الحكومات للعمل على بسط نفوذها على مساحات واسعة من الأرض لم تكن خاضعة لها - فالشعوب والدول تتكون من مجموعة أفراد تتحكم فيهم وتصيرهم الغرائز الطبيعية للإنسان (١) •

وإذا سلمنا بأن التاريخ علم نقد وتحليل ، وأن الأمر يصل بالمؤرخ إلى حد أن يضع في اعتباره العوامل النفسية التي قد تشترك وتؤثر في تشكيل حوادث التاريخ - فإنتا نستطيع أن نقول أن التاريخ علم يهتم ببحث المتبقى من أحداث الماضي ، ومحاولة الاستعانة بها على توضيح الحاضر وتفسيره - وتتسع أبحاث علماء التاريخ لتشمل جميع ما يتعلق بالإنسان وتصرفاته من شئون سياسية واجتماعية أو ما يتعلق فيها بشئون المال والاقتصاد وغير ذلك • ولذا تعددت فروع التاريخ ، فهناك التاريخ السياسي ، والتاريخ الاقتصادي ، والتاريخ الاجتماعي ، والتاريخ الحربي (٢) •

على أن التاريخ وإن كان في بداية عهده قد قصر اهتمامه على الشئون المتعلقة بالملوك ، والطبقة العليا من المجتمع كالقواد والوزراء - حتى أن البعض عرفه بأنه مجموعة من السير المختارة المتعلقة بطبقة معينة من المجتمع - فإنه كان لابد أن يطور ميدانه بعد أن رسخت أقدام الديمقراطية - وذاعت الاشتراكية ، وتعددت الحركات الشعبية منذ منتصف القرن التاسع عشر - فكان لابد من قيام تصور جديد للتاريخ •

(١) من يريد المزيد من التفاصيل عن هذه الدوافع النفسية - انظر :

حزين ، سليمان : صفحات من تاريخ الاستعمار •

و الجمل ، شوقي : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها الطبعة الثانية ص ١٢٦

وما بعدها •

(٢) يميز بوير ، كارل - بين التاريخ بفروعه المختلفة - السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والحربي - وبين علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع والحرب ويرى أن الفرق يتلخص في التمييز بين الاهتمام بالقوانين الكلية التي تهتم بها هذه العلوم وبين الوقائع الجزئية المفردة التي يهتم بها التاريخ - لا القوانين أو القضايا العامة •

ملاحظة : لا نقر (بوير) على هذه النظرة لهمة التاريخ فهو رأى عفى عليه

الزمان -

أيظر بوير ، كارل : مرجع سابق ص ١٧٢ •

لذلك اتجه عند غير قليل من المؤرخين الى الاهتمام بحياة الشعوب فلم تصبح السياسة ، وما تقوم به الحكومات هى مجال التاريخ وأصبح القول « بأن التاريخ هو سياسة الماضى ، والسياسة هى تاريخ الحاضر » - ليس لاقية له .

لذلك نجد للمؤرخ الانجليزى لورد (أكتن) فى عام ١٨٩٥ ينتقد بشدة تركيز المؤرخين على الناحية السياسية واهمالهم ما يتصل بالجماعير وافكارهم فيقول « ان اختصاصنا تناول ما هو أبعد مدى من شؤون السياسة ، وهو غير خاضع لتشريع الحكومات . ان من واجبنا ان نحيط بحركات الافكار التى هى علة الحوادث العامة لا نتيجتها ، وأن نجعلها نصب أعيننا دائما » (١) .

ومن الذين أدركوا قصور الكتابات التاريخية المقتصرة على السياسة فقط (فولتير) . فقد ذكر «أن التاريخ لن يكون فقط بياناً عن المعارك والعمليات الحربية ، أو عن المؤامرات والسماتس الدبلوماسية والسياسية .. بل الى جانب الأحداث السياسية عليه أن يرسم صورة لتقدم الاتجاهات الفكرية، والميول الأدبية والفنية لكل عصر ، وعليه فى النهاية أن يعرض نظرة عامة للحياة الخلقية بأسرها فى العصر » (٢) .

هذا وقد حاول فولتير القيام بكل هذا فى كتابه (عصر لويس الرابع عشر) كذلك فى كتابه (مقال عن العادات Essai sur Les moeurs) .

ومع هذا وحتى نهاية القرن التاسع عشر ظل كثيرون لا ينظرون للمقارن الحضارى نظرتهم للتاريخ السياسى ، ونكر البعض أن هذا النوع من الكتابة والدراسة التاريخية يجب ألا تكون الا مجرد اشارات عابرة أثناء دراسة التاريخ السياسى باعتباره الأصل .

ومع ذلك فلا شك فى أن الذين قصروا النظر الى التاريخ على أنه (تاريخ للدول) قد أوصدوا أمام أعينهم ادراك الظروف المتعددة المحيطة بهذه القوة السياسية والمؤثرة فيها .

(١) هرتشو : مرجع سابق ص ٩٣ .

(٢) كاسير ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٨ .

ونشير الى أن علم التاريخ وأن كان قد خرج من النطاق الضيق الخاص
بالسياسة * ورجال السياسة ونزل الى (الشارع) حيث عامة الشعب فاهتم
بأفكارهم وآلامهم وأمالهم - فقد وجهت مدارس أخرى اهتمام بتوجيه الدراسة
التاريخية وجهات أخرى - ننكر منها مثلاً مدرسة الاشتراكيين من أتباع كارل
ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ - ١٨٨٢) فقد دعت الى التصور
الاقتصادي أو المادي للتاريخ .

كذلك ركزت مدرسة أخرى من علماء النفس الاجتماعيين يزعمه كارل
لمبرخت (Karl Lamprecht) المؤرخ الألماني (١٨٥٦ - ١٩١٥) على ما
أشرنا اليه سابقاً من نوافع غريزية ونفسية وراء أحداث التاريخ .

والحقيقة التي انتهى اليها المعتدلون من المؤرخين اليوم هي أن عاملاً
واحداً لا يمكن أن يفسر الظواهر المتعددة وأحداث المجتمع التي لا شك
في أنها محصلة العديد من العوامل *

على أننا نشير - ونحن في مجال بحث وضع التاريخ بين العلوم الأخرى -
الى أن محاولة بعض المؤرخين في القرن التاسع عشر الزج بالتاريخ في زمرة
العلوم الطبيعية - أدت الى الوقوع في أخطاء لا مبرر لها من حيث طريقة
البحث التاريخي وتعميماته - فلا شك في أن التاريخ :

١ - من حيث طرائقه علم نقد لا علم ملاحظة وتجربة ، وفي هذا يختلف
عن العلوم الطبيعية :

٢ - أما من حيث تعميماته - فإن التعميم في التاريخ قد يؤدي الى نتائج
خادعة بعيدة كل البعد عما يمكن أن نطلق عليه لفظ (قانون) *

فالتعميم كمنهج تاريخي يؤدي الى أحكام متناقضة تناقضاً يجعل الحقيقة
أمراً يصعب تمييزه (١) *

(١) عن التعميمات في التاريخ - أرجع الى :

- لويون ، غوستاف : مرجع سابق ص ٦٠ وما بعدها .

- كذلك بوير ، كارل . مرجع سابق ص ١٦ وما بعدها .

على أن القول بأن التاريخ لا يمكن المزج به في زمرة (العلوم الطبيعية)
أثار تساؤلا آخر هو :

ما هي إذا فوائد التاريخ للفرد والمجتمع ؟ أو بمعنى آخر : لماذا نهتم
بتدريس التاريخ لأبنائنا ؟ وما الذي نهدف إليه من وراء ذلك ؟ .

وهل تحقق دراسة للتاريخ هذه الأهداف المرجوة ؟ .

ذهب البعض - وفي مقدمتهم - الفيلسوف البريطاني كيرد Caird (١٨٢٥ - ١٩٠٨) إلى القول « بأن المعرفة التي لا ترتفع عن مستوى الوقائع
والجزئيات ، والتي لا يربط بين أجزائها قانون من القوانين - لا تعتبر « أداة
صالحة للتعليم » . هذا وإن كان كيرد يذهب إلى أن التاريخ وإن لم يمكن
اعتباره علما يقينيا على نحو ما نعتبر الآليات والبصريات ، وحتى علمي النبات
وظائف الأعضاء - إلا أنه من حيث طرائقه ونتائجه - يأخذ على أقل تقدير
بشبه قوى جدا من العلوم المذكورة يجيز لنا أن نطلق عليه اسم العلم (١) .

ويرى كيرد أن للتاريخ بعض الفوائد ، فهو يكسبنا تصورا صحيحا
للأشياء العارضة الموقوتة بالقياس للأشياء الأبدية الباقية في حياة
الإنسان .

لقد كان التساؤل هو : إذا كانت الحوادث لا تتكرر ، وكان من المستحيل
الوصول إلى تعميمات تنتظم الظواهر التاريخية - فما الفائدة التي يمكن أن
تأتي من دراسة التاريخ ؟

لا شك في أن دراسة التاريخ تحقق العديد من الفوائد يمكن أن نجملها
فيما يلي :

أولا - قيمة التاريخ في تربية الفرد :

يرى البعض أن دراسة التاريخ تنشط الفكر وتشحذ الذهن . فالتاريخ

أداة لمزاولة العقل • بينما يرى آخرون أن دراسة التاريخ - دون سواها - أصلح الدراسات لتعويد الإنسان للفضائل الخاصة والعامة • • وقليل من الناس من يعارض اليوم في وجوب الاستفادة من دروس وعبر التاريخ للاقاء دروس في الأخلاق خارجة عن نطاق البحث التاريخي ذاته •

فإذا أخذنا بهذه الاتجاهات - فإن دراسة التاريخ توسع آفاق الطفل ، وترفع مستوى الأخلاق ، وتبرز للعلاقة بين النتائج والمسيبات •

وقد ذهب البعض في تفصيل ذلك إلى أن هناك تماثلاً تاماً بين حياة الفرد ، وتاريخ الإنسانية - فالإنسان هو العالم الأصغر ، والإنسانية هي العالم الأكبر ، ولذلك يستطيع الفرد عن طريق دراسة التاريخ أن يدرك عن نفسه وعن علاقته بغيره الشيء الكثير •

ومهما يكن فإن التاريخ هو وحده القادر على أن يجعل الدارس يفهم ما يحيط به من أحداث حاضرة في ضوء الماضي •

يقول بوركار (J. Burchard) : إن التاريخ سيد الحياة

"Historia-vitae inagistra" ويعقب نيتشه على ذلك (R. Nietzsche)

بقوله : إن الإنسان يجب أن يلم بالأحداث الخاصة بحياته خلال الأزمنة المختلفة لمعرفة الماضي مطلوبة لكي تكون في خدمة الحاضر والمستقبل وليس لأضعاف الحاضر أو لاجتثاث جذور القوى الحيوية للحياة في المستقبل • (١)

ويذهب سينيوس إلى : أن التاريخ أستاذ الحياة يزودنا بالخصائص عملية تفيد السلوك ، ويدرس تفيد الأفراد مباشرة كما تفيد الشعوب • (٢)

ثانياً - قيمة التاريخ كرجال السياسة :

تتخذ بعض الدول من التاريخ الذي يدرس في المدارس وسيلة لنشر

(١) كامبير ، أرنتس : مرجع سابق ص ٨٨ ، ٨٩ •

(٢) انجلو - وينويوس : مرجع سابق ص ٢٥٠ •

المبادئ التي تؤمن بها . سواء أكانت تقديسا للملكية أو الجمهورية ، أو
المبادئ البلشفية أو الفاشستية أو غير ذلك .

فهل يا ترى يحقق تدريس هذا الهدف الذي يرمون إليه ؟

وهل نجحت محاولة الاستعانة برجال التربية في محاولة استخدام مبرسي
التاريخ في المدارس العامة - كدعاة الى السلام أو الحرب أو كناشريين لمذهب
معين سياسى أو اقتصادى ؟

لقد خرج رجال التربية بنتيجة هامة هي : أن بث الذعاية في المدارس
بهذا الشكل لا يحقق بحال ما الغرض منها ، بل بالعكس - يجعل التلاميذ كلما
تقدم بهم السن - أميل الى الشك فيما فرض عليهم فرضا في طفولتهم .

لكن مع ذلك فإن المؤرخ الانجليزي جون سيلي (John Seeley) (١٨٢٤ -
١٨٩٥) يذهب الى « أن التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه
على أقل تقدير لا يمكن الانسان أن يعنى عناية معقولة بالشؤون السياسية ،
و بدون حظ موفور منه لا يمكنه أن يصدر حكما معقولا في أى شأن من شؤونها ،
ان التاريخ نوافذة هامة لكل مدنى ، ولكن هو الدراسة الهامة الوحيدة الخليفة
برجال الحكم والتشريع » (١) .

١ - هو مدرسة لتعليم طريقة البحث السياسى :

فالتاريخ والسياسة علمان اجتماعيان نفميان ، وكلا من السياسى
والمؤرخ لا مندوحة له عن الاستنباط من وقائع غير متقنة وأسباب ليست
معروفة تماما .

فالمؤرخ عند شروعه في بحث حادثة معينة لا يسيل امامه للوصول الى
الحقيقة المطلقة الثابتة ، وكذلك الشأن في السياسة ، فليس فيها شيء ثابت
مستيقن .

وبداسة التاريخ مفيدة جدا من حيث هي مدرسة لتعليم طريقة البحث -
فهي تعلم السياسى الحذر ، واستقلال الرأى وتهيئة لاكتساب ملكة الاستدلال
بالأمثال الظاهرة على البواعث والأفكار الفاضلة .

٢ - التاريخ مستودع للأحداث السياسية السابقة :

فالإنسان عندما يبلغ من النضج تهديه تجاربه السابقة التى تعبها ذاكرته
فى سلوكه الحالى ، والجنس البشرى بالمثل ، لكن التاريخ هو ذاكرة الجنس
البشرى .

وقد عبر الفيلسوف والمؤرخ البريطانى دافيد هيوم (David Hume)
(١٧١١ - ١٧٧٦) عن ذلك بقوله : « اذا تأملنا قصر حياة الإنسان ، ومعرفتنا
المحدودة حتى بما يقع فى زماننا - فلا شك فى أننا نشعر بأننا كنا نبقى أطفالا
فى أدراكنا لو لم يقض لنا هذا الاختراع الذى يرجع خبرتنا الى جميع
العصور الماضية ، وإلى أقدم الأمم الخالية ، ان الزجل المطلع على التاريخ
يمكن أن يقال عنه من بعض الوجوه ، انه يعيش منذ بداية العالم » .

واذا أدركنا أن الأحداث العالمية مترابطة بعضها ببعض الآخر بشكل
عجيب - يمكننا أن ندرك أهمية التاريخ الحقيقية - فان نهضة مصر حثلا
لم تكن مستطاعة بغير الشرق ، واعتمد اليونان على مصر فى نهضتهم وتسقلت
روما ذروة مجدها على ظهر العالم بأسره - وهكذا يخدمنا التاريخ فى تتبع
هذه السلسلة من الأحداث المتصلة (١)

٣ - التاريخ أساس التقدم السياسى :

فالتاريخ يمد السياسى بالكثير من سابقة تمت تجربتها ، ويؤقفه على
الاصول الواقعية لمشاكل الوقت الحاضر ، فكل المشاكل الكبيرة القائمة فى
وقتنا الحاضر سياسية كانت أو اجتماعية لها تاريخ بعيد .

(١) كامبير ، أرنست : مرجع سابق ص ٨ .

فلا يمكن للسياسي فهم حقيقة المشكلة التي تعترض له ان لم يفهم ويدرس أصولها القديمة .

ثالثا - التاريخ كفرع من فروع الدراسات الاجتماعية :

لم يعد التاريخ ينظر اليه النظرة الضيقة التي أخذ بها بعض قداماء المؤرخين - فاعتبروا مجاله دراسة شؤون الحكومات ، والحروب والشؤون المتعلقة بالادارة ، والبيبلوجرافية فحسب - بل أصبحت للتاريخ مجالات أخرى أوسع ، ولعلها أهم من شؤون الحكم والادارة والسياسة .

لقد أصبح ينظر للتاريخ على أنه فرع من عائلة كبيرة هي (الدراسات الاجتماعية) ، ولذلك فإنه تربطه بأفراد هذه العائلة روابط وثيقة .

ومن هنا كانت صلة التاريخ بعلم الاقتصاد والجغرافيا والانثروبولوجيا (علم الانسان) ، وعلم الآثار وغيرها من العلوم الاجتماعية .

وقد ذهب البعض الى أن التاريخ يجب أن يركز على (حضارة الشعوب) ويصرف النظر عن الحروب والحوادث السياسية . بينما وجد من تمسك بالتاريخ السياسي واعتبره قمة الدراسات التاريخية .

وكما يقول د . أسد رستم « ان الطرفين كانا محقين في بعض ما ذهبا اليه ، وأتبعهما تطرفا في القول في آن واحد - ففي تاريخ الحضارة ما لا يستغنى عنه لفهم الماضي . وفي تاريخ الحروب والحوادث السياسية ما لا بد من ايضاحه لفهم الأحوال والظروف التي تعيش فيها » (١) .

أما عن علاقة التاريخ بالعلوم الاجتماعية الأخرى وبغيرها من العلوم نستعرض له بشيء من التفصيل في الفصل القادم .

وفي ختام الحديث عن أهمية التاريخ والبحث التاريخي أشير الى ما ذكره الدكتور شارل مالك من أن العلوم الانسانية في عصرنا هذا اما أنها أهملت لحساب

العلوم الطبيعية والافتراءات التكنولوجية ، أو طبقت طريقة هذه العلوم الطبيعية على العلوم الانسانية فى تعصف وضيق نظر - ويتساءل :

ماذا ينفع الانسان لو فهم اسرار الطبيعة جميعها وسخر قواها كلها ولم يعرف مع ذلك نفسه ؟

ماذا ينفع الانسان لو ضيع عقله فى الجزئى والحنى والسطحى والمابر والحسن ، ولم يتحرق فى قلبه الى الأشد حسنا ، والأشد أصالة وعمقا والأشد شمولا وكيانا ؟ •

وينتهى الى التحذير من الاكتفاء الحزين بالعلوم المادية الوضعية ، ولنفرغ من معين الروح العارفة ليس للمادة فحسب ، والمتاكدة ليس من الطبيعة فحسب ، بل العارفة والمتاكدة من نفسها ومن الانسان ومن الله (١) •

(١) مالك ، شارل وآخرون : مرجع سابق ص ٢٠ وما بعدها •

الفصل الرابع

العلوم الاخرى

الوثيقة الصلة بعلم التاريخ

مباحث هذا الفصل :

- صلة التاريخ بعلم الجغرافية .
 - أهمية العلوم السياسية ، ودراسة النظم الدستورية للباحث التاريخي .
 - علم الاقتصاد وعلاقته بالتاريخ .
 - علم الانسان (الانثروبولوجيا) وصلته بالتاريخ .
 - علم الآثار (الاركيولوجيا) وصلته بالتاريخ .
 - علم المسكوكات (النميات) وأهميته للمؤرخ .
 - علم الوثائق وأهميته للباحث التاريخي .
 - اللغة ودراسة الخطوط وأهميتها .
 - معرفة الأختام ، الأحبار ، والأقلام .
 - علوم القرآن والتفسير — والعلوم الاجتماعية والفلسفية .
 - العديد من العلوم الاخرى .
- (يختلف حسب موضوع البحث والفترة الزمنية)

رأينا أن علم التاريخ فرع من فروع الدراسات الاجتماعية (Thosiology)

ولذا فهو وثيق الصلة بالعلوم الاجتماعية الأخرى - كعلم الاقتصاد ،
والجغرافيا ، وعلم الإنسان (Anthropology) وعلم الآثار (Arxeology)

وصلة التاريخ بهذه العلوم ، وبالعديد من العلوم الأخرى التى سنذكرها
تجعل من واجب المؤرخ أن يلم بقدر من هذه العلوم - أذ بدونها لا يمكنه أداء
رسالته كباحث تاريخى على أكمل وجه .

والبعض يطلق على هذه العلوم تعبير (العلوم الخادمة) أو (العلوم
المساعدة) (Sciences ancillaires) (١) .

فالظواهر الجغرافية كالسطح ، والمناخ ، والنبات وغيرها عظيمة الأثر
فى الأحداث التاريخية (٢) .

فإذا كانت الجغرافيا تمنى بالأرض وما يرتبط بها . من الظاهرات التى
اسلفنا ذكرها - فإن التاريخ يهتم بالإنسان الذى يعيش على هذه الأرض
وتؤثر فيه بظواهرها المختلفة وعواملها المتباينة ، كما يؤثر هو فيها - فهى
المرح والإنسان هو الممثل الذى يؤدى دوره على هذا المسرح .

ولا تحتاج الصلة بين طبيعة الأرض والعوامل المختلفة المرتبطة بها ، وبين
حياة وتاريخ من يعيشون عليها للمشرح والتفصيل .

فى السهول الخصبة والوديان كواضى النيل ، والنبلة والفرات وغيرها
قامت أقدم الحضارات البشرية التى عرفها للتاريخ كالحضارة البعرونية
القديمة . والحضارة الآشورية والبابلية . إذ اتاحت هذه الظروف الجغرافية
للإنسان - فرص الاستقرار وبناء المساكن واستغلال موارد البيئة المختلفة
للزراعة أو الرعى أو غيرها . وفى هذه الظروف المهية تقدم الإنسان فى مختلف

George, H.B. : The Relations of Geography and History (Oxford) (١)

1924

Sample: Ch. : Influence of Geographic Environment (N.Y., 1911) (٢)

المعارف واقتنوا فاستطاع أن يستفيد الى أكبر حد ممكن مما قدمته له الطبيعة
من امكانيات ، واستطاع أن يتغلب على ما صانقه من عقبات .

هذا بينما نجد البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية بيئات طاردة تدفع
الانسان للرحيل وعدم الاستقرار بحثا عن أماكن أكثر خصبا أو موارد أخرى
للزئق .

والعوامل الجغرافية المختلفة تؤثر فى نشاط الانسان وتشجيعه على
العمل ، كما تؤثر فى طباعه وأخلاقه ومزاجه وفى شحذ ذهنه أو العكس .

وارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافى بالإضافة الى المعالم
الجغرافية . الأخرى ، فتاريخ مصر على مر العصور تأثر بموقعها فى الركن
الشمالى الشرقى من قارة أفريقيا ويسواحلها المطلة على البحرين المتوسط
والأحمر ، فكان اتصالها مستمرا بالحضارات التى نشأت فى حوض البحر
المتوسط وعلى سواحلها من فينيقية وأغريقية ورومانية - كما أن الصحراء
للغربية الواسعة هيات لمصر دأئبا حماية طبيعية فلم تتعرض لجيوش منظمة
غازية من هذه الجهات فى تاريخها الطويل الا فى مرات محدودة ، ولم تنجح
هذه المحاولات فى الغالب - فحتى فتح الفاطميين لمصر من الغرب لم ينجح الا
بعد العديد من المحاولات - وبعد استعدادات وتدابير خاصة للتغلب على
الصحراء بجفافها . وفى العصر الحديث - رغم كل التقدم العلمى - واجه
جيش (روميل) فى الحرب العالمية الثانية مصيره المحتوم نتيجة امتداد
خطوط تموينه عبر الصحراء القاحلة الشاسعة غربى مصر .

وكان لموقع مصر الفريد وتحكمها فى طرق التجارة بين الشرق والغرب
عبر البحرين الأحمر والمتوسط - حتى قبل حفر قناة السويس - أثره فى ثراء
وقوة دولة المماليك الحاكمة فيها - ولما اكتشف البرتغال طريق رأس الرجاء
الصالح وتحولت التجارة - مؤقتا - الى هذا الطريق الجديد تأثرت بذلك دولة
المماليك ، وكان هذا العامل الجغرافى من أهم عوامل ضعفها وسقوطها .

وتأثر تاريخ مصر الحديث بهذا الموقع الفريد - خاصة بعد حفر قناة
السويس - فأصبحت مطمعا للانجليز وهدفا من أهدافهم - كيف لا وهى تتحكم
فى الطريق القصير المؤدى لجوهرة التاج البريطانى (الهند) . . وقد حاول

بونابرت ضربهم - ليس في بلادهم نفسها بل باستيلائه على مصر وتحكمه في هذا الطريق . ولذا كانت السياسة الانجليزية تجاه مصر طوال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين مبنية على هذا الادراك لأهمية موقع مصر الجغرافي . وكان احتلالهم لمصر عام ١٨٨٢ وحرصهم - أثناء مفاوضاتهم المتتالية للجلالة - على الاحتفاظ بقواعدهم في منطقة قناة السويس قائما على هذا الادراك لأهمية منطقة القناة لهم .

وما يقال عن موقع مصر الجغرافي يقال عن مناطق أخرى مماثلة مثل عدن التي احتلتها انجلترا عام ١٨٢٨ ، وجبل طارق التي لا تزال تحتلها إلى اليوم ، واهتمامها بغد م سيطرة أية دولة أخرى على مدينة (طنجة) التي أضرت رغم اتفاقها الودي مع فرنسا في ١٩٠٤ على أن تبقى دولية . وهناك العديد من الأمثلة يمكن أن تساق لتوضيح أهمية دراسة العوامل الجغرافية لفهم حقائق التاريخ .

وموقع الجزائر البريطانية نفسها أثر على تاريخها ابلغ الأثر - فظلت بعيدة إلى حد كبير عن غزو أعدائها لها في عقر دارها - يقال ذلك عن حروبها مع بونابرت أو حروبها مع هتلر والنازيين - كما كان لهذا الموقع أثره في السيادة البحرية للانجليز فاكسبت اساطيلهم شهرة واسعة وحرصوا على تحجيم كل منافس لهم في هذا المجال فأغرقوا الأرمادا الإسبانية في ١٥٨٨ ، كما حالوا دون دخول أية قوة بحرية أخرى منافسة مياه البحر المتوسط والمياه الدافئة الأخرى التي اعتبروا أنفسهم سائتها - فرسموا سياستهم تجاه الدولة العثمانية على أساس ابقاء الأوضاع كما هي عليه حتى لا يشاركهم الروس السيادة في هذا البحر .

ولعبت العوامل الجغرافية الأخرى كالاتهار والجبال وغيرها دورا هاما كعوامل ربط . أو كعوامل لتحديد الحدود بين الدول المختلفة (١) .

ومن جهة الاتهار كعوامل ربط لعل نهر النيل وريشته بين مصر والسودان وغيرهما من اقطار حوض النيل وأثر ذلك في تاريخ هذه الاقطار على منظر العصور يعطى أوضح مثال .

(١) للدراسة التفصيلية للاتهار والجبال وغيرها كمحدد سياسي انظر
Boggs, J.W.: International Boundaries.

ولعل الدور الذي لعبه مناخ روسيا في هزيمة الجيوش الألمانية في الحرب العالمية الثانية أكبر دليل على الأثر الجغرافي في مجرى التاريخ . فرغم أن الروس ، كانوا في عام ١٩٤٢ قد فقدوا خلال حربيهم ضد الألمان الحقول الغنية بالحبطة في أوكرانيا ، والجهات الصناعية الهامة في حوض الدينير ، كما استحوذ الألمان على مناجم فحم حوض الدونتز ، وجميع أرجاء شبه جزيرة القرم - هنا عدا ميياستبول - لكن حل شتاء روسيا القارس البسرد على الألمان وهم يدقون على أبواب موسكو ولينينجراد فاستعصى عليهم فتحها واضطروا للتراجع وانتهى الأمر بالتسليم في ٢١ يناير ١٩٤٣ ، وهكذا تضاعفت الطبيعة على هزيمتهم كما حدث من قبل لجيوشهم في أكتوبر ١٩٤٢ في معركة العلمين التي كانت تقطة تحول في مصير الحرب في ذلك الميدان الحيوى . والعجيب أن يتفق تسليم القوات الألمانية في قطاع ستالينجراد تماما مع دخول الجيش الثامن البريطاني الذي اكتمح الجيوش الألمانية في المصمراء الغربية - تونس (١) .

ويعتبر ثيودور مومسن (Theodor Mommsen) وهو من المدرسة التاريخية الألمانية الحديثة - علوم السياسة ودراسة النظم السياسية والديمقراطية بالإضافة الى اللغات الأصلية في مقسمة العلوم اللازمة للباحث التاريخي . فقد ذكر مخاطبا تلاميذه : « ان الذى يترك الجامعة ولديه معرفة مستفيضة باللغات اللاتينية ، واليونانية ، والألمانية والنظم السياسية لهذه الشعوب يكون صالحا لأن يصبح مؤرخا - أما الذى يفتقر الى هذه المعرفة - فإنه لا يصلح . فإذا أحطنا علمنا بهذه المسائل فمن المؤكد أن البحث فى المصادر وتصوير الأحداث العملية ، سوف يأتى من تلقاء نفسه ، كما تسقط السحب الكثيفة أمطارها . ولكن اذا لم تحصلوا على هذه المعرفة فانكم ستقفون شامرا تعطب بمجرد امساكم بها » (٢) .

وعلم الاقتصاد من أشد العلوم لزوما للمؤرخ فقد وصل الامر الى أن ماركس وصديقه الألمانى انجلز Engels (١٨٢٠ - ١٨٦٥) ذهبا الى

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه المعارك ودور العوامل الجغرافية فيها - انظر : فيشر هـ . ١ - ل . : تاريخ أوروبا في العصر الحديث (تعريب أحمد نجيب ماشم . وروبع للضبع - ١٩٦٤) ص ٦٨٠ وما بعدها .
(٢) كامبير ، أرنست : هجج سابق ص ٦٢ .

تفسير التاريخ تصيرا اقتصاديا مضى . ومع اعترافنا أن هذا الاتجاه هائل فيه الى حد كبير - فلا شك في أن العوامل الاقتصادية لعبت دورا بارزا في تاريخ الإنسان - ففي العصور القديمة كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل في حياة الإنسان الذي كان يكافح كفاحا مريرا من أجل الحصول على قوته، وأصبحت تدرس تاريخ الإنسان الحضاري على أنه قدرج من الالتقاط الى الرعى الى الزراعة الى الصناعة وهكذا .. وأصبحت تقيس حضارة الإنسان بمدى استغلاله لما تقدمه له البيئة من إمكانيات ، ومدى تغلبه على العقبات التي تعترض طريقه في سبيل تذليل حياته وسد احتياجاته .

ورغم التطور الذي حدث في الحضارة البشرية فليس من شك في أن الشؤون الاقتصادية قد عادت من جديد لتفرض نفسها كعامل قوى جبار فعال يؤثر في علاقات الشعوب وفي تحركاتها .

وعوامل الانتاج التي قد تتوفر في دولة دون غيرها ، توجه الى حشد كبير للنشاط الاقتصادي ، وبالتالي وضع الدولة بالنسبة للكفاية لمسد احتياجات سكانها أولا ثم بالنسبة لعلاقاتها الخارجية بالدول الأخرى ، فإذا توفرت الظروف الملائمة لقيام زراعة ناجحة وأحسن استغلالها وفرت حاجات السكان ، وقد توفر فائضا للتصدير . وهكذا نفس الشيء اذا توفرت عوامل قيام الصناعة الناجحة من مواد خام وقوة محركة وإيدى عاملة والآلات وأسواق لتصريف الانتاج .

وبالطريقة التي توزع بها الثروة بين أفراد الشعب ، والفروق بين الدخل المختلفة تحدد أوضاع الطبقات المختلفة في المجتمع وتؤثر في نظام الحكم . ولعل للمثل الواضح لذلك التغيير الذي طرأ على المجتمعات الأوروبية نتيجة الثورة الصناعية ، وظهور الرأسمالية الوطنية ثم ظهور العمال كقوة لها تأثيرها فتكونت للثقافات الصالية وأحزابها وأصبح لها وزنها وتأثيرها على تسيير دفة الحكم . وقد أشرنا لأثر العامل الاقتصادي في قوة دولة المالك، وأثر انهيار اقتصادهم في ضعفهم العسكري وسقوطهم .

وقد بحرز العامل الاقتصادي في الحروب ، فاستخدم كل من نابليون واتجلترا هذا السلاح ضد الطرف الآخر ، وظهر هذا العامل أيضا في الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولعل دخول الولايات المتحدة الأمريكية في صف

الحلفاء ومصادقتها الاقتصادية لهم كان كفيلا بترجيح كفتهم في كل من

الحريين

ولعب العامل الاقتصادي أيضا دورا هاما في الاستثمار الأوروبي الحديث،

فكان من أهم أهداف الدول الاستعمارية الاستحواذ على المواد الخام الأولية

والأسواق التي تزد حاجات الدول الصناعية ، ومن ثم كان الاستثمار

الاقتصادي (Economic Imperialism) هو المظهر البارز للاستعمار

الحديث

والسيطرة وهو من أهم مصادر الطاقة اليوم يلعب دورا حاسما في

تحديد علاقات الشعوب ، ومصادره مطمح انظار الدول الكبرى كلها .

فالتبترول الإيراني ، وتبترول العرب كان وما زال يؤثر في الأوضاع السياسية

الداخلية والعلاقات الخارجية للبلاد المنتجة له . وقد استخدم العرب بنجاح

سلاح البترول ضد إسرائيل في حرب عام ١٩٧٣ ، وما زالوا يلوحون

باستخدامه . وله بلا شك أثره وقايلته على الدول الكبرى التي تحتاج إليه

والتي يتأثر اقتصادها وحياتها سكانها بما يصلها من هذا البترول بل ويأسعاره

أيضا فارتفاعا أو انخفاضها يؤثر في الأوضاع الاقتصادية في هذه البلاد

المستغلة له .

والتبادل التجاري بين الدول وعلاقاتها الاقتصادية ترتبط ارتباطا وثيقا

بالعلاقات السياسية وتتأثر بها وتؤثر فيها .

وأما مثلا أمثلة للدول الأفريقية التي نالت استقلالها حديثا - فقد ظلت

كثير منها مرتبطة في اقتصادها بالدول المستعمرة السابقة ، وأصبحنا

نجد دولا في نطاق الاسترليني وأخرى مرتبطة اقتصاديا بدول الفرنك

الفرنسي - وأصبح من الحقائق الواضحة أن الاستقلال السياسي للدولة مرتبط

إلى حد كبير باستقلالها الاقتصادي وقدرتها على سد حاجات سكانها دون

الاعتماد على الدول الكبرى الاستعمارية .

ومن العلوم الأخرى الوثيقة الصلة بالتاريخ علم الانسنان

(الأنثروبولوجيا) . وعلم الآثار (الأركيولوجيا) - وقيمتها للمؤرخ

لا جدال فيها خاصة فى القاء الضوء على حياة الانسان الأول وحضارته وعلى العلاقات والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمعات الانسانية أو التى كانت سائدة ودلالاتها على ما كان بين هذه المجتمعات وغيرها من المجتمعات الأخرى من علاقات وروابط تاريخية .

ومن العلوم الأخرى التى لا يستغنى عنها المؤرخ علم المسكوكات من نقود وغيرها بما تحمله من كتابات وصور للملوك والحكام - فسنوات ضرب النقود حددت الى حد كبير سنوات حكم بعض الحكام التى لم تكن معروفة. كما ان بعض هذه المسكوكات ضربت فى مناسبات تاريخية معينة فكانت دليلا عليها ، وتقسم علم النميات (Numismatics) تقدما كبيرا فأصبحت العملة تدرس من نواح متعددة من حيث ما هو منقوش على وجهها ، والمادة الخام التى ضربت منها ونسبة المادة النفيسة للمادة البخرسة ودلالاتها .

وقد كانت العملة من دلالات استقلال الدولة وتمتعها بشخصيتها المميزة .

ومن العلوم الأساسية الوثيقة الصلة بالتاريخ علم الوثائق (Diplomatics) (١)

والوثيقة - كما سبق أن أوضحنا مرارا - هى المصدر الأصلى الذى يعتمد عليه الباحث التاريخى أو المادة الخام التى يصوغ منها نميجته ، فالاستفادة منها يستلزم القدرة على قراءة الوثيقة ، ثم التحقق من صحتها وذلك يتطلب معرفة اللغة التى كتبت بها الوثيقة والخط الذى كتبت به ، والطريقة التى كانت متبعة فى ذلك العصر للكتابة الرسمية ، والأسلوب المستخدم فى الكتابة والمصطلحات - الى غير ذلك من الدراسات التى لا بد

(١) وجدت بفرنسا مدرسة خاصة لدراسة أصول وأسس التوثيق ويطلق عليها اسم (مدرسة الوثائق Ecole Des Chartes) ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات كاملة . هذا وقد اشار البعض لامية ما اطلق عليه (علم الكشافات) أو (علم المراجع التاريخية) وقد اشار لذلك لانجلو (Langlois) فى كتاب له عن « علم المراجع التاريخية "Manuel de Bibliographie Historique"

منها للتحقق من أن الوثيقة أصلية وسليمة ليتم مزورة ، وهكذا تتضح أهمية علم الوثائق وهو علم قائم على أسس وأصول ، وترتبط بذلك دراسة الاختتام التي كانت تختتم بها الأوراق الرسمية وغير ذلك من الدراسات كدراسة الشفرة التي تصدر بها بعض المكاتبات ومفتاحها وطريقة قراءتها . وقد تقدم هذا العلم أخيرا تقدما كبيرا وتفرع وأصبح هناك متخصصون فيه ومدارس لتدريسه .

كذلك - كما أشرنا - فإن دراسة الخطوط المختلفة المستخدمة في عصر من العصور وتطورها ومميزاتها تفيد في الحكم على سلامة الوثيقة من عدمه . وهذا بالطبع يهم الباحث التاريخي في المقام الأول .

وأنكر على جيبيل المثال أنني اطلعت في دار الوثائق بالرباط بالمغرب على العديد من الوثائق العربية بالخط المغربي القديم - وهي وثائق لها أهميتها لأنها تكشف عن حقائق فريدة ، وتحتاج الاستفادة منها لمعرفة هذا الخط وتفهمه ، ويقال نفس الشيء عن المخطوطات العربية النسخة التي تخص تاريخ البلاد العربية بشمال وغرب أفريقيا وتاريخ بلاد الاندلس طوال فترة الحكم العربي - التي تزخر بها (مكتبة الاسكوريال) في مدريد بإسبانيا .

ويحتاج المؤرخ للامام باللغة التي كانت سائدة في العصر الذي يدرس تاريخه أو الدولة التي ارتبطت بهذا التاريخ - فعثلا الباحث في تاريخ مصر في العهد العثماني عليه أن يلم باللغة التركية التي كانت سائدة في ذلك العصر ليستفيد من الوثائق الأصلية الهامة التي يدار الوثائق بالقلمة وأغلبها بالتركية والقليل منها ترجع الى العصرية في أوقات معينة ولإراسسات محددة (١) .

كذلك من يتعرض لتاريخ الاستعمار الفرنسي في غرب أفريقيا أو شمالها أو للاستعمار البريطاني في نيجيريا مثلا أو جنوب أفريقيا - لابد أن يعرف اللغة الفرنسية أو الانجليزية معرفة طيبة ليستفيد من الوثائق بالمكتبة الأهلية

(١) اللغات يطرأ عليها تطور ، والفاظ قد يكون لها مدلولات تختلف في العصور المختلفة . فعثلا اللغة اللاتينية واللغة الفرنسية المستعملتين في العصور الوسطى تختلفان تماما عن اللاتيني الكلاسيكي ، والفرنسي الحديث - وسنشير لهذا بالتفصيل فيما بعد .

بياريس أو التي صدرت عن فرنسا أو انجلترا أو المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية في البلد المستعمر (كان يطلق على بعضها فيما قبل وزارة المستعمرات) *

ولا شك أن الاعتماد على ما نشر من مجموعات الوثائق أو المعاهدات والاتفاقات لا يغني بحال من الأحوال ، ولابد أن يطلع الباحث بنفسه على الوثائق الأصلية ويختار منها ما يرى نشره أو استخدامه وما يلقي الضوء على موضوع بحثه وما يؤيد رأيه أو ينقض رأيا شائعا إلى غير ذلك ، فهذه هي الإضافة الحقيقية المطلوبة من الباحث *

فاجادة اللغة التي كتبت بها الوثائق الأصلية المتصلة بالبحث أمر جوهري ، ولا يجدر بالباحث التاريخي أن يتصدى لموضوع يعلم أنه يجهل لغة مصادره الأصلية إلا إذا كان عازما عزمًا أكيدا على تعلم هذه اللغة والرجوع للوثائق الأصلية المكتوبة بها *

وقد طالب الفيلسوف الألماني شليجل (Schlegel) دارسي التاريخ الألماني بأساس لغوي قوى يمكن الباحثين من البحث في السجلات ، وانتقد ظاهرة أن ما قام به الأجانب - كما ذكر - أكثر بكثير مما أتجهه الباحثون الألمان ، وكان لمقاله هذا فضل كبير في العث على ما عرف « بدراسة اللغويات التاريخية » (١) *

وفيما يتعلق بدراسة الوثائق الأصلية باللغة الأصلية لهذه الوثائق - أشير إلى أن بعض الدول استنتت سنة حميدة بأن تلتزم كل فترة بنشر بعض الوثائق التي مرت عليها فترة زمنية تتيح نشرها دون المساس بمصلحة الدولة - مثال ذلك الكتاب الأزرق البريطاني والأصفر الفرنسي *

هذا على أننا نشير أيضا إلى أن بعض المعاهدات والاتفاقات الدولية التي تنشر نصوصها في حينها ظهر فيها بعد أن ما نشر عنها لا يمثل إلا جانباً واحداً من الحقيقة ، فهناك اتفاقات سرية ملحقه بالاتفاقات العلنة وبعضها أكثر من البنود الأصلية أهمية - كذلك أشير إلى أهمية الاطلاع - أن أمكن - على محاضر جلسات المفاوضات بين الأطراف المختلفة مما يستلزم اطلاع الباحث

بنفسه على ما دار فى هذه الجلسات فهو يكشف عن حقائق مذهلة لا يمكن الوصول اليها من مجرد الاطلاع على ما نشر أو ترجم من النتائج النهائية للمناقشات - وكل هذا يتطلب معرفة الباحث باللغات الأصلية للدول الأطراف فى الأحداث التاريخية .

وهناك العديد من العلوم الأخرى وأوجه المعرفة التى قد يحتاجها الباحث التاريخى .

على أن أهمية كل علم منها - الى جانب الثقافة العامة المشتركة - تختلف حسب الفترة الزمنية للباحث وتخصصه .

فالباحث فى تاريخ مصر القديم يلزمه الايام باللغة الهيروغليفية بينما يحتاج الباحث فى فترة الحكم الرومانى لمصر الى الايام باللغة اللاتينية أو اليونانية وهكذا . وقد أشرنا الى أن من يتعرض لفترة الحكم العثمانى يلزمه معرفة اللغة التركية - بينما قد تكون دراسة الوثائق مثلاً وطريقة الحكم عليها والاستفادة منها شيئاً عاماً مشتركاً لا غنى عنه للمخالفين من الباحثين فى مختلف عصور التاريخ باعتباره أساساً من أسس البحث العلمى السليم . وهكذا يستطيع الباحث باعتباره أساساً من أسس البحث العلمى الأمر - أن يحدد ألوان المعرفة اللازمة له - وأن يحدد بحث ذلك موقفه من الاقدام على البحث فى هذا الاتجاه أو الاحجام عن هذا الميدان .

ويعطى د. أميد رستم مثلاً من يتصنى لدراسة موضوع فى تاريخ العرب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر - يسوقه كمثل لضرورة الايام بما أطلق عليه (العلوم الموصلة) وهى تسمية مشتقة من علم التفسير - فيذكر أن هذا الباحث يلزمه على الأقل أن يلم باللغات العربية، والتركية، والفرنسية، والانجليزية . والامانية إذ أن أصول هذه الحقبة من التاريخ ترد فى هذه اللغات (١) .

هكذا يحتاج الباحث فى التاريخ للام بالوان متعددة من المعرفة ليقوم بعمله على خير وجه .

هذا بالإضافة الى الحاجة الى معرفة الخطوط العربية المختلفة .

الفصل الخامس

بعض الصفات الواجب

توفرها في المؤرخ

(السلوك النافس بالمباحث)

مباحث هذا الفصل :

- التحلي بالجلد والصبر .
- الدقة والأمانة .
- الحيطة لازمة للمؤرخ .
- عدم تكوين رأي مسبق (ارادة المعرفة) ، اى الرغبة الحقيقية في الوصول للمعرفة .
- ملكة الربط بين الأحداث المتناثرة .
- الاستعداد لتقبل آراء الغير .
- الحاسة الزمنية .
- التأمل الهادئ .
- الموضوعية (لا تتنافى مع قوة الشخصية والائزان العلمى) .
- القدرة على التعبير بأسلوب علمى .
- التواضع .

البحث التاريخي ليس بالأمر السهل البسيط ، فهو يتطلب أن تتوفر في المؤرخ شروط قد لا يمكن توافرها في غيره ممن يتعرضون للألوان الأخرى من الكتابات الأدبية مثلا أو البحوث في مجالات أخرى .

فمن الصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في المؤرخ - أو ما أطلق عليه المؤرخ الألماني تيودور مومسن « بالسلوك النفاص بالباحث في مجال التاريخ » (١) :

الجهد والصبر

فالباحث في ميدان التاريخ يحتاج للمسعى وراء المعرفة مهما تكبد من جهد ووقت ، فهو يواصل البحث في دور الوثائق ، ويطلع على العشرات منها وقد لا يجد فيها ما يضيف جديدا أو يخدم بحثه ، ومع ذلك فيجب ألا يقتابه اليأس بل يتابع البحث طالما هو يسير في الطريق السليم ، ونفس الشيء قد يحدث فينا يتعلق بالعديد من المراجع التي يلزمه أن يرجع إليها لتناولها العصر الذي يبحث فيه أو لصلتها بالموضوع الذي يكتب عنه ، وقد يطوى عشرات الصفحات فلا يكاد يجد جديدا يختم موضوعه .

والبحث في الوثائق الأصلية بأوضاعها الحالية ولغتها ، وطريقة كتابتها الخ ... يحتاج إلى صبر وإناة في محاولة لحل غموضها أو معرفة مدلولها أو ظروف صدورها ..

ومن يستعجل الوصول إلى المعلومات التي تلخدم بحثه يخطئ في الحقيقة لأن هذا سيكون بلا شك على حساب الدقة المطلوبة .

يضاف إلى هذا أن الوثائق نفسها ليست غالبا تحت أيدي الباحثين فهي مبعثرة هنا وهناك في دور المحفوظات ، والباحث عليه أن يسعى إليها حيث هي ، ولا يهمل منها شيئا مهما كان بعيد النال وبهما تطلب الوصول

(١) تيودور مومسن - مؤرخ ألماني - اشرنا إليه أكثر من مرة ، ومن أشهر كتبه « القانون الدستوري الألماني » كتبه في السنوات ١٨٧١ / ١٨٧٥ - وله كتاب آخر عن « التاريخ الروماني » .

اليه من جهد ومال ووقت - فالمطلوب من الباحث أن يلم بكل ما هو متعلق
ببحثه من وثائق أو كتابات غير منشورة أو منشورة .

ويشير انجلو وسينوبوس الى ذلك بقولهما : « ان الفضيلة الأساسية
في المؤرخ هي الصبر ٠٠ لا تشتغل بسرعة ، وأعمل وكان في الإبطاء
قائدة دائما ٠٠ هذه صفات سهل قولها ، أما اتباعها فيحتاج الى مزاج رصين
- فالتاس العصبيون الشديدين الاتفعال المتعجلون دائما للانتهاء - يمكنهم أن
يعملوا عملا حسنا في مهن أخرى غير البحث التاريخي » (١) .

« ان الباحث في مجال التاريخ - كما يذكر يجب أن يطرد من ذهنه
ان البراعة (Savoir-taire) يمكن أن تعوض عن المعرفة (Savoir)
وأن العمل الرديء السهل بشيء من البراعة يمكن أن يحل محل العمل
الجيد » (٢) .

فيذكر المؤرخ الألماني فون رانكه (Ranko L. Von) أنه يجب أن يكون
شعار المؤرخ « اعمل - ولا تتكلم » (٣) فوظيفة المؤرخ - في رأى هذا
المؤرخ « هي بذل كل جهد سعي وراء الحقيقة ، ليس التفرع بالخراساف
الخطائية ، فالمؤرخ عليه أن يدرك أنه مطالب بأن يستخرج الحقيقة من وسط
الأحداث الغامضة » . ويقول ويجب ألا ينفر المؤرخ من غموض العالم المتغيره ،
بل عليه أن يتعلم كيف يعتاد الظلام ، وأن يرى الواقع من خلال الأحداث
الغامضة » (٤) .

كذلك يجب أن يتصف المؤرخ بالوقفة الكاملة ، والأمانة في عرض وجهات
النظر المختلفة ، وكما سنرى فيما بعد أنه مطالب بأن ينسب كل رأى لصاحبه
ولصدوره دون التواء أو محاولة اخفاء شيء من الحقيقة .

وإذا اهتمت ثقافتنا في الباحث في التاريخ مرة واحدة اهتمت الأرض

(١) انجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ٩٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٠٥ .

(٣) كاسيرر ، ارتمنت : مرجع سابق ص ٢٩ .

(٤) نفس المرجع ص ٩٠٥ .

من تحت اقدامه ، وأصبح معرضاً للشك في كل ما يقوله وما يورده من افكار وآراء .

وهناك مشكلة تثار دائماً .. هل يقدم المؤرخ الناحية القومية ، وما تطلبه منه من آراء معينة على الحقيقة إذا حدث تعارض بين الاثنين أم العكس ؟

والواقع أننا نتطلب من المؤرخ الحيطة الكاملة والنزاهة التامة ، فهو يورد الحقائق مستقاة الى مصادرها الأصلية وحين يتعرض للتحليل أو التعليق يجب أن يلتزم بالمنطق والأسلوب العلمي الذي يبنى النتائج على علل وأسباب سليمة بحيث لا تتعارض النتائج مع المقدمات .

والمؤرخ يجب ألا يكون رأياً مسبقاً في الأحداث ثم يحاول بعد ذلك أن يجمع الأدلة والبراهين على صحة هذا الرأي ، فلا شك في أن هذا الاتجاه سيؤدي الى الانزلاق والخطأ ، بعكس لو جمع المعلومات عن الحادث الذي يتعرض له من مصادرها الأصلية ، واستعرض مختلف الآراء التي كتبت عن هذا الحادث محاولاً تحليلها والوصول في ضوء كل ذلك الى الرأي الأرجح الذي يرتاح هو اليه ، ويعتقد انه - في ضوء كل المعلومات المتاحة له - هو الرأي السليم .

ويعبر المؤرخ الألماني فون رانكي (Rankel Von) من ذلك بقوله « ان عدم محاولة المؤرخ الصعي وراء الحقيقة المجردة خطيئة فادحة ، انه ضعف في إرادة المعرفة » - وأشار الى وجوب الفصل بين الأمر الشخصي والواقعي ، ووجوب الالتزام بالموضوعية التاريخية . كما عبر عن ذلك أيضاً الفيلسوف الألماني جوتيه (J. W. Von Goethe) بقوله : « ان المؤرخ يجب أن يتصف أولاً وأخيراً بحب الحقيقة » (١) .

لكن مهما يكن الأمر فأننا في الوقت الذي نتطلب فيه من المؤرخ الصدق الكامل في إبداء الرأي والالتزام بالحقيقة المجردة - لا نستطيع أن نجريه من العوامل القومية .. أو المصالح الوطنية التي قد تؤثر عن قصد أو غير

قصد - في كتاباته وآرائه التي ينتهى إليها •

نضرب مثلا بكتابات وآراء بعض الكتاب عن دور بلادهم في افريقيا •
وغيرها من المناطق التي كانت ميدانا لاستعمارهم - فمثلا سيسل جون رودس
(Cecil John Rhodes) المستعمر البريطاني - الذى اضاف بجهوده ووسائله
للالبراطورية البريطانية اجزاء هامة في جنوب افريقيا ووسطها - نجده
يبرر هذا العمل - كما يبرره غيره من دعاة الاستعمار • بان الجنس الانجلو
سكسوني عليه رسالة وواجب تجاه هذه الشعوب لنشر الحضارة فيها •
وبالذم هؤلاء في دور دولهم الحضارى وتجاهلوا الحضارات التي كانت للشعوب
الافريقية قبل مجيء الاستعمار ، وصوروا عمليات الاستغلال الهدام التي
قامت بها الدول الاستعمارية لاستغلال الثروات الافريقية دون محاولة للنهوض
بالاقلية أنفسهم - اصحاب البلد الاصليين - على انها عمليات اقتصادية
حضرية بقاء ، وصوروا ما قامت به الشركات والحكومات الاستعمارية من
مد خطوط السكك الحديدية مثلا من مناطق الانتاج الصناعى الى الموانئ
ومناطق التصدير دون مراعاة للكثافة السكانية ومصالح السكان على انها
أعمال عمرانية لا مثيل لها ، ولم يشيروا لما اصحاب الافارقة وثقافتهم
ومجتمعاتهم ونفسياتهم وثروات بلادهم من اضرار وقاسوا عامل الزمن وغيره
فأبرزوا النتائج العمرانية وما تم في مجال الثقافة والطب والعلاج •• كاذبا
أعمال بطولية متناسين السنوات الطويلة التي انقضت وما كان يجب ان يتحقق
فيها من تقدم حقيقى وتعمير •

ولذا فالباحث مطالب دائما باليقظة حين يرجع لكتابات هؤلاء الكتاب ،
ويجب ان يكون ملما بحقيقة الكاتب ، الذى يرجع له ، وثقافته وميوله
واتجاهاته الخ ••

والاعتداد على الوثائق الاصلية ومحاولة تحليلها يجنب الباحث من
الوقوع في كثير من الأخطاء ، ولذا يجب ان تكون لدى الباحث ملكة النقد
التحليل ، أو ما يمكن أن نعبر عنه (بفن نقد وتحليل المصادر) أو كما قال
الفيلسوف الفرنسى تين (Herder) « القدرة على التفسير والوصف » (١)

ويعبر البعض عن هذا « بأنه مطالب بأن يقرأ ما بين السطور » والمقصود من ذلك هو أن الباحث لا يجب أن يقرأ الوثيقة أو المادة العلمية قراءة سريعة عابرة كمن يقرأ صحيفة يومية لجرد معرفة الأخبار العامة فلا تكاد تستوقفه سوى بعض العناوين البارزة في الصحيفة اليومية - لكن كل لفظ أو عبارة يقرأها تستوقفه للتساؤل والبحث عن مدلولها ، والمقصود منها سواء ذكر صراحة أو لم يذكر والدوافع من وراءها .. هذا على أن يضع في الاعتبار أن للدبلوماسيين ورجال السياسة والكتابات الرسمية من العبارات ما قد لا يكون مدلولها الحقيقي واضحا في ذهن القارئ العادي (١) .

ويذهب المؤرخ هررد Herder الى « أن المؤرخ هو الذي يرى في التاريخ ليس مجرد المجرى الخارجى للأحداث ، بل يسعى بدلا من ذلك لرؤية روحه ، وهو وحده الذى يستطيع أن يكتشف الروح السكامنة وراء احببتها واقتنعتها » (٢) .

« ان المؤرخ - كما يقول - بخلاف المنطقى فهمته لا تقتصر على المظاهر فحسب ، بل انه يعلم عليها » (٣) .

كذلك يجب ان تكون لدى المؤرخ ملكة الربط بين الأحداث المتعددة ، وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الالماني فون همبولت (Von Humboldt) بقوله « ان مهمة المؤرخ فى الواقع تحتاج الى ادراك للواقع بالاضافة الى الخيال الخلاق الذى يستطيع وحده ربط الوقائع المنعزلة والمتنشرة فى نطاق واسع بعضها ببعض فى وحدة حقيقية » (٤) .

ان التاريخ لا يقسم - كما يبدو لأول وهلة مشهدا أو مشاهد لأحداث

(١) مثال ذلك ما اثاره تعبير (الجلاء عن اراض عربية احتلت بالقوة) فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ المتعلق بوقف القتال بين الدول العربية ولسمراثيل فى عام ١٩٦٧ وما قيل عن ان القصد ليس (الجلاء عن الاراضى العربية كلها التى احتلت بالقوة) .

(٢) كاسيرير ، أرست : مرجع سابق ص ٩ .

ملاحظة : هررد مؤرخ ألماني من مؤرخى القرن الثامن عشر .

(٣) كاسيرير أرست : مرجع سابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٣٢ .

مقابلة بل انه رواية مترابطة. الفصول ، ويمكن للمر في قوتها في هذا التوايط المقين بين فصولها - فكل ظاهرة لعلها انعكاس لآخرى وهكذا .

هذا ويجب أن يكون الباحث في نفس الوقت مستعدا لتقبل ارادة الغير ووجهة نظرهم دون أن يضيق بها ، بل وأن يكون مستعدا للاخذ بوجهة النظر المتغيرة لا كان يعتقد هو - اذا وجد من القرائن ما يؤيد وجهة النظر المعارضة لرايه وما يرجح صحتها .

ومنا ملكة هامة يجب أن تتوفر لدى المؤرخ وهي ترتبط (بالعامل الزمني) أي الحاسة الزمنية فهو يتعرض لاحداث حدثت في ازمة سابقة مغايرة لزمته من حيث الظروف الاجتماعية ، والأفكار السياسية السائدة في المجتمع والمعتقدات والمبادئ المتعارف عليها في هذه الأزمة الخ .

وهو لا يجب أن يقيس الأحداث ويربطها بأفكار وعل ومقاييس استحدثت بعد . أو بمعنى أصح أن المؤرخ يجب أن يحذر تفسير الأحداث الماضية وتعليلها بالاسباب والعلل التي لم تكن موجودة في زمنها لكنها قد تكون بارزة وواضحة اليوم - فهو لا يجب أن يجرى في عقل الناس في الماضي ما يجرى في عقولنا اليوم دون مراعاة للفارق الزمن .

مثال ذلك ما يريده العديد من الكتاب من أن من الدوافع التي دفعت محمد على المفكر في مد ادارته للضوءان وارمال حملاته ليمسك سلطانه على هذه البلاد - رغبته في السيطرة على منابع النيل الاستوائية ليكون النهر من متابعه حتى مصباته تحت سيطرته .

وقد تكون فكرة التحكم في هذه المنابع واقامة المشاريع عليها ممبا بحثت قريبا بعد - لكن لا يقبل هذا الأمر في عهد محمد على لسبب بسيط هو أن منابع النيل الاستوائية لم تكن قد كشفت بعد ولم يتم كشفها الا في عصر الخديوي اسماعيل .

وإن كان الرحالة وادنجتون (Weddington) مثلا قد أشار الى طموح

محمد على وإطاعه في أن يكون سيّداً على سكان وادي النيل ومن يشربون من مائه من الحبشة حتى البحر المتوسط (١) .

١٠ إلا أن مسألة الحكم في مشروعات الرى على النيل التي ردتها المراجع المتعددة لم تخطر أبداً على عقل محمد على أو عقول معاصريه (٢) . ومثال ذلك أيضاً ما تردده الكتب عن « المثل الأعلى للفضيلة والحرية الذي ينسب للرومان » فالحقيقة أنكما ذكر فستل دي كولانج (Fustel de Coulanges) في كتابه « المدينة القديمة » الذي درس فيه العبادات والقوانين والنظم عند اليونان والرومان « أن القدماء لم يعرفوا الحرية في حياتهم الخاصة ، كما أنهم لم يعرفوا الحرية في التعليم ، أو الخدمة المدنية ، وكانت شخصية الفرد ذات قيمة ضئيلة إذا قورنت بالسلطة الصارمة التي تكاد تكون مقدسة والتي تمتعت بها ما نسميه (بالدولة) أو الوطن .. وكان المعتقد هو أن الواجب يقضى بأنه على كل من الأخلاق والعدالة . وللمحقوق أن تقصح الطريق لصالح الوطن » (٣) .

من هذا يتضح أن من أغرب الأخطاء الظن بأن الإنسان قد تمتع بصرية في المجتمعات القديمة — كما نفهمها نحن اليوم — فهو لم يحصل حتى على أفكارها .

إذا على المؤرخ أن يحاول بعقله وفكره أن يعيش العصر الذي يتصدى للكتابة عنه ، ويحاول أن يعيش الناس في هذا العصر أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وهذا أمر ليس باليسير . فهو يتطلب دراسة عميقة للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها للعصر موضوع الاهتمام .

لكن مع ذلك فكما يذكر رانكى (L. Ranke) يجب أن يرى الأشياء من وجهة نظر أعلى من تلك التي يراها بها أولئك الذين عاشوا وسط الأحداث فالمؤرخ — كما يقول — يسعى إلى تحويل التاريخ العاصف كله إلى هدوء

(١) Weddington : Journal of a visit to Some Parts of Ethiopia p. 91

(٢) لمن يريد تفاصيل هذه النقطة يرجع إلى :

الجلد . شوقي : تاريخ السودان وادي النيل ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) كاسير ، أرنست : مرجع سابق ص ٦٤ .

التأمل الخالص - :فصفة التأمل الهادئ هي من أهم صفات المؤرخ (١) .

وقد عبر عن نفس الفكرة الفيلسوف الألماني يوركار (J. Burchardt) في كتابه « تأملات في تاريخ العالم » فنذكر : « أن التأمل سمة من أهم سمات المؤرخ » (٢) .

كذلك رغم الموضوعية التامة اللازم توفرها في المؤرخ - فإن هذا لايعنى يحال ما محو ذاتيته ، فالشخصية التاريخية لا يمكن أن تفهم الا عن طريق الشخصية الذاتية ، ويستحيل هذا بغير تعاطف وثيق . ان الباحث الناجح هو الذى يتصف بالانزان فلا تطفئ كفة العاطفة عنده على كفة الموضوعية والحييدة ، ولا تغنى تلك شخصية الباحث وأهميته بما فيها من عواطف وأحاسيس ومشاعر .

ومن ميزات الباحث في التاريخ التواضع ، فلا يحرص ابدا على أن يفضح علنا أقل هينات تصير من الغير ، وهو لا يستخدم الفاظا ولهجة فظة غليظة ، في الوقت الذى يمجذ فيه القليل الذى يقوم به هو - وقد ذكر أنجلو وسينيوس : ان العالم دى كانج كان يقول عن أعماله بكل تواضع - تكفى العيون والأصابع لعمل مثلها وأكثر . . واننى اذا كنت أدرس وأبحث فما ذلك لايلام الآخرين » (٣) .

والمؤرخ كغيره من المتصدين للبحث العلمى يجب ان يتصف بالقدرة على تنظيم المعلومات وتصنيفها والاستفادة منها في موضعها المناسب . وقد يكتسب هذا بالمران والتدريب لكن يحتاج الأمر أيضا الى عقل راجح وذكاء وقدرة على ادراك التسلسل بين الأحداث ، وعلى المقارنة بينها والربط بحيث تكون سلسلة متصلة تؤدى الحادثة الى أخرى .

ويعاب على كثير من الكتابات التاريخية انها تقتصر لهذا التسلسل الزمنى فيشوبها الاضطراب بحيث لا يستطيع القارئ أن يقتبع تسلسل وتتابع

(١) كاسبر ، ارتست : مرجع سابق ص ٦٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٨ .

(٣) أنجلو وسينيوس : مرجع سابق ص ١٠٤ .

الأحداث تاريخيا ، وأن يدرك مدى ارتباطها بعضها ببعض الآخر .

كذلك فإن المؤرخ يجب أن يتميز في كتابته وطريقة عرضه للأفكار بأسلوب علمي سهل ، وبعبارات واضحة - فيجمع بين سلامة اللغة ، وسلامة الأسلوب ، ووضوح الفكرة - وستعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن كتابة البحث وما يراعى في ذلك .

هذه بعض الصفات التي يلزم أن يتصف بها المؤرخ - نذكرها على سبيل المثال لا الحصر .

وأشير في ختام هذا الفصل إلى الصفات التي ذكر فرنسيس بيكون (F. Bacon) أحد مؤسسي العلم الحديث أنه يجب توفرها في الباحث فقال « عقل له من سرعة البادرة والقدرة على الشمول والاحاطة ما يكفيهِ للمقبض على وجود الشبه بين الأشياء ، في الوقت ذاته له من الرسم ما يكفيهِ لتعيين وجود الاختلاف الدقيقة والتمييز بينها » . عقل وهبته الطبيعة الرغبة في البحث ، والصبر على الشك ، والتوق إلى التأمل ، والنجاسة قبل التاكيد ، والاستعداد لاعادة النظر ، والحذر الشديد في التصنيف والترتيب . عقل لا يأخذ بما هو جديد ولا يمشق ما هو قديم ، ويمقت كل أنواع النفاق ، (١)

(١) مالك ، شارل وآخرون : عرجع سابق ص ٠ ص ٦ ، ٧ نقلًا عن :

Me Clure, Mathew Thompson: Bacon Selections (London, 1928), pp. 9-10.

الجزء الثاني

منهج البحث التاريخي

مباحث هذا الجزء :

الفصل السادس :

اختيار موضوع البحث

الفصل السابع :

المراجع والمصادر

الفصل الثامن :

نقد الأصول التاريخية •

الفصل التاسع :

ترتيب المادة التاريخية المجموعة •

الفصل العاشر :

كتابة البحث التاريخي (العرض)

الفصل السادس

اختيار موضوع البحث

مباحث هذا الفصل :

- أهمية حسن الاختيار .
- مهمة الباحث وليست مهمة المشرف .
- الفرق بين الباحث في المرحلة الجامعية الأولى والباحث في مرحلة الدراسات العليا .
- (الهدف من البحث في كل مرحلة منهما)
- المقصود بالجديد المطلوب من الباحث في الدراسات العليا .
- البيان الأولى (مشروع البحث) الذي يقدمه الباحث ومناقشته في جلسات التسميئة وقيمة ذلك (قبل تقديمه للجهات الرسمية)

يمر البحث التاريخي في مراحل سنتقيهما مع الباحث بالتفصيل في
القسم التالي (١) .

ويعتبر اختيار موضوع البحث من أهم الأمور وأصعبها ، والتوفيق في
هذه المرحلة يعتبر المفتاح الأول الذي يفتح الطريق وبمساعدة أمام الباحث .

ويجب أن يدرك الباحث أن اختيار الموضوع الذي سيقضى فترة طويلة
في محاولة تقصى حقائقه - مهمته هو في المقام الأول ، وأن مهمة المشرف
في هذه المرحلة لا تقتدى الإرشاد بالرأى بحكم خبرته وسعة علمه ، لكن
لا يجب أن يعتمد الباحث كلية على المشرف في هذا الأمر .

ويختلف الأمر في حالة الطلاب البعثيين في الكليات الجامعية عنه في
حالة الباحث في الدراسات العليا ، والذي يهدف للمصنوع على درجة
(الماجستير) أو (الدكتوراه) في مادة تخصصه .

فالهدف من البحث عند الطالب في المرحلة الجامعية الأولى هو التدريب
على الطريقة الصحيحة للبحث التاريخي ، وعلى المنهج السليم في البحث،
فهو غير مطالب بأن يضيف جديدا لمعلوماتنا المتصلة بموضوع البحث - لكنه
مطالب بأن يقدم بحثا يراعى فيه شروط البحث التاريخي بما يطمئن على أنه
ألم بهذه الشروط وأنه قادر في المستقبل على أن يسير في الاتجاه السليم
للبحث ، كما أن هذه المرحلة فرصة لتعرف الباحث على المكتبات العلمية
الموجودة على الأقل في دائرة الكلية أو الجامعة التي يدرس فيها ، وعلى بعض
دور الكتب في بلده ، وعلى الطريقة المثلى للاستفادة من هذه المكتبات
وبما بها من كتب ومراجع .

ويرجع الطلاب عادة في هذه المرحلة بإرشاد أستاذهم إلى عدد محدود
من الكتب التي تتناول موضوع بحثه .

(١) يعرف د. عبد الرحمن بدوي « منهج البحث » بأنه - طائفة من القواعد
العامة الموضوعية من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم - انظر :
بدوي ، عبد الرحمن : منهج البحث العلمي ص ٢

ومن أهداف هذه المرحلة أيضا أن يتدرب الطالب على الطريقة المثلى في كتابه موضوع ما ، من حيث التوبيي أو التقسيم . ومن حيث الألام بجوانب الموضوع المختلفة .

وقد يحاول الطالب أيضا في هذه المرحلة أن يعرض رأيين أو أكثر من الآراء التي أثبتت في كتاب أو كتابين مطقرا ويحاول أن يتأرن بينهما . وأن أمكن أن يترجى رأيا على الآخر .

وإن كان الوصول الى هذه المرحلة غالبا لا يكون الا بعد فترة من الدراسة الجامعية الأولى حين يكون الطالب قد قطع مرحلة طيبة في هذه الدراسة .

فالمطالب قد يبدأ بمجرد محاولة لتلخيص فصل من كتاب ، ويصدرج الى محاولة أن يكتب بنفسه موضوعا عاما مستندا الى كتابين أو ثلاثة ، وهكذا حتى يصل أن تكون عنده ملكة النقد والتطليل والتمييز بين الصحيح وغير الصحيح فيما يقرأه مستندا على أساس سليمة للنقد .

وبالطبع يحتاج الطالب قبل أن يبدأ في بحثه لقرجيات - عن البحث العلمي ، والهدف منه ومنهجه . الخ . وعادة يدرس الطالب هذه المواضيع في دروس (منهج البحث التاريخي) ، وأن كانت بعض الكليات لا تخصص ساعات محددة لهذه الدراسة في هذه المرحلة وتكتفى بتوجيهات وإرشادات الأساتذة ، ثم يكلف الطلبة بأبحاث بسيطة قد تناقش وتلخذ أساسا لتوضيح نقاط الضعف ، ومواضع القوة في البحث العلمي .

ويمكن أن نجل الأهداف التي نتوخاها من البحث التاريخي في المرحلة الجامعية الأولى فيما يلي :

١ - تدريب الدارسين على كيفية الألام بالعناصر الرئيسية لموضوع تاريخي .

٢ - تدريبهم على كيفية التركيز على الهام من المعلومات بحيث يستطيع الدارس أن يعطى تصورا كاملا لموضوع ما في صفحات قليلة .

٢ - استخدام المكتبة ومعرفة - كيفية التعامل معها ، ومع القائمين بأمرها ، فيعرف الطالب أنواع الفهارس بالمكتبة ، وطريقة تصنيفها ، ونظام الاستشارة الداخلية والخارجية بها ، كما يقضى أوقانا للقراءة فيها ، وهو يكتسب في كل ذلك خبرة ومعرفة .

٣ - تكوين عادة القراءة الجادة عند الدارسين بحيث لا يكتفى الطالب بما يأخذ من محاضرات ، بل يعتمد على أن يحاول الحصول على المزيد من المعلومات من الكتب والمراجع الأخرى ، ويجد في ذلك اشباعا لرغبة عنده للقراءة والاطلاع والحصول على المعرفة بنفسه .

٥ - معرفة المنهج السليم للبحث التاريخي ، وطريقة تقسيم البحث ، والكتابة السليمة والعرض .

٦ - الطريقة الصحيحة لكتابة (هوامش) البحث والاستعمالات المختلفة للهوامش .

٧ - ملاحق البحث من خرائط ووثائق وموضوعها من البحث وقيمتها .

٨ - طريقة تنظيم مكتبة البحث (المراجع والمصادر) في نهاية البحث .

وهكذا يرجى أن يكتسب الطالب كل هذه الخبرة في مرحلته الجامعية الأولى .

والحقيقة التي يجب أن نشير إليها هنا هي أن إجماع الغالبية العظمى من الدارسين بجامعةتنا عن متابعة القراءة والدرس بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية الأولى - يرجع أولا وقبل كل شيء إلى عدم التدريب على القراءة ، وعدم ممارسة هذه العادة أثناء الدراسة الجامعية والاكتفاء بجهد الأستاذ ممثلا في المحاضرات التي تملأ أو تطيع .

وهذا هو السبب فيما نشكو منه من أن الدراسة الجامعية أصبحت لا تختلف كثيرا عن المرحلة السابقة لها من مراحل التعليم العام ، فالامر

لا يخرج عن كون الطالب قد حصل على قدر أكبر من المعلومات في نطاق تخصصه ، بينما الهدف الأساسي من التعليم الجامعي وهو تكوين طلاب قادر على الحصول بنفسه على المزيد من المعلومات والمعارف عن أى موضوع - يجنب نظره - لم يتحقق بعد •

ومن هنا قيل عن أسباب هذا القصور من كثرة عدد الطلاب أو غير ذلك - فإن الهدف يجب ألا يخيب عن انتظاراتنا ، ويمكن تحقيقه بوسائل متعددة بتوجيه الطلاب بمختلف الطرق والوسائل للبحث والتنقيب وراء المعرفة ، والاهتمام بالمكتبات الجامعية ، وإرشاد طلابنا لطريقة الاستفادة منها •

وإذا كان الطالب في هذه المرحلة الجامعية الأولى ليس مطالباً - كما ذكرنا - بالقيام بأشياء جديدة على موضوع ما ، وأن هذه المرحلة تعتبر مرحلة تدريب وتعميد على البحث والقراءة والكتابة السليمة فحسب - فإن المرحلة الجامعية التالية • والتي يطلق عليها في بعض الجامعات مرحلة (الدراسات العليا) تتطلب تعمقاً أكثر وإضافة جديدة في موضوع البحث •

ولذا فاختيار موضوع البحث في هذه المرحلة ، والمراحل التي يمر بها يختلف تماماً عن المرحلة السابقة •

وفي أغلب جامعاتنا يمر الطالب - قبل أن يسمح له باختيار موضوع بحثه والتفرغ له • بمرحلة مبدئية في العادة عام دراسي كامل يطلق عليها (السنة التمهيدية) • فيها يدرس بعض الموضوعات في مجال تخصصه بالإضافة إلى أنه يكلف بأعداد بحوث خاصة في هذا المجال •

وقد تختلف الدراسة والنشاط المصاحب لها في هذه السنة حسب التخصص الدقيق للطالب • فالطالب الذي اتجه للتخصص في التاريخ الشرعوى القديم يدرس موضوعات تختلف عن الطالب الذي يتجه لدراسة التاريخ اليونانى أو الرومانى وبالمثل الذى يتجه لدراسة التاريخ الوسيط أو الإسلامى أو من يريد التخصص في التاريخ الحديث •

وبالطبع هناك شروط تشترط الكليات الجامعية توفرها في الطالب •

بالإضافة الى رغبته الشخصية - كتعدد التخصص الذى يسمح له بالبحث فيه ، كالاسترشاد مثلا بتغييراته فى فرع التخصص الراغب فيه طوال سنه دراسه الجامعيه الاولى .

وان كان الامر يختلف فى الجامعات الأوربية حيث ان رأى الأستاذ المشرف هو الحكم - غالبا - فى ذلك فهو القادر على الحكم على مدى قدرة الطالب على متابعة الدراسة والبحث فى المجال الذى اختاره .

ولعل جامعاتنا لجأت الى هذا الاجراء بتخصيص عام للدراسه التمهيدية لمرحلة الماجستير فالدكتوراه بعد أن ثبت أن ما يكتسبه الطالب خلال فترة الدراسة الجامعية الأولى من تدريب على البحث غير كاف ، كما انه يمكن فى هذا العام التمهيدى التعمق فى دراسات تخصصية يحتاجها الباحث فى المجال الذى اختاره لتخصصه كدراسه لغة جديدة أو التعمق فى لغة بذاتها كاللاتينية واليونانية للباحثين فى تاريخ اليونان القديم أو تاريخ الرومان ، واللغة المصرية القديمة لمن سيتخصص فى التاريخ الفرعونى واللغة التركية العثمانية للباحثين فى تاريخ مصر الحديث .

هذا بالإضافة الى أن بعض الكليات تعتبر هذا العام التمهيدى فرصة للحكم على مدى قدرة الطالب على الاستقرار فى النهج والدراسة للمرحلة القادمة . وذلك بعد أن زاد عدد المتقدمين للدراسات العليا عن امكانيات الأساتذة على الاشراف والتوجيه السليم - فهى مرحلة من مراحل التصفية ووسيلة من وسائل الاختيار أو التوجيه الصحيح .

وقد يوجه الطالب فى هذه المرحلة فى أبحاثه الى اختيار موضوع معين يتعمق فى القراءة فيه ويقدم بحثا أو أبحاثا كتمهيد لأن يسجل الطالب هذا الموضوع ويستمر فيه كموضوع مختار لبحثه المقبل .

وعادة تعقد فى أثناء هذه السنة التمهيدية حلقات للبحث (سيمينار) (١)

(١) لفظ سيمينار (Seminar) يعنى حلقة دراسية ، أو مجموعة من طلاب الجامعة منصرفة الى موضوع من موضوعات الدراسات العليا والبحث العلمى بإشراف أحد الأساتذة .

يحضرها الأساتذة وطلاب الدراسات العليا - وهذه الحلقات عظيمة الفائدة لطلبة الدراسات العليا ، مما يقدمه الدارسون من أبحاث وأوجه نشاط أخرى وما يدور فيها من مناقشات وتبادل آراء وتقدير بناء يفيد الباحثين الجادين .
فأية كبيرة ، ويسهم في تقدمهم وتثبيت أقدامهم في مجال البحث وما يتطلبه من شروط ، ويكتسبون - في هذه الحلقات الكثير من خبرات العديد من الأساتذة المحنكين الذين يشتركون في هذه الحلقات الدراسية .

وبالطبع يتوقف مدى الاستفادة من هذه الحلقات على الدقة في الإعداد لها ، والحرص على أن تؤخذ مأخذ الجد ، وعلى أن تحقق الأهداف المرجوة منها .

ويخضع اختيار موضوع البحث في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه لعوامل كثيرة .

والباحث لا يمكنه أن يستقر على موضوع للبحث إلا بعد قراءات متعددة في دائرة التخصص التي اختارها . ويجب أن يضع في اعتباره أن البحث ليس موضوعا مسطحا ولا أميبا يحاول الكتابة فيه - لكنه مطالب بأن يتعمق ويحيط بكل جوانب الموضوع ، ويأتي هو بعد ذلك بإضافات علمية جديدة تتعلق بهذا الموضوع .

وبالطبع لا معنى هذا أن المطلوب أن يصطنع الباحث أحداثا جديدة متعلقة بموضوع البحث . فالإضافة المطلوبة لابد أن تكون شيئا سليما صحوحا من الناحية العلمية والمنهجية ، وقد تكون أضواء كاشفة جديدة نتيجة استخدام وثائق لم تكن معروفة ، أو كانت معروفة لكنها لم تستخدم الاستخدام السليم في معالجة الموضوع .

أو تكون الإضافة في مناقشة الآراء المتباينة التي قيلت حول الحوادث موضوع البحث والوصول لراى مرجح قائم على أساس سليم ، أو تكون عن طريق تصنيف جديد للحقائق له ما يبرره ويعطى صورة مغايرة للحدوث .
وقد تكون الإضافة ربطا للحدوث وتعليلها لظواهر لم يتعرض الباحثون لها بالتعليل والمناقشة من قبل .

أن أمر اختيار موضوع البحث - لا يجب أن يترك تحت رحمة الصرع
« فمن الموضوعات - كما يقول أنجلو وسينويس - ما لا يمكن في الحالة
الراهنة التي عليها أدوات البحث - أن تعالج إلا بفضل جهود يستنفذ فيها
العقل والعمر بلا فائدة، وليست هذه الموضوعات أقيد بالضرورة من غيرها،
ولعل يوما يمكن أن يكون غدا . يأتي فتصبح فيه ميسرة سهلة ... فلا بد
أن نختر عن قصد ودوية بعضا من موضوعات الدراسات التاريخية بدلا من
بعضها الآخر ، وفقا لكون بعض كشافات الوثائق ، وبعض كتابات المراجع
توجد أو لا توجد ، وفقا لكون الدارس لديه أو ليس لديه الوسائل للتردد
بسهولة على بعض الخزائن » (١) .

والباحث على كل حال يجب قبل أن يستقر على رأى نهائى بخصوص
موضوع بحثه أن يسأل نفسه الأسئلة التالية ويجب عليها صدق وامانة :

١ - لماذا اختار بالذات هذا الموضوع للبحث ؟

٢ - هل لم يسبق بحثه ؟

٣ - هل الآراء المتعددة والكتابات التي كتبت عنه غير كافية أو غير
صحيحة ؟

٤ - هل لديه من المصادر الأصلية كالوثائق أو الكتابات الرسمية
الأخرى ما يكشف عن حقائق جديدة أو يوضح آراء متداولة ؟

٥ - هل لديه هو كافة الامكانيات للاطلاع على ما يتصل بموضوع
بحثه من مصادر أصلية ؟

كأن يكون ملما مثلا بلغة هذه المصادر ، وأن يكون متيسرا له الحصول
عليها من أماكنها الأصلية . فإذا شعر في ضوء إجاباته على هذه التساؤلات
كلها بالأطمئنان الى أنه يستطيع أن يضيف فعلا جديدا للمعلومات المعروفة
عن موضوع البحث - يمكنه أن يستمر في بحثه - والا كان عليه أن يغير
أو يعدل من موضوع البحث .

أن اختيار موضوع للدراسة دون تقدير لطبيعة الأبحاث التي يقتضيها،
وبدون تقدير لمداهم - كما يحدث غالباً - لهو أمر يخطئ على خطر ، وكمن من
باحثين غرقوا طوال سنوات في أمثال هذه البحوث ، وكانوا أقدر على الاستفادة
لو أنهم اشتغلوا بأعمال من نوع آخر .

ومن المبادئ الأساسية التي يجب أن تراعى عند اختيار موضوع
البحث أن يكون الموضوع محددًا بفترة زمنية معقولة - وكلما كانت الفترة
محدودة أمكن للباحث أن يتعمق في بحثه وأن يلم بكافة المعلومات والكتابات
والمصادر المتعلقة بها ، وبالعكس إذا كانت الفترة طويلة أصبح من العسير
على الباحث أن يلم بكل ما كتب عن الموضوع فلا يتمدى الأمر جمع معلومات
عامة ضاربة مسروقة .

هذا على أن تحديد تاريخ البداية ، والنهاية أي (الفترة الزمنية للبحث)
لا تتم اعتباطاً ، فعلى الباحث أن يكون مستعداً للججابة عن سبب التزامه
بالفترة الزمنية التي حددها لبحثه .

فموضوع البحث مفروض فيه أن يمثل موضوعاً متكاملًا . حقيقة قد
يفتح البحث أفاقاً لبحث آخر ، وكثيرون كانوا موفقين في اختيار موضوع
بحسبهم للدرجة الماجستير ، ثم تابعوا البحث لفترة زمنية أخرى للدكتوراة .

لكن لا يعنى هذا أن الفترة الزمنية الأولى لم تكن متكاملة ، وإن النهاية
لم تكن طبيعية .

وبالطبع يحسن بالباحث منذ البداية أن يلم بموضوع البحث وأن يقرأ
كل ما كتب عن هذا الموضوع . ولا يقتصر في اختيار موضوعه وتحديد الفترة
الزمنية حتى لا يضطر أثناء البحث أن يغير الموضوع أو الفترة بالحذف أو
لاضافة ، وإن كان هذا جائزاً طاملاً وجد بالاتفاق مع الأستاذ المشرف أن
الفائدة العلمية تقتضى ذلك .

وإذا كان الطالب - في مقدمة بحثه يوضح الأسباب التي دعته
لاختيار موضوع البحث ، والتي دعته لتحديد الفترة الزمنية للبحث - فإنه
عادة يناقش ذلك مع أستاذه المشرف على بحثه فإذا اقتنعا بأن الموضوع

جدير بالبحث يستمر الباحث - مطمئنا - في جمع المادة التاريخية للموضوع الذي وقع عليه الاختيار من المراجع العامة والخاصة ومن المصادر الأصلية .

ويطلب من الطالب أن يتقدم لمجلس القسم ببيان يوضح فيه :

١ - موضوع البحث .

٢ - الأسباب التي دفعت لاختيار الموضوع المذكور والمبررات العلمية لذلك . وهي كما شرحنا سابقا قد تتعلق بأهمية الموضوع ذاته ، ورغم ذلك قلنا ما كتب فيه ، أو عدم تمرى الكتاب بدقة فيما كتبوا ، أو عثور الباحث على وثائق أو مصادر أخرى أصلية لم تستخدم من قبل لأجلالة الحقيقة عن موضوعات تتعلق بالبحث . . . الخ .

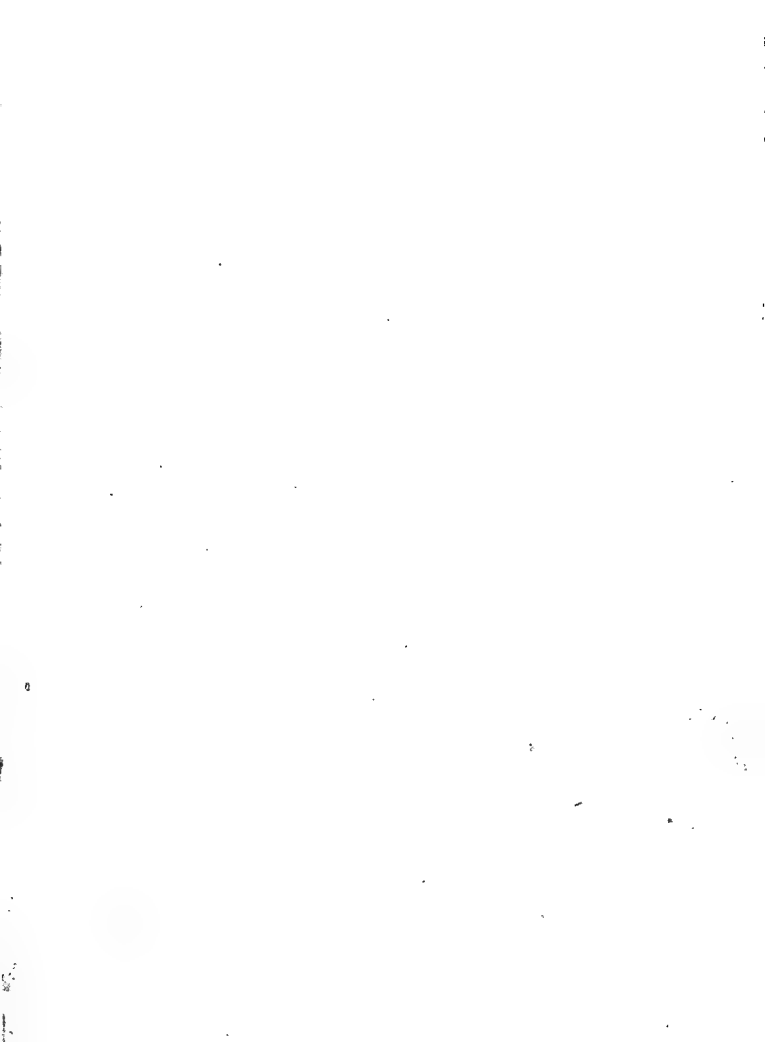
٣ - مشروعا تمهيدا للبحث (التبرير) يحدد الفصول الأساسية ، وما سيتناولها كل بالبحث .

وهذا التبرير بالطبع قابل للتعديل والتغيير حسبما يتضح للباحث أثناء بحثه ، لكنه يحدد المعالم الرئيسية لخطة البحث .

٤ - بعض المصادر والمراجع التي سيعتمد عليها الباحث في بحثه .

ولا شك أيضا في أن الباحث لا يمكنه في هذه المرحلة أن يلم بكل المصادر أو المراجع التي يحتاج إليها - فهذا يستلزم وقتا طويلا ولن يتم إلا أثناء مرحلة البحث الطويلة . . . وإثناء جمع المادة حين يصطدم الباحث بالنقاط الغامضة التي تحتاج لتأكيد أو نفي في بحثه - فيرجع للمصادر أو المراجع ليواجه الغموض الذي يحيط بنقطة ما ، كما أن المرجع عادة يؤدي بالباحث للعديد من المراجع الأخرى ، وفي طريق البحث الطويل وفي دروبه المتعددة يضع الباحث يده على العديد من المصادر والمراجع التي لم تكن تحت يده أو في ذهنه في المراحل الأولى من البحث .

والقيمة الحقيقية لكل هذه البيانات الأولية هي أن تطمئن الجهات



الفصل السابع

المصادر والمراجع

مباحث هذا الفصل :

- الأماكن التي يحصل منها الباحث على مصادره ومراجعته •
- المكتبات العامة ودور الكتب وأهمية معرفة نظامها العام وطريقة تصنيف الكتب والمصادر بها •
- كتب المراجع (الببليوجرافى) وأهميتها •
- قوائم المؤلفين ، وقوائم الموضوع •
- الدوريات وأهميتها •
- دور المحفوظات والوثائق وأرشيف وزارات الخارجية الوطنية والأجنبية •
- أمثلة لدور الوثائق : وثائق القلعة وبعض مجموعاتنا - دار الوثائق بالخرطوم - وثائق مكتبة جامعة الخرطوم - وثائق مدرسة الدراسات الشرقية فى درهام (بانجلترا) - دار الوثائق الصفاة بلمسندن (Public Record Office-London) - المكتبة الوطنية ببساريس (Bibliothèque Nationale de Paris)
- الشخصيات العلمية التي لها اهتمام بجوانب تتعلق بموضوع البحث •
- اشخاص لهم اتصال بالأحداث ذاتها •

بعد أن يستقر الباحث على موضوع بحثه يشغل نفسه فترة غير قصيرة
بجمع المراجع والمصادر الأصلية التي تخدم موضوع البحث .

وهذه مرحلة من أهم مراحل البحث لأن عليها يتوقف نجاح الباحث
في المراحل التالية :

والباحث في هذه المرحلة عليه أن يلجأ الى :

- ١ - المكتبات ودور الكتب :
- سواء مكتبات الكليات أو الجامعات أو المكتبات العامة ، أو
مكتبات الهيئات الوطنية والدولية أو غيرها .
- ٢ - دور المحفوظات الوطنية :
- ٢ - دور المحفوظات في البلاد الأخرى التي ارتبطت في تاريخها
بالدولة موضوع البحث .
- ٤ - أوسيف وزارات الخارجية .
- ٥ - الوثائق الموجودة في أماكن أخرى كالانيرة والكنائس أو طرفا
الأفراد .
- ٦ - الشخصيات العلمية التي يعتقد أن لها اهتماما خاصا بموضوع
البحث ولها دراسات فيه .
- ٧ - الأشخاص الذين قد تكون لهم أو لأسرهم صلة بالأحداث موضوع
البحث .

وسنحاول أن نوضح كيف يستفيد الباحث من كل منها .

١ - المكتبات ودور الكتب

لا بد للباحث من أن يكون ملما بكل المكتبات الجامعية وغير الجامعية
التي في وطنه أولا ثم المكتبات الهامة الخارجية .

ففي القاهرة مثلا هناك مكتبات الكليات والجامعات المصرية المختلفة
(جامعة القاهرة - جامعة عين شمس - الجامعة الأزهرية ...) وهناك
مكتبة الجامعة الأمريكية ، ومكتبات مجلس الوزراء ، والبرلمان ، وبعض
مكتبات السفارات الأجنبية أو الهيئات ، وكان لبعضها في وقت من الأوقات

أهمية خاصة لاحتوائها على العديد من الكتب النادرة . وهناك مكتبة تابعة للهيئة الأمم المتحدة (بشاردن سيتي) تحتوي على العديد من الكتب النادرة ينشأط الهيئة الدولية ، كالكتاب السنوى الذى تصدره الأمم المتحدة عن القضايا التى نوقشت طوال العام ، وما يصدر من احصاءات وبيانات رسمية خاصة بالشئون الاقتصادية وغيرها . وما يصدر من اليونسكو ، والهيئات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وغير ذلك .

ولبعض الهيئات مكتبات خاصة تحتوي العديد من الكتب والمطبوعات الفريدة . فنذكر على سبيل المثال (مكتبة جريدة الاهرام ، والجرائد الأخرى ، والأرشيف المرتبط بها) - فهى تحتوي العديد من الكتب والمراجع التى قد لا توجد فى مكتبة أخرى بالإضافة الى الصحف العالمية ، أو تطبيقاتها وكتاباتهما عن موضوع معين . كما أن لديها قسما خاصا بالميكروفيلم .

وفى مقدمة المكتبات العامة - دار الكتب القومية وهى فى القاهرة تابعة للهيئة العامة للكتاب (مقرها الحالي كورنيش النيل) (١) .

يضاف الى هذا مكتبات الجمعيات العلمية كالجمعية التاريخية ، والجمعية الجغرافية (بالتحرير) ومكتبتها تحتوي العديد من الكتب الفريدة التى قد لا نجدها فى أى مكتبة أخرى ، وهناك جمعيات وهيئات أخرى كالجمعية الأفريقية ، وجمعية الاقتصاد السياسى ، بالإضافة الى مكتبات بعض الهيئات ككتابة المعلمين .

ولا نستطيع أن نسجل هنا على سبيل الحصر كل المكتبات الهامة التى

(١) من المكتبات الشهيرة - على سبيل المثال - : مكتبة بوبلين باسكفورد ، المكتبة الاهلية بباريس ، ومكتبة المتحف البريطانى ، ومكتبة جامعة تويجين بألمانيا ومكتبة الملة فى استانبول . ومكتبة الاسكوريال للمخطوطات العربية بإسبانيا .
ملاحظة : الاسكوريال . هو الفناء الذى اكمله فيليب الثانى ملك اسبانيا فى النصف الأخير من القرن السادس عشر على قمة ترتفع عن البحر الف متر وتبعد عن مدريد بواحد وخمسين كيلو مترا .

وتشتمل مكتبة الاسكوريال اليوم على العديد من المخطوطات العربية خاصة ما يتعلق بتاريخ المغرب العربى ، وعرب الاندلس .
انظر هونكه ، زيفريد : مرجع سابق ص ٢٤٥ .

يجب أن يكون الباحث ملماً بها والتي يجب ألا يهمل أو يقصر في ارتيادها
بعثاً عما يخص موضوع بحثه •

وليس المهم معرفة أماكن هذه المكتبات الهامة وارتيادها - لكن المهم
أن يعرف الباحث كيف يستفيد من محتوياتها من مراجع ومصادر وغيرها •

وعلى الباحث أن يتعرف أولاً وقبل كل شيء - على نظام المكتبة من حيث
مواعيدها ، ونظام الاستعارة ، أو الاطلاع الداخلي بها ، والنظام المتبع في
فهرسة الكتب بها ، وهل هناك فهرس مطبوعة بأسماء الكتب حسب أسماء
المؤلفين أو حسب الموضوعات ، وهل هناك بطاقات • • وبعض المكتبات
كمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة بها ميكروفيلم للرسائل الجامعية التي
نوقشت في الجامعات الأمريكية - ولا تكاد مكتبة من المكتبات الهامة الكبيرة
تخلو حالياً من هذا القسم (قسم الميكروفيلم) • وتعتبر أقسام الميكروفيلم
بما تحتويه من ذخيرة علمية من أهم الأقسام التي يجب أن يحرص الباحثون
على الاستفادة منها - ولها بالطبع فهارسها الخاصة بها ونظامها الخاص
في استخدام محتوياتها وأغلبها مزود بما تحتاجه من أجهزة لعرض وقراءة
الأفلام •

ويجب أن يعقد الباحث صداقات مع القائمين بالعمل في هذه المكتبات ،
ويكتسب ثقتهم • فعلى ذلك يتوقف جزء كبير من المساعدات التي تقدم له •
وفى بعض المكتبات يوجد متخصصون في مختلف العلوم ، ويستطيع الباحث
بملاقاته الإنسانية أن يستفيد من خبرة هؤلاء ودرابته بمختلف المراجع
والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه في المكتبة •

وعادة يبدأ الباحث بكتب المراجع (البibliographie) Bibliothèque
التي ترشده إلى المراجع والمصادر المتعلقة ببحثه •

وهي تمد الباحث ببيانات عن المراجع والمصادر وعدد صفحاتها وأماكن
طبعها ، وسنوات الطبع ، بل أن البعض يعطى ببيانات توضيحية عن
محتويات المراجع والمصادر المذكورة •

وقد عثبت بعض الجمعيات العلمية بإصدار هذه المجموعات ، بعضها
عام ، وبعضها يتصل ببلد معين أو بشخصية معينة أو بعصر معين •

وتعد هذه المجموعات الباحث بالعديد من المراجع التي قد تقوده بدورها
لعدد آخر من المراجع والمصادر .

ومع ذلك لا تغني هذه المجموعات عن جهد الباحث نفسه الذي يجب أن
يبذله في البحث في قوائم المؤلفين أو قوائم الموضوع في المكتبات .

كذلك لا بد أن يلم الباحث ببيان بالدوريات (Periodicals)
التاريخية الهامة التي تصدرها الجمعيات والهيئات العلمية والجامعات في
الداخل والخارج . فالمجلات بهذه الدوريات لها من القيمة العلمية ما للمراجع
بل تفوقها أهمية لأنها تصدر بصفة دورية منتظمة وفي فترات منتظمة . ولذا
فهي تحرص على نشر الأبحاث والآراء الجديدة التي لا تتضمنها الكتب
بخركتها البطيئة .

ويجب أن يسجل الباحث منذ البداية وبكل دقة بيانات وأفية عن المراجع
والمصادر والكتب التي تقع تحت يديه مثل : المكتبة الموجودة بها هذه المراجع ،
وأرقامها ورموزها بيقة ، واسم المؤلف ، وسنة الطبع ومكانه ، ومحتوياتها أو
الموضوعات التي بحثتها ، وأية بيانات أخرى يرى أنها ستكون ضرورية له ،
كبيانات مثلا عن الخرائط أو الرسوم المتضمنة فيها أو المؤلف وقيمتها العلمية
واتجاهاته .

وأفضل طريقة لتدوين هذه البيانات هي استخدام البطاقات (الجزئات -
الفيش Fiches) التي يسهل تنظيمها وتبويبها ، والاستفادة منها فيما
بعد عندما يأخذ الباحث في جمع مادته وترتيبها وكتابتها بحثه .

ويمكن للباحث أن يعد البطاقات بالحجم والشكل الذي يرتاح هو له ،
كما أنها تتوفر في بعض المكتبات .

وبعض الباحثين لا يلتزم بطريقة البطاقات مع أنها أدق وأيسر طرق
البحث العلمي . ولعل ذلك يرجع لعدم التعود أو التدريب عليها .

وبالطبع يتزايد عدد هذه البطاقات بالتدريج كلما تقدم الباحث في
بحثه ، ويتيح نظام البطاقات للباحث حرية التغيير والتعديل وإعادة
التنظيم .

٢ - دور المحفوظات (الوثائق) وأرشيف وزارات الخارجية :

لا يمكن أن يقوم التاريخ الا على اساس من الوثائق . والوثائق قد تكون آثارا أو مخلفات خطية أو نقوش .. الخ .

والمعرفة فى التاريخ تبدأ عادة من الوثيقة وبالتاريخ يصنع من وثائق ، - ولهذا فالتعشور على الوثائق الخاصة بالوضع الذى ندرسه عملية هامة جدا - بل ان الغالب الا يقدم الباحث على معالجة موضوع معين الا بعد أن يعرف انه توجد وثائق تسمح بدراسته .

والبحث عن الوثائق فى مظانها هى الخطوة الاولى فى المنهج التاريخى ويطلق عليه الألمان اسم الهورستيقا (Heuristik) (١) .

وتحرص أغلب الدول على أن تكون لها دور خاصة لفظ وثائقها القومية التى تتعلق بتاريخها .

وتختلف هذه الدور من حيث الاهتمام بوضع الفهارس والكشافات لوثائقها (ايجدية حسب أسماء الأشخاص أو للموضوعات .. الخ) . وبعضها يكتفى فى هذه الفهارس بوضع أرقام للمجلدات وبينان تاريخ الوثائق المحفوظة بها ، بينما يعطى البعض وصفا ملخصا لمضمون الوثائق - وهكذا تختلف البيانات المتاحة (٢) .

وفى كثير من دور المحفوظات العديد من الوثائق غير المفهرسة أو المنظمة ولم يوضع لها ثبت فيصعب الاستفادة بها بوضعها هذا - على أن الدول والجمعيات العلمية - شعورا منها بأهمية هذه الوثائق - أخذت تهتم بتخصص الفنيين الذين يقومون بتنظيم الوثائق وعمل فهارس لها .

(١) انجلو وسينووس : مرجع سابق ص ٥ .

(٢) كثير من المحفوظات والمكتبات والمتاحف والوثائق التى كانت فى حوزة الاديرة ، والتفقات أو التى كان يمتلكها الافراد أو الحكام - وضعت فى يد الدول فى دور المحفوظات العامة - حدث هذا فى فرنسا بعد الثورة الفرنسية (فى المكتبة الاهلية بباريس) وفى المانيا . واسبانيا . وإيطاليا وغيرها من الدول .

هذا بالإضافة الى ان العديد من الوثائق أصابها التلف بسبب الإهمال،
وتبذل الجهود لترميمها *

وقد تقدمت طرق الترميم حتى يتم هذا العمل دون أن يصيب الوثيقة
أي تلف * ويدور الوثائق عادة أجهزة خاصة لتصوير ما يطلب منها
تصويره من الوثائق *

وعلى الباحث أن يتعرف على ما فى دور الوثائق - سواء الوطنية أو
الأجنبية - من وثائق تخص موضوع بحثه ، ومهما تتكلف من جهد أو مال
فى السفر والارتحال للاطلاع على ما يخصه منها ، فإن ذلك كله يهين أزاء
الفائدة التى تأتي من عثوره على الوثائق الأصلية وحسن استخدامها *

فالبحث الذى لا يقوم على المصادر الأصلية بحث ضعيف لا يرقى
للمستوى المطلوب ، والعثور على الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث
كالعثور على كنز ، لأن ذلك يفتح الباب أمام إثبات أو نفي بعض الأمور
التصلة بالبحث * والبحث يقيم عادة بمدى الاستفادة على الأصول التاريخية*
فقيمة البحث تتوقف على (الأصالة) أى المعلومات الجديدة الأصلية التى
نضيفها إلى معرفتنا *

وكما يقول المؤرخ الألماني رانكى (Ranke L. Von) « ان فحص تقارير
السفراء ، والأوراق الدبلوماسية ومضامياتها بعضها ببعض ، ثم غريلتها
واستخدامها بعد ذلك كوسيلة لفهم القضايا التاريخية - هى العمل الأساسى
للمؤرخ الحقيقى » (١) *

والمؤرخ الذى يهمل وثائق كان من شأنها أن توضح تلك التى فى متناول
يده واقتصر عليها - تكملها أو تنقصها - يكون بلا شك فى موقف أضعف
من الذى وصل الى كل الأصول المكافحة المرتبطة بموضوعه *

وستعرض فيما بعد لكيفية الاستفادة من هذه الوثائق أو الأصول
والمراحل التى تمر بها *

وقد أشرنا من قبل أكثر من مرة الى أن بعض الوثائق منشورة فى كتب خاصة أو كملحق ليحوت منشورة وبعضها غير منشور . وواجب الباحث مهما يكن الأمر أن تكون تحت يديه كافة الوثائق المتعلقة ببحثه مهما كلفه ذلك من جهد . . ومن لا يستطيع بذل هذا الجهد يجب أن يتقن على الاستمرار فى بحث الموضوع الذى يتعثر عليه الحصول على الأصول الأساسية المرتبطة به .

ولا يمكننا هنا حصر دور الوثائق أو المحفوظات لكن لا تكاد دولة اليوم تظلو من دار للوثائق القومية ، والباحث الذكى يستطيع بفطنته وإرشاد استأذنه أن يحدد دور الوثائق التى تشتمل على مجموعات تتعلق بموضوع بحثه . ولا غشاضة فى أن يبدأ بالكتابة لهذه الدور مستوصفاً الأمر ، وأن كان هذا لا يغنى بحال ما عن السفر بنفسه للبحث والتنقيب والإطلاع ومعرفة ما يخضم موضوعه من الوثائق وتصويره أو نقله ليكون تحت تصرفه عندما يأخذ فى تنظيم مادته وكتابه بحثه .

هذا ونشير الى أن بعض الوثائق قد توجد فى الأبنية (مثل بصرى مائت كاترين) ، والكنائس الأثرية ، وقد تكون طرف أفراد ارتبطت أسرهم بالأحداث موضوع الدراسة أو حصلوا عليها عن طريق أو آخر .

وقد لجأت وزارة الثقافة فى المملكة المغربية الى طريقة حميدة للحصول على صور من الوثائق العديدة التى طرف الأسر والأفراد - فهى تعلن كل عام عن جوائز ترصد لمن يتقدم بما فى حوزته من وثائق للوزارة تثبت أهميتها بعد أن تفحصها لجنة خاصة من المختصين فتصور وتعاد الوثيقة الأصلية لصاحبها .

وبهذه الطريقة يوضع تحت أنظار الباحثين كل عام عشرات الوثائق الجديدة بعضها على جلد حيوانات أو رقائق أو أوراق . . الخ . وهذه خدمة جليلة بلا شك للبحث التاريخى . فالتاريخ قائم على الأصول ، وإذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ (١) .

ولنضرب مثلاً بالوثائق المحفوظة بدار المحفوظات المصرية بالقاهرة ،

وقد كانت هذه الوثائق موجودة بقسم الوثائق بقصر عابدين ، وأتيح لؤلف هذا الكتاب فرصة قضاء سنوات متعددة للبحث فيها وأسهم بمجهود متواضع فى تنظيم وترتيب بعض ما يخص تاريخ السودان الحديث منها . وكانت تشمل على أقسام ، منها قسم خاص بالوثائق التركية وبه مترجمسون لترجمة ما يطلب منهم ترجمته الى العربية ، وقسم خاص بالوثائق الأجنبية التى كان لها صلة بمصر وأحداثها فى العهد التركى العثمانى ، ويطلق على هذا اسم القسم (Foreign Office) ويرمز له بالرمز F.O.

ونشير هنا على سبيل المثال الى بعض مجموعات الوثائق الموجودة بمحفوظات القلعة - فهى تعطى صورة واضحة لما فى دور الوثائق المختلفة من كنوز علمية تخدم البحث التاريخى :

١ - مجموعة الأوامر الشاهانية : تحتوى على الأوامر التركية الصادرة لولاة مصر .

٢ - دفاتر وسجلات المعية (تركى) : تحتوى على المكاتبات التركية بين المعية والأقاليم والدواوين .

٣ - دفاتر وسجلات المعية (عربى) : تحتوى على المكاتبات العربية بين المعية والأقاليم والدواوين .

٤ - محافظ المعية (تركى) : تحتوى على المكاتبات التركية بين الدواوين والأقاليم وبين المعية .

٥ - محافظ المعية (عربى) : تحتوى على بعض المكاتبات العربية بين الدواوين والأقاليم وبين المعية .

٦ - دفاتر وسجلات عليدين (تركى) : تحتوى على المكاتبات والمراسلات التركية الهامة بين الولاة وكبار الموظفين بالخارج كالمفتى وكذا مثلاً ، والولاة وبين الأقاليم ، وهى مرتبة بأرقام متسلسلة وأخرى فرعية .

٧ - دفاتر وسجلات عابدين (عربى) : تحتوى على المكاتبات والمراسلات العربية الهامة بين الولاة وكبار الشخصيات .

٨ - محافظ عابدين : تحتوى على بعض المراسلات الأصلية بين الولاية
وإكبار الشخصيات ، وبعضها مقود فى الدفاتر السابقة وبعضها غير مقيد .

٩ - الملفات الخاصة : عدة ملفات خاصة بشخصيات بذاتها أو
بجهات خاصة مثل :

- ملف الصدارة - خاص بمراسلات الصدر الأعظم
- وملف نظارة الخارجية خاص بمراسلات هذه النظارة .
- ملف القيوكتخدا - ملف نويسار باشا - ملف المتفرقات .

١٠ - دفاتر الأوامر : تحتوى على الأوامر الصادرة الى الجهات ،
وبعضها بالتركي ، والبعض الآخر بالعربي .

١١ - دفاتر عابدية (وارد تلغرافات) : بها صور التلغرافات الواردة
الجمعية السنية .

١٢ - دفاتر عابدين (صادر تلغرافات) : بها صور التلغرافات
المرسلة من الجمعية .

١٣ - دفاتر عابدين - وارد تلغرافات شفرة : بها صور التلغرافات
الشفرة الواردة للجمعية .

١٤ - دفاتر عابدين - صادر تلغرافات شفرة : بها صور التلغرافات
الشفرة المرسلة من الجمعية .

١٥ - سجلات الجهادية : تحتوى على الاتفاقات من الجمعية والجهادية .

١٦ - دفاتر المجلس المخصوص - تحتوى على قرارات المجلس
المخصوص .

١٧ - محافظ سايرة : جمعت فيها أشياء مختلفة من الأتاليم .

٨٨ - محافظ بحريرا تركى : تحتوى على وثائق واردة من جهات مختلفة - غير القطر المصرى - للمعية *

٩٩ - محافظ السودان جمع فيها ما امكن جمعه عن السودان منذ شملته الادارة المصرية فى عهد محمد على - وهى مأخوذة من النفاثر والسيجلات المختلفة *

٢٠ - نفاثر وارد المحافظات : عدة نفاثر لكل محافظة من المحافظات سجل فيها الوارد من المكاتبات من كل محافظة *

٢١ - نفاثر صادر المحافظات : عدة نفاثر لكل محافظة ، سجل فيها الصادر من المكاتبات من المحافظة وذلك بخط الكتاب المعينين بنفس المحافظة *

٢٢ - محافظ السودان تحتوى على مراسلات بالانجليزية ، والفرنسية وغيرهما من اللغات * بعضها مراسلات اصلية ، وبعضها غير موجود الاصل ، لكن توجد نسخة بالالة الكاتبة او مبقولة ، وعدد كبير منها منقول من ارضيف قيث *

هذا واشير الى ان المؤرخ المشهور مسيور دوان G. Douin قد استعان - استعانة كاملة بوثائق عابدين لاجراخ كتابه المكون من عدة مجلدات عن فترة حكم الخديو اسماعيل *

"Histoire du Règne de Khedive Ismail"

وقد وضعت تحت امره خيرة كتبهين ممن كانوا يعملون فى الانقسام التركية والعربية والافرنجية فى محفوظات عابدين *

وبالطبع لا بد لمن يريد البحث فى موضوع يتعلق بتاريخ السودان الحديث ان يطلع بالاضافة الى وثائق دار المحفوظات المصرية بالقاهرة الخاصة بهذه الفترة - على الوثائق الموجودة بدار الوثائق بالخرطوم *

وقد نظمت دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، خاصة ما يتعلق منها

بفترة حكم المهدي ، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم مدير
الدار (١) .

وانذكر كأمثلة لما فى هذه الدار من وثائق عن فترة حكم المهدي :

- ١ - المراسلات المتبادلة بين الخليفة وعماله على الأقاليم .
 - ٢ - دفاتر الصادر : وتشتمل على خطابات المهدي والخليفة الى مختلف
الأقاليم التي خضعت للمهدي .
 - ٣ - تقارير المخابرات السودانية المصرية .
-- Sudan Intelligence Reports (S.I.R.)
— Egyptian Intelligence Reports (E.I.R.)
 - ٤ - الوثائق الخاصة بالفترة التي قضاها غوردون أخيراً فى الخرطوم
The Life of Gordon Pasha in Khartoum.
 - ٥ - التقارير عن حصار الخرطوم وسنار وسقوطهما .
 - ٦ - تقارير المخابرات المصرية المتعلقة بالفترة من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٨
(مطبوعة) .
 - ٨ - أوامر وتعليمات السكرتير الإداري للمديرين - مثلاً :
The battle of Omdurman تحت عنوان
 - ٨ - أوامر وتعليمات السكرتير الإداري للمديرين مثلاً :
From Robertson, civil secretary to all governors.
- كذلك من أمثلة الوثائق الموجودة بمكتبة جامعة الخرطوم :

(١) نشر الدكتور أبو سليم عدة كتب عن فترة المهدي مستندا لوثائق دار الوثائق
بالخرطوم نذكر منها :

- مفهوم ولاية العهد فى المهدي (الخرطوم ١٩٦٢) .
- المهدي عليه السلام (الخرطوم ١٩٦٨) .
- منشورات المهدي (بيروت ١٩٧٠) .
- الارض فى المهدي (الخرطوم ١٩٧٠) .
- الحركة الفكرية فى المهدي (الخرطوم ١٩٧٠) .

-- دفاتر وقائع عثمان دقنه

.. مجموعة تقارير عن حصار الخرطوم وسقوطها (٢٠ أغسطس
١٨٨٧) .

اما مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بأبرهام بالجلترة : فقد أودع بها
السير ونجت Wingate الذى كان سردارا للجيش المصرى ورئيسا
للمخابرات ، ثم حاكما عاما للسودان - ما وقع تحت يديه من وثائق .

وهذه الوثائق مفهرسة ومنظمة ، وفى صناديق مرقمة ويمكن طلب
الفهرس الخاص بها من الدار المذكورة .

ومن أمثلة هذه الوثائق الموجودة بهذه الدار :

Colonel Wingate Military, Reports on the final Campaign of Um
Debiekrat (25/11/99— Box 18)

- نصيحة العوام للنحاس والعام .

ويحتاج الباحث ايضا للبحث فى دار الوثائق بلندن
(Public Record Office-London) فقد كان لانتجلترا دور رئيسى فى الأحداث
- ومما تحويه هذه الدار على سبيل المثال :

Lord Kitchener's Report on the battle of Omdurman to the War
Office (W.O. 32/6143).

هذا خلاف المئات من التقارير المشابهة والنشاطات التى تبودلت بين
الحكومة البريطانية وممثليها فى مصر وغيرهم .

واذا كانت فرنسا قد تدخلت بشكل ما فى الأحداث كما فى حادثة
فاشودة مثلا - أو لدراسة موقفها من الاحتلال البريطانى لمصر وتدخل
بريطانيا فى شئون السودان .. الخ - فاعتقد انه لا غنى للباحث عن اللجوء
ايضا لوثائق المكتبة الوطنية فى باريس (Bibliothèque Nationale de Paris)

وهكذا يتضح أن الباحث التسارىخى الدقيق يستلزم أن يطلع على

كافة الوثائق المتعلقة بموضوع بحثه ليتعرف على وجهات النظر المختلفة
للأطراف المتعددة المتصلة بالحادث الواحد .

ان التاريخ الصحيح هو ما يبنى على الأصول - ولذا فكل جهد للوصول
الى هذه الأصول لبنى عليها أحكامنا التاريخية - مهما بلغ فهو جهد مشعر
ومفيد ولا يد منه .

أرشيف وزارات الخارجية :

كثير من الوثائق المتعلقة بوزارات المبتعمرات المسابقة موجودة
بوزارات الخارجية في الدول المستعمرة ، فأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية
موجود في الكيه دورسيه ، كذلك هناك المراسلات بين وزارات الخارجية
وممثلي الدول سواء في العواصم الأوروبية أو العواصم الأفريقية مثلا أو
غيرها .

وعادة يسمح للباحث بالاطلاع على ما في هذه الأماكن من وثائق طالما قد
مضى عليها فترة زمنية بحيث أصبحت لا تمس سلامة الدولة - وذلك بعد
إجراءات بسيطة حتى يستوثق المسؤولون من أن الهدف من وراء هذا العمل
هو هدف - علمي فحسب - بالتطلع هذا باستثناء بعض الوثائق التي قد تعبر
من الأضرار التي لا يسمح بالاطلاع عليها (Top Secret).

وعادة تسمح الدول بالاطلاع على الوثائق التي مر عليها أكثر من
خمسین سنة - باعتبار أنه في خلال هذه الفترة انتهت الدواهي الوطنية
التي كانت تدعو لإجهاها . وقد بدأت بغض الدول ترفع الحظر عن الوثائق
التي مضى عليها ثلاثون عاما طالما لا تمس أحداثا جارية تدعو لبقائها في
طى الكتمان .

الشخصيات العلمية التي لها اهتمام بحوادث تتعلق بالبحث :

العلم ليس احتكارا لأحد ، بل أن العالم الحقيقي هو الذي يسمعه أن
ينتفع غيره بعلمه .

وقد تكون هناك شخصيات علمية لها اهتمام بجوانب معينة من بحثك ،
وهذه الشخصيات قد يكون من اليسر أن يتصل بها الباحث شخصيا ، وقد
يتطلب الأمر أن يكتب لها أو يتصل بها بطريقة أو أخرى وذلك للاسترشاد

برأيها أو الاستفادة بخبرتها أو لتوجيه الباحث الى مرجع خاص أو مصدر من مصادر المعلومات لم ينتبه له .

ومهما يكن من أمر فلا يجب أبدا أن يتجه الباحث هذا الاتجاه الا بموافقة الأستاذ المشرف ويتوجيه منه ، ولعله من الأفضل أن يكون ذلك بخطاب أو توصية من المشرف - والا فقد يدخل الباحث نفسه في مشكلات هو في غنى عنها .

الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث :

قد يستطيع الباحث أن يتصل ببعض الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث ، وقد تكون لديهم مذكرات مكتوبة ، وليست منشورة عن بعض ما يتعلق ببحثه .

ولا شك في أن الاتصال - إذا تيسر - بالأشخاص المشتركين في الأحداث لمعرفة رأيهم الشخصي أو الاستفسار عن أمر غامض مفيد .

فمن يتعرض - مثلا - للكتابة عن الاستعمار الفرنسي للجزائر قد يجد فائدة في الاتصال بأميرة المجاهد الجزائري الأمير عبد القادر ، وبالمثل من يكتب عن الاستعمار الإسباني في المغرب - يستفيد إذا أمكنه الاتصال بأميرة الأمير عبد الكريم الخطابي وقد يعثر لديها على مذكرات خطية للأمير كتبها في منفاه أو أثناء إقامته في مصر كلاجئ سياسي أو غير ذلك .

على أن الباحث يجب أن يكون دائما على حذر ، فلا يقبل رأيا على أنه حقيقة لا شك فيها ، بل عليه أن يقلب الأمر من جميع وجوهه قصد الوصول للحقيقة المطلقة .

هذه هي بعض التوجيهات بخصوص المصادر والمراجع التي يلجأ إليها الباحث للحصول منها على المادة العلمية الخاصة بموضوع بحثه .

وسنحاول في الفصول التالية أن نوضح إيجابيات الباحث للتحقق من سلامة الأصول وكذلك حدوده في نقد آراء الآخرين وكتاباتهم سعيا وراء الوصول للحقيقة .

الفصل الثامن

نقد الاصول التاريخية

مباحث هذا الفصل :

التأكد من أصالة النص وأنه غير مزيف •

___ النقد الظاهري :

المقصود به ، أمثلة على ما أصاب بعض الوثائق من تزيف أو تغيير •

● تقسيم الأصول المخطوطة •

● الأصول المطبوعة •

___ النقد الباطني (الداخلي) :

● المقصود به :

• (١) النقد الباطني الايجابي •

• (٢) النقد الباطني السلبي •

بعد أن توصل الباحث لمراجع بحثه ومصادره الأصلية لحل الأسئلة التي تفرض نفسها عليه وعلينا هي :

- كيف استقيد من هذه المصادر والمراجع ؟
- الى أى حد يمكن الاعتماد على مادتها العلمية ؟
- هل يجب مناقشة الآراء المختلفة ، والوصول الى رأى شخصى يرجح بعض الآراء ، وينفى الأخرى ؟
- وما الحدود التى يجب ألا يتخطاها الباحث فى ذلك ؟
- كيف يسجل الباحث بعد ذلك ما وصل اليه من نتائج ؟
- ما الصورة النهائية التى يجب أن يكون عليها البحث ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نوضح أولا المراحل التى تمر بها المادة العملية (المادة الخام) لتصبح مادة صالحة لبناء النسيج الذى يتكون منه البحث .

ولنبداً بالأصول التاريخية وكيفية الاستفادة منها :

لما كانت الحقيقة فى ذاتها هى الهدف الذى يرمى اليه الباحث - لذلك كان لا بد من التأكد من أن (الأصول) أو الوثائق التى يبنى عليها استنتاجاته صحيحة وأنها ليست مزيفة تزيفاً كلياً أو جزئياً .

وقد ظهر أن كثيراً من الأصول التى استخدمت فى الماضى دون نقد أو تمحيص مزيفة ، وبالأطبع فكل ما يبنى عليها من استنتاجات لا قيمة له ، ومن ثم ذهب كل جهد بنى على هذه الأصول المزيفة هباء .

ولذا ينصح الباحث أن يتأكد أولاً من أصالة النص بأن ينقذ الأصل - فإذا ثبتت صحته بصورة قاطعة يمكن أن يستخدمه باطمئنان .

والنص يتعرض لنقد ظاهرى ، ونقد باطنى ، والمؤرخون الآن يستخدمون لفظ (فحص Examination) بدلا من نقد .

النقد الظاهري (External Criticism) :

يقصد به التأكد من شخصية كاتب النص ، ومن صحة نسبه اليه ، وذلك بطرق مختلفة ، كاختبار نوع الحبر المستخدم ، والقلم الذى كتب به النص ، ودراسة اللغة ، والأسلوب ، والمصطلحات ، والصيغ الخاصة بالفترة التى كتب فيها النص ، هذا بالإضافة الى العادات الجارية فى ديوان من الدواوين فى زمان من الأزمنة ، أو الخصائص المشتركة بين كل الوثائق التى من نوع معين والتى ثبت يقينا انها صحيحة . فالباحث عليه ان يعدد مقارنة بين عدد كبير جدا من الوثائق المتشابهة قبل أن يصدر حكما جازما على حالة معينة أمامه (١) .

وتتطلب عملية النقد هذه جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن كاتب النص ، وهذا يخضع فى الحكم على مدى تحريره الحقيقة ، ومدى علاقته بالأحداث التى كتب عنها . وهل شاهدها بنفسه أو اشترك فيها أم انه يكتب عن أشياء سمع عنها فقط ، وهل مضى وقت طويل بين وقوع الحدث بنفسه وبين تدوينه .

فقد يكون النص صحيحا غير مزيف ، وقد يكون كاتبه من الأشخاص الذين عرف عنهم تحرر الصدق فيما يكتبون - لكن لبعد الزمن بين وقوع الحادث وبين تدوينه يلتبس عليه الأمر فيهمل ذكر تفاصيل هامة أو يخطئ عن غير قصد فى ذكر أحداث معينة . فمعرفة كاتب الأصل وتاريخ كتابته وعلاقته بالأحداث - كل هذه تهم وتخدم فى الاطمئنان على دقة ما جاء بالنص :

والنص الأصلى قد يكون بخط المؤلف أو قد يكون مملئ ويكون المؤلف قد راجع الاملاء ، وفى هذه الحالة يعتبر النص فى مرتبة النسخة التى بخط المؤلف (٢) .

ويعطى الدكتور أسد رستم أمثلة لبعض النصوص والوثائق التى احتوت

(١) أنجلو وسينو بوس : مرجع سابق ج ٣٤ .

(٢) ماس ، بول : نقد النص - (ترجمة عبد الرحمن بدوى) ص ٢٥٥ .

امورا هامة وخطيرة ونسب صدورها لأشخاص معينين - لكن ثبت بعد ذلك انها مزورة ومدمومة على أصحابها (١) .

ومن هذا القبيل نوع من التزوير لم يصل منه كثير من الأصول . ذلك ان أصحاب الكتب الخطية كانوا في بعض الأحيان يضيفون في المخطوط الذي تحت أيديهم على الهامش أو في أواخر الفصول والأبواب أخبارا أو آراء جديدة تتعلق بما جاء بالمخطوط ، وتقر الأيام وتضيق النسخة الأصلية للمخطوط ، وينسخ الكتاب مرة أخرى من النسخة المنقولة بإضافاتها ، وتدخل الزيادة في الأصل ، ويختلط الشرح بالمتن ، ويختلط الأمر على المتأخرين فينسب كل ما في النسخة الخطية المتأخرة بما فيها من إضافات الى المؤلف الأصلي . وهو نوع من التزوير فنحن ننسب للمؤلف ما هو في الحقيقة من تحريف الناسخ (٢) .

والإضافات من هذا القبيل على نوعين :

(أ) الحشو (interpolation) : - والبعض يطلق عليه لفظ (النص) ويقصد به ادخال كلمات أو جمل (إضافات) في النص لم تكن فيه من قبل .

(ب) الاكمال (Continuation) : - يقصد به إضافة لأحداث أخرى للنص الأصلي بإيد أخرى دون أن يهتم المكمل بذكر أين أبتدأ اكمالها وأين انتهى .

وفي بعض الأحيان يمكن بمرور فضل الوثيقة الأصلية عن الإضافات - كأننا نستعمل مقصدا ، وفي أحيان أخرى يختلط الأمر فيصعب تمييز مواضع اللحام (٣) .

وفي هذه الحالة تصبح مهمتنا محاولة استعادة الأصل أو على الأقل عزل الوضع الصحيح المشكوك فيه (٤) .

(١) رسمتم ، أسد : مرجع سابق .

(٢) انجلو وسينيوس : مرجع سابق ص ٥٢ ، ٦٩ .

(٣) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٣٦٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٣٥٥ .

ويعطى الدكتور أسد رسم أمثلة لبعض الكتب التي نشرت اعتماداً على نسخ خطية نُسجت فيها أخبار كثيرة ثبت فيما بعد أن تاريخ حدوث بعضها لاحق لتاريخ وفاة المؤلف الأصلي نفسه (١) .

وهكذا يصبح من اللازم التحقق من أصالة الأصول . وإن كان الأمر يستلزم من الباحث - قبل الاعتماد على الأصل - بذل جهد مضمّن سواء بدراسة الوثيقة من حيث زمن كتابتها أو أسلوبه أو طريقة التدوين في ذلك الوقت أو نوع الأوراق المستخدمة - أن كانت رسمية أو غير رسمية - أو اختتامها أو طريقة الكتابية نفسها سواء من حيث طريقة توجيه الخطاب أو الرسالة أو طريقة انتهائها ، أو غير ذلك من الوسائل التي يتدرّع بها الباحث للتأكد من أن الأصل الذي سيستخدمه صحيح . وقد يصل الباحث بعد الجهد الذي بذله لاختيار النص إلى تقرير حقيقة مرة وهي أن النص الذي بأيدينا لا يمكن إصلاحه والاعتماد عليه .

وفيما يتعلق بالأصول التاريخية المخطوطة نقسمها إلى أربع حالات :

١ - أصول يخط المؤلف نفسه ،

ويمكن للباحث إذا اطمأن بكافة الوسائل إلى أن الأصل يخط المؤلف - دون شك - أن يستخدم هذا الأصل ، وإن يعتمد عليه وهو مطمئن ويمكن أن نطلق على هذه الأصول « أصول من الدرجة الأولى » .

٢ - في حالة فقد الأصل ووجود نسخة وحيدة منقولة من الأصل على الباحث في هذه الحالة فإن يحاول دراسة هذه النسخة دراسة تحليلية ، ليس حياة المؤلف ، ويحاول أن يلم بطرقه ، وأسلوبه ، إلى غير ذلك في محاولة للوصول إلى حقيقة الأصل المجهول - ولا يجب أن نبالغ في الشك في بعض النصوص التاريخية التي لم يتألفها تغيير أو تبديل .

وهذه الأصول نعتبرها « أصولاً من الدرجة الثانية » .

٣ - في حالة ضياع الأصل ، والمثور على عدة نسخ منقولة منه فيها بعض الاختلاف .

وهذا يتطلب من الباحث دراسة مقارنة في محاولة لتصديد النص الأول
أو أقرب ما يمكن إليه .

وهناك منهج لتصنيف النسخ الفرعية ومقابلتها ببعضها (١) .

ويلاحظ أن تشابه عدد من النسخ لا يعنى بحال ما أنها هي الأقرب الى
الأصل فقد تكون كلها مأخوذة من نسخة واحدة بعيدة عن الأصل الضائع .

كما يجب ملاحظة أن الانتمية التسمية للنسخة ما ليست لها أية أهمية
وميزة عن نسخة في عصر تال (٢) .

٤ - العثور على أصل لمؤرخ مجهول .

وعلى الباحث في هذه الحالة أن يحاول التعرف على شخصية كاتب
النص ، ويتثبت من ميوله ونزعاته ودرجة علمه وذكائه واتصاله بالمؤادث
التي يروى أخبارها ، ولا بد من الوقوف على الزمن الذي كتب فيه هذه الأخبار
والمكان الذي سطرت فيه .

إن الأصول - كما يقول د . أسد رستم د هي في غالب الأحيان صلتنا
الوحيدة بحدوث الماضي - فإن أخبرتنا الخبر على حقيقته توصلنا الى الحقيقة
التي ننشدها ، وإن أرجفت فخاضت في الأخبار المخطئة أو الكاذبة أو وقعتنا
في مهاوى الضلال والتضليل . ومهمة الباحث في البحث عن حقيقة النص
وصاحبه هي أصعب بدرجات من مهمة القضاء والمحامين إذ أن هؤلاء
يتحدثون الى من ينقل الخبر اليها ويمتنعونه بالاستنتاج ، فهو مخبر حتى
ماثل أمامهم - أما مخبر المؤرخ فإنه مبيت خلا مكانه ، وطويت صحيفته (٣) .

ويعطى بول ماس - صورا للتحويلات التي طرأت على الأصول في نسخ
منقولة فيذكر منها أغلاطا في النقل مرجعها الى الإدراك حين يخطئ للنصاح
أن ثبت أغلاطا في الأصل فيصححونها لأنهم لم يفهموها - وهناك أغلاطا

(١) أنجلو وسونويوس : مرجع سابق ص ٧٢ .

(٢) بوي ، عبد الرحمن : منهج البحث العلمي ص ١٩٢ .

(٣) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٢٦ .

عرضية تحدث حينما يسهون في قراءة الأصل أو لا يعرفون أن يقرأوه ، أو حينما يسيئون السماع وهم يكتبون عن املاء ، أو حينما يرتكبون عن غير قصد سقطات قلمية أو حذف عدة أسطر مثلا (١) .

أما الدكتور عبد الرحمن بنوى فيعطى أمثلة لما أضافه النسخ لكتاب (الرسالة) للشافعى فقد طرأ فى الكلام تحريفا أو خطأ لجهلهم - فاستبدلوا به غيره ، خاصة أن الشافعى كان يستخدم تعابير فى غاية من الرصانة والجزالة ، ومثانة السبك مما يدل على عريقته الأصلية فى الكتابة - وهكذا تصبح مهمة الباحث أن يستخرج القراءة الصحيحة التى املاها الشافعى على تلميذه (الربيع) ويستبعد الغريب (٢) .

وإذا كان هذا يتعلق بالأصول المخطوطة ، فإن نفس الشيء ينطبق على الأصول المطبوعة .

وقد أورد الأستاذ قلنج أمثلة لأحداث هامة ترتبط بالثورة الفرنسية وغيرها نشرت فى أكثر من مصدر بنفس الشكل - لكن ثبت عدم صحتها لأن النص الأول لم يتحرر بدقة فيما نشره ، وأما المصادر الأخرى فقد نقلت عنه دون تحقيق (٣) .

وهكذا يتضح لنا أهمية التثبت من نصوص الأصول التاريخية قبل الاعتماد عليها ، وذلك عن طريق فحص (نقد) النص من الناحية الظاهرية أى بدون التعرض لباطن الكلام والوقوف عند معناه ومبراه .

وبنتيجة مثل هذا الفحص - كما يقول ماس ، بول - هى الحكم الأولى على النص هل هو محتمل أو غير محتمل (٤) .

(١) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٥٦ .

(٢) بنوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) Fling, F.M. : The Writing of History An Introduction to Historical Method, p.p. 90-100.

(٤) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٦٤ .

والنص غير المحتمل - هو ما يثبت بالقطع عدم صحته ، أو أنه حدث به تشويه لا سبيل إلى علاجه .

وبالطبع ليس هناك معيار مطلق للحسن أو السوء - لكن كثيرا من الباحثين -
تشعر لأول وهلة أنهم لم يبتلوا الجهد المطلوب للتحقيق من صحة النصوص
التي يستخدمونها ، وهؤلاء يوصفون عادة بأنهم يعوزهم النقد ، لكن مع ذلك
فإن الاقراط فى الشك والاتهام يكاد يكون له نفس النتائج الضارة التى
للاقراط فى الثقة (١) .

النقد الباطنى (الداخلى) (Interna criticism) :

يعتبر النقد الخارجى مجرد عملية تحضيرية - فهو مجرد نقض التراب
عن الوثائق الأصلية لاعادها للمرحلة التالية - مرحلة النقد الداخلى (٢) .
والنقد يبدأ عادة (بالتحليل) - ويتم النقد الباطنى فى مرحلتين :

١ - نقد باطنى إيجابى .

٢ - نقد باطنى سلبى .

أما النقد الباطنى الإيجابى - فيقصد به تحليل النص التاريخى
للوصول الى المعنى السليم للالفاظ كما قصد بها الكاتب ، أى للوصول الى
مضمون الوثيقة ومعرفه الظروف التى نزل فيها الكاتب النص .

فالمفروض أن نصل الى ما كان يدور بذهن كاتب النص نفسه - لا أن
نخضع تفسير النص والفاظه ومدلولاته لفكرنا نحن (٣) .

وكثيرون من الباحثين يحلون النصوص فوق ما تحتمل من معانى
والبعض لا يجذب انتباهه فى الوثيقة إلا الجملة أو الكلمات التى تعجابه مع
تصوراته هو .

وتحليل النص وتفسيره يمر بمرحلتين :

١ - تحديد المعنى الجرفى لألفاظ النص وجمله - وهذه عملية لغوية بحثة .

(١) نفس المرجع ص ٢٧٠ .

(٢) انجلو وسينويوس : مرجع سابق ص ٨٨ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١١٠ .

٢ - ادراك المعنى الحقيقي أو بالأحرى غرض كاتب النص الاجتماعي - فقد يكون قد قصد ببعض التفسيرات الرمز أو الفكاهة والتشويه أو التعريض أو الاعجاز أو المجاز اللغوي .

ولا بد من مراعاة قاعدة السياق (Le règle du Context) أي أنه يجب فهم العبارة أو الكلمة وفقا للسياق الذي توجد به فكثيرا ما تختلف معاني العبارات أو الكلمات وفقا لاختلاف الأماكن التي تستخدم فيها (١) .

ويجب مراعاة عدة حقائق نجملها فيما يلي :

١ - أن اللفظ قد يكون له في زمن الكاتب معنى غير المعنى المستخدم اليوم ، وبالمطالع كاتب النص يقصد المعنى الشائع في وقته - فالباحث عليه أن يلم بلفظ العهد الذي كتب فيه النص ، ومعاني اللفظ ومدلولها في زمنها .

٢ - تختلف بعض المفردات والالفاظ اللغوية من اقليم لآخر ، ولذا يجب أن يكون الباحث ملما بمدلول الالفاظ في المنطقة أو الاقليم المتصل بالنص ، في هذا العصر بالذات الذي كتب فيه النص ، ويمكن أن يستعين الباحث في ذلك بالمعاجم اللغوية .

كما أن على الباحث أن يكون على علم بالاضطراب الشائعة الخاصة بكتابة لغة من اللغات في عصر من العصور أو بكتابة كاتب معين (٢) .

وكما سنشرح بعد - أن المؤرخ ملتزم عند الاستشهاد بنص ما أن يتيقنه كما هو باللفظ وأخطائه - أن وجدت - فلا يجب حتى مجرد ابدال لفظ عامي بما هو مقابل له باللغة الفصحى ، وكمن المعاني القصيدة أو المامية أيضا بتغيير بتقديم أو تأخير أجزاء جملها بعضها عن بعض ، والتأريخ

(١) بدوي ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ٢٠٦ .

(٢) نفس المرجع ص ١٩٠ .

كعلم يتدلب الحقيقة كما هي لا كما يجب أن تكون (١) .

٢ - أن كثيرين من الباحثين يحاولون أن يصلوا من تحليلهم للنصوص لتأكيد فكرة سابقة (Prejudge) كونها مقدما من الوقائع - فالباحث في هذه الحالة لا يخرج عن كونه ألف نصا خياليا مكان النص الحقيقي للمؤلف، وهذا أمر غاية في الخطورة (٢) .

٤ - لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير - وكما ذكرنا سابقا - فانه يجب الامام بطريقة الكاتب في الكتابة من حيث الأسلوب واللغة، وما شابه ذلك من وسائل التأكد من صحة تمسبة النص لهذا الكاتب بالذات .

ويجدر بالباحث أن يطلع على كتابات أخرى للكاتب أن وجدت :

٥ - يجب أن نصل في النهاية الى تفسير النص كوحدة والمفروض أن يصل الباحث للمعنى الذي يقصده الكاتب ذاته وإلى نظريته الصحيحة في تصوير الأمور .

وليس معنى هذا أن يترك الباحث في التشكك في معاني اللفاظ الحقيقية - لكنه أيضا لا يجب أن يحصلها فوق ما تضمنت تضمنت الأخيار كما رواها مشاهدتها لا كما كان يجب عليه - من وجهة نظرنا - أن يربطها .

بهذه الطريقة يمكن أن يطمئن الباحث إلى أن ما تحت يده مميز تعبيريا كاملا عن وجهة نظر للكاتب .

ويوجب ماس ، بول على الباحث أن يوضح بالاشعارات الواضحة ما يرى استبعادا من النص الأصلي لأنه - كما يعتقد شخصيل عليه ، أو ما يرى اجراءه من تنغيرات أخرى لرد النص لأصله . ويطلب هو ييافا بالاشعارات التي يمكن استخدامها كاشعارات للمحذوف من النص أو المضاف على الأصل . الخ (٣) .

(١) رستم ، أسد : مرجع سابق من ٢٥ .

(٢) أنجلو وسينويوس : مرجع سابق من ١١١ .

(٣) ماس ، بول : مرجع سابق من ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الفقد الباطني السلمي : لا يجب أن نأخذ المعلومات الواردة في الأصل التاريخي على أنها تعبير عن الحقيقة خالصة - فلكثرا ما حاد الكاتب عن ذكر الحقيقة لتحت ضغط ظروف معينة أو حسب أهوائه وميوله ، بل أن الأصول الرسمية من معاهدات ، واتفاقات معلنة وغيرها ظهر أنها لا تعبر تماما عن كل الوقائع التي اتفق عليها وأن بعضها قصد به إخفاء البود المتضمنة في اتفاقات سرية لم يعلن عنها ، وقد لا يكتشف أمرها إلا بعد مضي سنوات وبعد أن تكون قد حقيقت الغرض من بقائها في طي الكتبان - وقد سبق أن اشرنا للاتفاق السري بين إنجلترا وفرنسا الملحق بالاتفاق الودي بين الدولتين في عام ١٩٠٤ .

وقد ذهب بعض علماء التاريخ إلى أن « شك المؤرخ برائد حكمته » - وأن الأصل في التاريخ الاتهام لا براءة الذمة حتى تثبت هذه البراءة بما لا يدع مجالاً للشك .

وكما يذكر أنجلو وسيتويوس - أن نقطة الابتداء للباحث هي (المشكلة المنهجية) في النص - فكل ما لم يثبت بعد ينبغي أن يظل مؤقتا موضوعا للشك . ينبغي على المؤرخ أن يرتاب في كل أقوال المؤلف لأنه لا يدري لعل قول الكاتب عن عمد أن خطأ عن غير قصد (٢) .

أحييت وجهها يكن سبب الخطأ فإذا كان الكاتب قد أعطى معلومات غير دقيقة فيستوى أن يكون قد نقل ذلك ككنا أو خطأ ، ولا جدوى من محاولة التمييز بين النوعين .

نصالحها تال - في هذا ، ينبغي الباحث في التاريخ أن يجعل قدرا كبيرا من الشك في كل نقطة البنية في بحثه (٣) .

وبالطبع فإن الباحث إذا وجد تعارضا في المعلومات الواردة في الأصول التاريخية عن موضوع معين ، فذلك يدعو للاعتقاد بإمكان وجود

- (١) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٦١
(٢) أنجلو وسيتويوس : مرجع سابق ص ١٢٢
(٣) عثمان ، حسن : مرجع سابق ص ١٢٢

الكذب أو الخفلا - ومن ثم تصيب عملية (التلقيد الباطنى السلبى) عملية
ضرورية لتصفية الحقائق وغريبتها واستبعاد الزائف منها •

وقد يضطر كاتب الأصل التاريخى أو الراوى لعدم ذكر الحقيقة تحت
ضغط ظروف معينة عن قصد أو غير قصد - منها مثلا :

١ - أن تكون هناك أسباب وراء عدم ذكر الحقيقة ، وهذه الأسباب قد
تكون سيامية أو حربية أو قومية • وهو ما يعبر عنه (بالظروف العامة
التي عمل فيها المؤلف) فالمؤلف عضو فى عدة جماعات : الأسرة ، والإقليم،
والوطن ، والفرقة الدينية ، والحزب السيامى ، والطبقة الاجتماعية ، وبالطبع
قد تكون لجماعة منها أو أكثر مصلحة يتشبع لها ، وتفرض عليه اتجاهها
خاصا (١) •

٢ - قد يقع الكاتب أو الراوى تحت ضغط ما فينحرف عن ذكر
الحقيقة •

٣ - قد تكون له مصلحة معينة يدفعه لأن يعتمد الكذب أى أن هناك
دوافع تنحرف به عن ذكر الحقيقة •

٤ - يجوز أن يكتب أوضاع الجمهور •

٥ - قد تكون هناك عوامل نفسية وراء عدم ذكر الحقيقة كالمشهور
الشخصى •

٦ - قد يكون أسلوب الكاتب نفسه ، واستخدامه للإعطاء وتراكيب معينة
يهدف التأثير فى القفس - من دواعى الحيدة عن الحقيقة •

٧ - وهناك عوامل شخصية تتعلق بقوة الملاحظة وسلامة الحواس ،
وغير ذلك مما يتوقف على مدى نفاذ المشاهد فى ملاحظة الأحداث التي
يعاينها ويروىها كشاهد عيان • ولذا فقد ذهب البعض الى أنه لا بد من مجموعة

أسئلة عامة (questionnaire) نحتكم إليها للحكم على الظروف التي احاطت بالمؤلف وبكتابة الوثيقة (١) .

ويحذر الدكتور أسد رستم من أخذ كل ما يكتبه أى كاتب مهما عرف عنه الصدق - على أنه صحيح لا يقبل الشك أو لا يستدعى الشك والبحث فى صحته من عدمه - ويضرب عدة أمثلة لذلك فيذكر مثلاً الطبرى الذى اشتهر بالعدل والصدق والأمانة لكن لا يمكن أخذ جميع أقواله قضائياً مسلماً بها ، فيجوز أن يكون صادقاً دقيقاً فى بعض ما يقول ويكون على عكس ذلك فى بعض أقواله الأخرى .

كذلك ابن خلدون لم يراع فى كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخير » - الثقة التى دعا هو إليها ، ولم يتجنب بعض الأخطاء التى دعا الى تجنبها (٢) .

ويشرح أنجلو وسينووس هذا الوضع بتفصيل فيذكر أن بعض الباحثين يطبقون على المؤلفين الاجراءات القضائية التى تقسم الشهود الى شهود عدول ، وشهود زور ، وينتهى بهم الأمر الى القول - كما فى المحاكم - أن (عبء الدليل) يقع على عاتق المفكر لشهادة مقبولة ، وهو يحذر من أخذ مجموع مؤلفات الكاتب ككل تقبل بجمليتها أو ترفض كلها (٣) .

وإذا كان النقد والشك الى أن تثبت صحة النص لازماً وضرورياً فى حالة الاعتماد على المصادر الأصلية - فالأمر أكثر مدعاة للتدقيق والتفحص والتحليل اذا اضطر الباحث للاعتماد على مصادر ثانوية لضيق الأصول الأولى .

ويعطى د . عبد الرحمن بدوى أمثلة للأحاديث المزيفة ، فيذكر مثلاً أن (عكرمة) فى روايته عن ابن العباس قد زيف الكثير من الأحاديث مع أنه روى عن صحابى ، كما أن الكثير من الأحاديث التى نسبت الى أبى هريرة

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :

Langlois, Ch. et Seignobos, Ch. : Introduction aux Etudes Historiques (Trans. by Berry, G.B. — London (1912) p.p. 166, 177

(٢) رستم ، أسد : مرجع سابق ص ٦٧ .

(٣) أنجلو وسينووس : مرجع سابق ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

غير صحيحة ، وما كان هو فى الواقع غير نكاة لكل من يحاول ان يزيف حديثا - ويتساءل الدكتور بدوى اذا كان هذا فى الاحاديث التى نعرف روايتها . فبالاخرى يكون الامر بالنسبة الى الرواة اللذين نقل عنهم المؤرخون ، وكل المؤرخين تقريبا قد اعتمدوا على رواة مجهولين (١) .

ولعل التساؤلات التى تفرض نفسها على الباحث نتيجة تحليله النصوص التى تحت يديه هى :

١ - ما الوضع لو ان حادثا تاريخيا لم يتعرض له الا مصدر واحد او كاتب واحد ، او كان لدينا مخطوط وحيد (Codex Unicas)
٢ - ما الوضع فى حالة تعارض الأصول والمصادر ، وتناقض الروايات بشأن حادث تاريخى معين ؟

٣ - وما الوضع فى حالة اذا اجمعت أصول متعددة على رأى معين ووجد مصدر يقول برأى مخالف ؟

٤ - ما الوضع فى حالة تعارض ما ذكرته الأصول التاريخية مع حقائق تاريخية معروفة ، أو اذا كانت الأحداث المذكورة لا ترابط ولا تألف بينها ؟

وقد تعرض لهذه التساؤلات كل من Langlois et Seignobos (٢) كما تعرض لها Fling (٣) وكذلك الدكتور أسد رستم - وخلاصة ما ذهبوا اليه هو :

١ - يجب ان يبتعد المؤرخ كل الابتعاد عن الروايات والآراء التى ينفرد بها رאו واحد .

وينذكر د . أسد رستم انه اذا كانت العلوم الطبيعية التى تستند على

(١) بدوى ، عبد الرحمن : مرجع سابق ص ٢١٦ .

(٢) Langlois and Seignobos : Op. Cit., p. 19.

(٣) Fling : Op. Cit., p.p. 114-117.

المشاهدة والاستدلال القياسى ، والتحقيق بالمقابلة والتجربة تتعد كل الاعتماد عن الاطلاق فى النتيجة عن مشاهدة واحدة ، فالتاريخ أولى بذلك منها لأنه بعيد عن المشاهدة ، ولا يمكن الاستدلال عليه بالقياس أو التجربة (١) .

٢ - فى حالة تعارض المصادر - ليس من عمل المؤرخ أن يوفق بين الأخبار المتعارضة باتخاذ موقف وسط بينها - فقد يكون أحدها صحيحا والآخر خطأ .

ولذا فعمل الباحث هو التمسك للوصول للرأى الصحيح الذى لا يقبل الشك .

لكن إذا لم يستطع ذلك فليس هناك ما يضطره لإصدار حكمه « فالعالم من يعلم أنه لا يعلم » .

وعلى الباحث أن يذكر صراحة أنه لم يستطع فى حدود المادة المتاحة له ترجيح رأى على آخر .

٣ - من الجائز أن الرأى الذى لم يجمع عليه عدد من الآراء التى كررتها أصول متعددة هو الصواب ، فلا عبء بالعدد فى بعض المسائل التاريخية ، ومن المحتمل أن الرأى المكرر راجع للنقل من مرجع واحد ثم يتجرى اللفظ .

٤ - والباحث ليس ملزماً بالأخذ بأراء أجمعت المصادر عليها إذا كانت متعارضة مع حقائق تاريخية معروفة أو إذا كانت الأحداث المذكورة ينقصها الانسجام والتألف اللازمين بين الحقائق التاريخية .

فالباحث يجب أن يلاحظ العلاقة والارتباط والتلف بين الأحداث المختلفة فهو ملزم بذلك - على الأقل - حين يبدأ فى الكتابة والربط بين الأحداث .

٥ - النتائج التى يصل إليها الباحث يجب أن تكون مطمئنة وقائمة على أسس سليم من الاستدلال ، والمناقلة أو ما قد نطلق عليه قبح المنطق ، أو الاستقراء .

٦ - وينصح ماس ، بول الباحث عند دراسته التفصيلية للنص أن يقسمه الى فقرات ، ويلتزم بوضع علامات الترقيم وما الى ذلك، وأن النص في صيغته النهائية يجب أن يكون بشكل يوضح فيه الفصل بين الكلمات ، والفقرات ، وتوضع علامات الترقيم ، وتبدأ أول كلمة في الجملة بحروف كبيرة (في اللغات الأجنبية بالطبع) ٠٠٠ الخ . بحيث يسهل قراءته وفهمه وتفسيره - ويمير عن هذا (بالفنر النقدي) (١) .

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن الباحث وراء الحقيقة التاريخية عليه أن يبذل للوصول اليها كل جهد ووسيلة ، وأن عليه أن يبدأ بالشك حتى يصل الى اليقين ، وأن يتحقق أن الأصل الذي سيعتمد عليه صحيح وليس مزيفاً، وللوصول لذلك لا بد من البحث عن الظروف التي ربما أثرت في إنتاج الوثيقة ، من حيث العصر الذي كتبت فيه ، والمكان ، والظروف المحيطة بالمؤلف والمؤثرات التي قد تؤثر عليه مثل الوطن أو الحزب أو الشيعة أو الأسرة أو المصالح كذلك مواهب المؤلف ، والاستعمالات اللغوية المعتادة في ذلك العصر، وكيفية نقل الوقائع والشكل الذي تمت به عملية النقل .

كل هذه المعلومات يمكن أن نصل اليها عن طريق ثبت من الأسئلة .
وإذا تم ذلك يمكن أن نقوم بتحليل الوثيقة ومحاولة فهم المعاني التي يريد واضعها أن يعبر عنها .

وبهذا نصل الى أن يكون عمل الباحث قائماً على أساس سليم ، وتكون النتائج التي يصل اليها مطمئنة .

ويذهب أنجلو وسينوبوس الى أن الواقعة (القول التاريخي) حتى اذا ثبت صحتها بعد كل هذه المحاولات فهي ليست الا ملاحظة تحتاج لتأييدها الى ملاحظات أخرى - فالوقائع العلمية هي النقاط التي تجمع عليها ملاحظات مختلفة ومتقدمة وهذا ما يطلق عليه عملية (مقارنة الأقوال) (٢) .

وهكذا تمر الوثيقة التاريخية في طريق شاق طويل حتى يستطيع الباحث أن يبني عليها تصويره للأحداث التاريخية .

(١) ماس ، بول : مرجع سابق ص ٢٧٨ .

(١) أنجلو وسينوبوس : مرجع سابق ص ١٥٤ .

الفصل التاسع

الربط المادة التاريخية المجموعة

(كيفية الاستفادة منها)

مباحث هذا الفصل :

اولا - الاستفادة من المادة التي جمعها الباحث (العمليات التركيبية) :

- بناء النسيج التاريخي المتجانس من المادة الخام المجموعة (الربط بين المعلومات والآراء المتعددة) .
- تعديل المشروع الأولى للبحث في ضوء المادة المجموعة .
- تنظيم الحقائق التاريخية حسب قواعد محددة .
- مراعاة التسلسل التاريخي - والترابط بين الأحداث والموضوعات .
- المقارنة بين الأحداث المتشابهة .

ثانيا - الاجتهاد وحدوده :

- دواعي الاجتهاد .
- الاجتهاد السلبي - مثال لذلك .
- الاجتهاد الايجابي - قواعده وحدوده .

ثالثا : التحليل والتفصيل والبيان :

- أهميته ، ودلالته على شخصية الباحث وقدرته على ربط النتائج بمسبباتها .
- العوامل التي تساعد على الوصول للعلل والأمثبات الصحيحة :
- الدراسة المقارنة - الامام بالظروف المحيطة بالظواهر - تفهم التغيرات في المجتمع الذي ندرسه .
- هل يعيد التاريخ نفسه ؟

بعد أن جمع الباحث مادته العلمية من كافة المصادر والمراجع - يجد نفسه وقد تجمعت لديه كميات كبيرة من المعلومات المتناثرة - يسأل نفسه :

كيف استفيد من كل هذه المعلومات ؟

وفي نفس الوقت يشعر الباحث أنه رغم ما جمعه من مادة - أمامه بعض الثغرات التي لم يستطع سدها عن طريق المادة التي جمعها من المصادر والمراجع - وهنا يتساءل أيضا :

هل يسكت من هذه الأحداث عملا بقول علماء المنطق « السكوت حجة » أم يجتهد ويحاول استنتاج الحقائق الناقصة في ضوء المعروف - وما الذي يجب أن يراعيه في هذه الحالة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه على الباحث في هذه المرحلة هو : هل يثبت الحقائق كما وصلت إليه من مصادرها أم أن عليه أن يحاول أن يستنتج الأسباب والعلل لا يحدث ؟

وهل هناك شروط يجب مراعاتها أيضا في هذا التعليل والايضاح ؟

ونبدأ بالتدريج على هذه الاستفسارات .

أولاً - الاستفادة من المعلومات التي جمعها الباحث (المنهج التركيبية) :

عملية بناء النسيج التاريخي من المادة الخام (الأختلية) التي تجمعت تحت يد الباحث من أهم وأدق العمليات ، وتظهر فيها مهارة الباحث وقدرته .

فالمرتج - على حد تعبير رنكة (Rank) - المؤرخ الألماني العظيم في القرن التاسع عشر - عليه أن يستعيد - في ضوء المعلومات التي تجمعت لديه - الوقائع التاريخية كما كانت عليه بالقتل في الماضي ، وكأنه عاينها بنفسه ، فهو مطالب بأن يحيا في داخل الأحداث الماضية ، كما أن عليه أن يؤلف من الملامح المتناثرة في الوثائق صورة متكاملة ، هذا بالإضافة إلى

القدرة على التعليل والايضاح ، واصدار الأحكام السليمة بالمقارنة بين الحقائق
التي تجمعت حول مواضيعه المختلفة (١) .

ومهمة الباحث هنا تشبه مهمة المهندس الذي توفرت لديه المواد الخام،
وعليه أن ينسق فيما بينها ، مراعى الشروط القانونية والهندسية للبناء ، وفى
نفس الوقت مستخدما أسلوبه الفنى ومهارته فى حصن العرض والتفصيل .

ورغم أن الباحث - كما نكرنا فى البداية - قد وضع خطة أولية للبحث
تتضمن أقسام البحث والمواضيع والمشكلات الهامة التى ينوئ تناولها - لكن
لا بد أن تتسم هذه الخطة بالمرونة المتناهية - فتعدل وتبدل حسب ما أسفرت
عنه نتائج الجهد المضى الذى بذل فى جمع المادة العلمية وتقديمها وتحليلها ،
فقد تستجد مشكلات جديدة ، ومواضيع جديدة بالبحث ، وقد يستغنى عن
أشياء بدت لأول وهلة مهمة لكن ثبت عدم أهميتها للبحث ، وقد تعدل تقسام
البحث بالتقسيم أو التأخير أو الحذف أو الإضافة .

وللاستفادة من المعلومات والآراء المجموعة على أجس من وجه يجب على
الباحث مراعاة ما يلى :

١ - الربط والتأليف بين المعلومات المتعددة : فالبحث التاريخى - كما
أسلفنا القول - وحدة متكاملة متجانسة لا يثبأذ فيها . والبحث يجب أن
يظهر من أوله لآخرة كبناء واحد متماصك وهذا يحتاج لمهارة الباحث وقدرته
على خيوط خيوط هذا النسيج المكون من العديد من الخيوط التى جمعت من
مصادر ومراجع متعددة ومتناثرة ، والباحث الذى يعيش الأحداث التى
يعالجها ويعايشها قلدر على أن يخرج من كل الدرامات التى يقوم بها
بموضوع متكامل :

٢ - الانتقاء أو المفاضلة بين الحقائق : لكى يتم هذا التماسك بين
الأحداث ، ولكى يكون الموضوع متكاملا يجد الباحث أنه مضطر للاستغناء عن
بعض الحقائق التى تجمعت لديه - لأنها لا تمس جوهر الموضوع أو لأن
وجودها ضمن العرض النهائى للبحث يتعارض مع الصورة الكاملة والوحدة
التي تحدثنا عنها .

فلا مفر أمام الباحث من الاستمساك ببعض الحقائق ، وصرف النظر عن البعض الآخر - وهذا الأمر يتم وفق خطة معينة في الانتقاء وليس بطريقة عشوائية وكما يقولون « اختيار المرء رائد عقله » .

ومن الباحثين من يصعب عليه ترك بعض ما جمعه من مادة ورشقي في جمعه - وهذا هو السبب في أننا نجد في بعض البحوث التاريخية تفاصيل لا مبرر لها ، وقد لا تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث ، ولا تعبائر الخط السليم الذي يسير عليه - ويعتذر أغلب الباحثين حين يواجهوا بهذا النقد بأنهم لم يريدوا إهمال هذا الجزء من المعلومات التي وصلوا إليها بشق الأنفس ، وهذا عذر غير مقبول - فالقدرة على الانتقاء والمفاضلة صفة مهمة في الباحث التاريخي .

وهناك مجالات أخرى اهتم بها الباحث لنشر أمثال هذه الحقائق والتعليق عليها . الخ - في المجالات العلمية أو غيرها ، دون أن يخمل البحث لا لا يجب أن يتجمل .

وبعض الأبحاث المقدمة لجامعاتنا لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراة يمكن إختصار صفحاتها إلى النصف مثلا دون المساس بجوهر الموضوع والبحث ، بل العكس يشبه هذا الاختصار - كما نذكر أحد أعضاء لجنة مناقشة رسالة جامعية - تحليل للجسم من ورم سرطاني كان علة عليه .

وبعض الحقائق التاريخية التي تذكر في غضون البحث تمثل عقيه في سبيل التسلسل اللازم في الأفكار والأحداث ، وقد يكون العلاج السليم إما حذفها نهائيا أو الإشارة للنقطة في هامش الصفحة - وقد لا يستلزم الأمر أكثر من إشارة بسيطة ونرجع القارئ للمزيد من التفاصيل في مرجع أو مصدر معين أو مجموعة مراجع أو مصادر عالجت هذه النقطة الفرعية - ونشير لهذا عند التعرض لأهمية الحاشية واستخداماتها المختلفة .

٧ - أسس تنظيم الحقائق التاريخية وتنسيقها :

يقوم الباحث بتنظيم الحقائق التاريخية وتنسيقها في مجموعات وأقسام ، وترتيبها في صيغ Formules ابتغاء استخلاص خصائصها العامة

والروابط القاضية بينها • ويتم ذلك بالطبع بحسب أمس وقواعد معينة •

وكانت الحقائق التاريخية في الماضي تنظم حسب تسلسلها الزمني ، فكان ينظر الى كل حقيقة من حيث وقوعها في زمن محدود وتعلقها بشخص معين • وجاء وقت وثبت الأحداث فيه منفصلة على حسب السنوات (العوليات) •

لكن لم تعد هذه وسيلة مناسبة لتنظيم الحقائق التاريخية اليوم - الا اذا كان الكاتب يكتب قصة كسائر القصص وأبطالها هم أنفسهم في كل زمان ومكان • والتاريخ - كما نكرنا من قبل - ليس مجرد ضم حقائق بعضها الى بعض ، فلا بد للمؤرخ من النظر في الأسباب والمسببات وتوضيح العلاقات التي تربط الحقائق بما حدث قبلها بهدف استخلاص خصائصها العامة كما نكرنا سابقا •

وبالقاعدة العامة هي اختيار الحقائق المتعلقة بنوع واحد من الأحداث وضماها مع بعضها في قسم واحد • أي تنظيم الحقائق بموجب مستوياتها وبالطبع لا معنى لتنظيمها للحقائق حسب مضمونها اثنا تحديد عن اتجاه التسلسل الزمني اللازم لتوضيح تطور النقائش موضوع الدرس - لكن للتصديق يراه في الأساس الزمني ، ثم الموضوعي - فيما يتعلق بالادارة أو السياسة أو القضاء • الخ • يضم لمبحثه وفي نفس الوقت داخل القسم الواحد تنظم الوثائق والأحداث على أساس الترتيب الزمني •

ويتيح هذا فرصة للباحث لقراءة ما كتبه أحد المؤرخين بما كتبه مؤرخ آخر •

كما ان ذلك يمنع تكرار حقيقة من الحقائق التاريخية في أكثر من موضع في البحث •

ونظام البطاقات (الجذلات - الفيش Fiches) ييسر عملية جمع المادة التي تخص موضوعا معينا مع بعضها وتنظيمها وترتيبها ونقلها من مكان لآخر في يسه •

وعادة بعد جمع البطاقات (الجذلات) المتعلقة بموضوع واحد أو حادثة معينة (فن ، دين ، حياة خاصة ، نظم سياسية) - يعاد ترتيبها فيها

بينها بحيث أن البطاقات التي تشمل المادة الأكثر أهمية حسب مصدرها ،
والأكثر وفاء من غيرها يبدأ بها ، وتليها الأقل أهمية وهكذا .

وقد يفضل الباحث أن يرقم بعد ذلك بطاقات كل فصل أو إقطاعية
بموضوع معين فيما بينها (بالقلم الرصاص) ليسهل تعييلها ان احتاج
الامر :

ويجب أن ندرك أن هذه التقسيمات لا تكون مستقلة بعضها عن بعض
تمام الاستقلال ، بل بالعكس فإن من أهم مظاهر البحث الناجح في النهاية
الترابط التام بين أجزائه بحيث يؤدي كل في يسر ودون افتعال لما بعده ،
ويحيث نصل في النهاية الى سلسلة مترابطة من الأحداث - والا ظهر البحث
مهلهلا وممزقا ولا يخرج عن كونه عدة موضوعات لا تتناسق بينها ولا ترابط .

واشير الى أن لكل باحث حقه في أن يخلق لنفسه العادات وأنماط
السلوك التي تلائم في البحث - لكن كما قال أرنست ريتان (E. Renan)
، ان هذه الترتيبات الشخصية هي نصف العمل العلمي ، (١) .

ثانيا - الاجتهاد وحدوده : (٢)

قد لا يجد الباحث في الأصول التاريخية ما يمسد كل الثغرات في
موضوع بحثه ، فتبقى قضايا معلقة دون أن يجد من المصادر ما يجعله يبت
فيها برأى مستندا لهذه المصادر .

وهذا شيء عادي لقد يجد الباحث في ناحية من التواحي مادة علمية
غزيرة موثقة من أكثر من مصدر بينما تصكت المصادر عن حوادث هامة
لا يمكن أن يهملها الباحث - ولذا فهو يسمى للم هذه الفجوات عن طريق
الاجتهاد مستندا الى الأمور الأخرى المرتبطة بالماضي والتي تتناولها
المصادر .

وفي هذا يقول انجلو وسينووس : ان الوقائع التاريخية التي تقدمها

(١) انجلو وسينووس : مرجع سابق ص ٨٠ .

(٢) اللفظ بل التعبير كله مأخوذ من علماء الحديث والتفسير .

لنا التراثائق لا تكفى ابداً للملا الاطارات ملا تاماً ، وهى لا تقدم أجوبة مباشرة عن كثير من المسائل ، ولهذا تنقص ملامح كثيرة لتأليف لوحة كاملة لأحوال المجتمع والتطورات والأحداث - ونقسم بالحاجة الملحة الى ملا هذه الفجوات « (١) »

والاجتهاد اما سليمى بأن يقرر الباحث انه قلب الأمر من جميع جوانبه، وينزل قصارى جهده ، وأطلع على جميع الأصول المتاحة - فلم يجد اى نكر فيها للأمر الهام الذى يريد الوصول لحقيقة حدوثه من عدمه - وبناء على هذا يلتزم بقول المناطقة «ان السمكوت حجة» ويعبر عنها (بحجة الصمت) (٢)

ومن قبيل ذلك مثلاً قضية تخلى المتوكل على الله آخر خلفاء العباسيين عن حقوقه فى الخلافة للسلطان سليم العثماني - وقد اثبتت هذه القضية وما زالت مثارة .

وقد سكنت المصادر التاريخية المعاصرة عن ذكر هذه الحادثة فلم يشر اليها مثلاً ابن آياس بشيء (٣) .

كما ان الأوراق الرسمية ، والخطابات المتبادلة بين السلاطين العثمانيين (السلطان سليم وابنه سليمان) - لم تشر اليها ، كذلك نقوش ذلك العهد والعفلة التى ترجع لعهدى السلطان سليم والسلطان سليمان القانوني لم تشر الى ان السلطان العثماني اتخذ لقب (أمير المؤمنين) .

وعلى هذا الأساس يذهب بعض المؤرخين الى ان هذه ايلة قاطعة بعدم حدوث هذا الأمر .

لكن الدكتور أسد رستم - رغم هذا - فقد انتهى اجتهاده فى هذا الأمر الى انه رغم سكوت هذه المصادر كلها عن ذكر واقعة التنازل هذه - فهو لا يستطيع ان يجزم بها لسببين :

(١) أنجلو وسينوويوس : مرجع سابق ص ١٩٩ .

(٢) أنجلو وسينوويوس : مرجع سابق ص ٢٠٠ .

(٣) ابن آياس ، محمد بن أحمد : يدائع الزهور فى وقائع الدهور .

١ - لا يستطيع الجزم - بأن المصادر التي رجع إليها هي جميع المصادر الموجودة التي ترجع لهذا العصر .

٢ - هناك احتمال أن هذا الحادث قد ذكره أصل أو أكثر وفقدت بعد ذلك هذه الأضول .

وهذا يعطينا مثالا للحذر والدقة التي يجب أن يتحلى بها الباحث في مثل هذه الأحوال فلا يتصرع في الحكم ، فليس انعدام كل الوثائق التي تحت أيدينا يعد الفحص (١) .

أما الاجتهاد الإيجابي - فيعنى أن الباحث يستنتج حقيقة لم تزد في النصوص التاريخية التي تحت يديه لكنه يبنى استنتاجه على حوادث أخرى مماثلة - أو ما يمكن أن نطلق عليه (نظرية التماثل) .

وهذا النوع من الاستنتاج أو الاجتهاد الإيجابي بالطبع يخضع أيضا لقواعد وحدود .

فاجتهاد الباحث هذا يجب أن يكون قائما على أساس مبادئ عامة منطقية مستمدة من حوادث التاريخ المتعددة . وتكون القضية موضوع الاجتهاد والاستنتاج جزء من قاعدة عامة معترف بصحتها .

فهو يقيس أمرا لم تتعرض له وثائقه ونصوصه بأمر آخر مشابه حدثت في نفس الظروف والملازمة - في هذا الوضع ايدنا قضيتان : الأولى عامة ، والثانية خاصة . من أمثلة ذلك أن نجد مثلا مدينة تحمل اسمافينيقييا لكن المصادر التي تحت أيدينا لا تذكرها ضمن المدن التي انشأتها الفينيقيون وسكنوها مع أن القاعدة العامة هي أن الفينيقيين حين كان يتجمع عدد كاف منهم في مكان وينشئون مدينة يطلقون عليها اسما فينيقييا .

في ضوء هذه الحقيقة العامة الكلية الصحيحة يمكن أن أصدر حكمي

(١) كثيرون من العلماء العرب وغيرهم - إذا لم يستطيعوا الوصول الى رأى قاطع في أمر من الأمور قالوا (لا ندرى) . وقد ذهب بعضهم الى أن القول (لا ندرى) هو نصف المعرفة .

بأن المدينة ذات الاسم الفينيقي - على الرغم من أن مصادر لم تذكرها ضمن المدن الفينيقية - هي مدينة فينيقية أنشأها الفينيقيون وأستوطنوها (١) . والبعض يطلق على هذه العملية قياس النظير (analogie) (٢)

وهي تشبه ما يطلق عليه علماء المسلمين (الاستنباط بالقياس) (٣) .

ومع ذلك فهذا النوع من الاستنتاج يحتاج لحذر شديد ، ويجب ألا يصدر عن الباحث إلا عن روية ووعي ، وبعد أن يبحث ويبحث وتعييه الحيل . وعلى كل هذه النتائج الصادرة عن هذا النوع من الاجتهاد لا ترقى بحال ما لصف الحقائق التاريخية الثابتة بالوثائق والمصادر ، ويجب على الباحث أن يدرك هذا وأن يشير إليه في بحثه بوضوح وجلاء ، فيبين الجهود التي بذلها للبحث في المصادر والتراجع للوصول لهذه الحقيقة دون جدوى .

ويمكن أن يوضح هذا بتفصيل في هامش الصفحة - فلا ينبغي أن يدع القارئ عنهم أننا وصلنا إلى هذه الحقائق أو الاستنتاجات من الوثائق ، لكن ينبغي أن يتنبه إلى حقيقة الوسيلة التي حصلنا بها على هذه الواقعة (٤) .

ثالث - الضلوع والتحليل والإيضاح :

لا تقف مهمة الباحث التاريخي عند الوصول إلى الحقائق التاريخية ليقدمها لنا صحيحة ودقيقة مؤيدة بالمصادر التي تثبت صحتها - لكنه مطالب أيضا أن يحاول يقدّر الامكان معرفة الأسباب والعلل التي أدت إلى حدوث الوقائع التاريخية .

والحاجة التي الارتفاع فوق مجرد مشاهدة الوقائع من أجل تفسيرها وتقليل أمثاليها - هي حاجة إنسانية في كل العلوم .

(١) نلاحظ أن القضية الخاصة بأن اسم المدينة يدل على أصلها ليست صحيحة دائما فاسم (بطرسبرج) اسم ألماني ، و (ميراكوز) في أمريكا اسم يوناني - ولهذا يلزم الاحتياط ، وضرورة توفر شروط أخرى مرجحة لاستنتاج أن الاسم مرتبط بقرية المؤمنين .

(٢) هاس ، بول : مرجع سابق ص ٢٤٨ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٤٧ .

(٤) أنجلو وشيفويس : مرجع سابق ص ١٩٩ .

والتأريخ ليس علما من علوم الملاحظة بل هو « علم برهنة » أيضا .

ولما كان التاريخ علم يخضع لمنهج العلمى فى البحث فالأسباب والعلل التى يقدمها الباحث يجب أن تكون منطقية مقنعة متمشية مع كافة الظروف المحيطة بالأحداث .

والحقيقة أن هذا الدور من أدوار البحث العلمى يعطى فكرة عن شخصية الباحث وبقدرته على التحليل وعلى ربط التفلنج بمسبباتها .

وبالطبع هناك أشياء تساعد الباحث على الوصول للعلل والأسباب السلمية الصحيحة ، منها مثلا (الدراسة المقارنة) .

وان كانت أحداث التاريخ لا تتشابه كلها فى الظروف المحيطة بها - لكن مثل هذه الدراسة تساعد على الوصول الى الأسباب الحقيقية للحوادث . والالام بكافة الظروف المحيطة بالحدث يساعد على الوصول للعلل السلمية . ان الباحث عليه أن يلم بكل المتغيرات فى المجتمع الذى يدرس تاريخه وأن يسأل نفسه دائما عن تأثيرها وما يترتب عليها من نتائج .

وعلى الباحث أن يسأل نفسه عدة أسئلة لعلها تصل به الى العلل المنطقية للأحداث منها :

لماذا حدث هذا ؟

هل هناك سوابق مماثلة ؟

لو تغير الأشخاص الذين تدور حولهم الأحداث هل كانت النتيجة تتغير ؟

إذا حدث تغير ما فى المجتمع هل تتغير النتيجة ؟

ما أكثر العوامل فاعلية - فى الوصول للنتيجة التى اسفرت عنها الأمور ؟

فمثلا إذا كان الأمر يتعلق بموقعة حربية نسأل أنفسنا عن دور القادة ، والجنود ، وحالتهم المعنوية والعديدية وأسلحتهم وعدى فاعليتها ، والخطط

العسكرية ، والمكان الذى حدثت فيه المعركة . والأحوال المناخية ، وغير ذلك من العوامل التى يعترف رجال الحرب أنها تؤثر فى نتائج المعارك .

ولعلنا لو سألنا انفسنا هذا السؤال : لو حدث أن ثبتت جميع العوامل وحدث تغير فى عامل واحد منها تكبر نفس النتيجة ؟ وهكذا فصل عن طريق مثل هذه الأسئلة الى العلل والأسباب السليمة للأحداث .

لقد اثار البعض فى هذه المناجبة التساؤل القديم - هل يعود التاريخ نفسه ؟

ان التاريخ لا يعود نفسه - لكن الأسباب ذاتها لو تكررت فى نفس الظروف تمامًا لكانت النتيجة غالبًا واحدة . وعلى أساس هذا المنطق العلمى تبين فلسفة التاريخ باعتباره علم يخضع الى حد كبير او بالأصح يمكن أن تخضع حقائقه للعقل والمنطق .

ويمكن أن نجد لأحداثه عللاً او أسباباً منطقية طالما أننا توصلنا لكافة الظروف المحيطة بهذه الأحداث .

« ان الباحث يجب أن ينتهى به الأمر الى ذلك التفكير المنطقى الذى يلاحظ ويجرب ، ويحلل ويركب ، ويصف ويمم ، ويبرهن ويحلل ... » (١)

« فالمؤرخ يعنى كل العناية بالوقائع يجمعها ويفحصها ، ويناقشها ويحللها ، ويستخلص منها ما يستخلص من نتائج وأحكام ... وعندما تغزر المادة أمامه يختار منها ما يرى ، واختيار المرء رائد عقله » (٢) .

وهكذا بعد أن ينتهى الباحث من جمع كل مادته من المصادر ، والمراجع المختلفة ويجرى عليها ما سبق توضيحه من عمليات التحقيق والترتيب والتحليل والتنظيم والتحليل الى غير ذلك. فما سبق توضيحه ... يستطيع ان يخطر الخطوة الحاسمة الأخيرة وهى مرحلة كتابة البحث .

(١) من مقدمة د . منكور ، ابراهيم بيومى . لكتاب مارتون . جورج : تاريخ العلم (ترجمة ليف من العلماء ياشرف د . منكور . د . كامل حسين ، د . قسطنطين رزق ، د . مصطفى زيادة - المعارف ١٩٥٧) .
(٢) المرجع السابق ص ٨ .

الفصل العاشر

كتابة البحث

(العرض)

مباحث هذا الفصل :

أولا - المقام البحث (فصوله) :

- البحث وحدة متكاملة •
- المقدمة وما تتناوله •
- الفصل التمهيدى واختلافه عن المقدمة •
- عنوان الفصل •
- مباحث الفصل وقيمة نكرها في بداية الفصل •

ثانيا - الأسلوب وطريقة العرض :

- سلامة الأسلوب وسهولته ، وسلامة اللغة •
- الأمانة العلمية •
- الاقتباس من الأصول والمراجع ونقدها •
- الأعلام الأجنبية •

ثالثا - الهوامش :

- الاستخدامات المختلفة لها

رابعا - خاتمة البحث :

- اختلافها عن المقدمة والتمهيد

خامسا - ملاحق البحث :

- الوثائق غير المنشورة ، والمنشورة .
- الخرائط .
- دراسة لشخصيات واردة في البحث .
- بيانات أخرى يرى الباحث إلحاقها بالبحث .

سادسا - مكتبة البحث :

- أقسامها ومحتوياتها .
- ما يراعى في تنظيم كل قسم منها .

سابعا - فهرس البحث :

- مكانه - مشتملاته التفصيلية وقيمته .

ثامنا - ملخص البحث :

- لغته - عدد صفحاته - مشتملاته .

يحتاج الباحث في هذه المرحلة - مرحلة عرض موضوعه بالطريقة العلمية السليمة أن يلم بعدة نواح :

- ١ - اتسام البحث (فصوله) .
- ٢ - الأسلوب السليم الذي تعرض به المادة العلمية .
- ٣ - الهوامش والاستخدام السليم لها .
- ٤ - خاتمة البحث وما يجب أن تشتمل عليه .
- ٥ - الملاحق .
- ٦ - مكتبة البحث .
- ٧ - فهرس الأعلام .
- ٨ - الفهرس العام ومشتملاته وقيمته .
- ٩ - الملخص .

وستوضح فيما يلي ما يجب على الباحث مراعاته في كل من هذه الأمور :

أولا - اتسام البحث (الفصوله) :

البحث يجب أن يكون في جبروته النهائية وحدة متكاملة متناسقة لا يشيذ فيها .

ويبدأ البحث بمقدمة - يشرح فيها الباحث دوافع اختياره لموضوع البحث ، ولماذا شعر أن هذا الموضوع جدير بالبحث ، كما يعطى فكرة عن المصادر التي رجع إليها وأماكنها والمراجع التي جمع منها مادته العلمية والقضايا الهامة التي استقطعت عن طريق المصادر أو المراجع معالجتها ، والنقاط التي لم يجد في المصادر ما يشفي الغليل عنها ، وكيف تغلب على هذه العقبة .

كذلك قد يعطى فكرة عن الفصول التي قسم البحث إليها - وقد يختتم المقدمة بشكر الخبيرين عاونوه خاصة من لا تزلهم وغانقهم بذلك لكنهم قاموا بهذا العمل خدمة للبحث العلمي .

كل ذلك في ايجاز يقدر الامكان ، وفي اميلوب علمي بعيد عن المبالغة .
ولا محاولة الاسراف في اظهار الجهد بأنه جهد فريد لم يأت بمثله الغير .

فالمفروض أن يترك الباحث للغير مهمة تقدير جهده - ولكنه يقدم عمله
باتزان وبطريقة تدل على شخصية متكلمة تتحلى بكل صفات الباحث .

ويحسن أن يتخير الباحث من الألفاظ ما ينم عن صفة التواضع العلمي
• فلا يكثر من الإشارة لنفسه - ويكفي مثلاً أن يقول : وقد قام الباحث
بكذا • وكذا بدلا من تكرار ضمير المتكلم • وليس يجعل من أن يشيد
بفضل الآخرين عليه قبل أن يشيد بما قام به هو فهذا سهرقع من قدره في
نظر الآخرين • والمقمة على كل حال يجب ألا تتجاوز بضعة صفحات •

ولأن المقمة هي عرض لأهمية البحث وللمشكلات التي واجهت الباحث،
وكذلك لموضوعات البحث فمن الأفضل أن تعدل صياغتها بعد الانتهاء من
البحث : ليجرى عليها من التعديلات ما يتناسب وما انتهى إليه البحث •

أما البحث ذاته فرغم أنه يعرض في شكل فصول متعددة فقد يبدأ
بفصل تمهيدى وينتهى بالخاتمة - لكنه يجب أن يمثل كله في النهاية هيكلًا
مكاملاً بحيث أن كل فصل من فصوله يؤدي بيسر ويتسلسل منطقي للفصل
التالي • والبحث الناجح يستطيع القارئ أن يتابع فصوله في انسجام
تام ، فالفصول ما هي الا حلقات في سلسلة واحدة كلها مترابطة تؤدي كل
حلقة لما بعدها وهكذا ، والكل في النهاية يتناول موضوعا واحدا هو موضوع
البحث •

وأي خلل في هذا التسلسل يدل على عدم التخطيط السليم للبحث .

وبالطبع يختلف هذا التقسيم لفصول حسب طبيعة البحث •

وكما سبق أن ذكرنا ان الباحث يضع تصميمًا مبدئيًا لهذا التقسيم
لكنه يجرى عليه من التعديل والتعديل بالحيثف والإضافة أي ضم فصول الى
آخر أو نقل قضية الى مكانها الطبيعي ، كل ذلك في ضوء ما يسفر عنه
الوضع من خلال المصادر والمراجع والمادة العلمية التي حصل عليها الباحث •

هذا كله يتم في حدود الوحدة الكاملة والفترة الزمنية التي حددها الباحث لبحثه .

وجدير بالذكر أن الفترة التي يتناولها البحث لا تحدد اعتباطاً .
فالباحث يبدأ من نقطة محددة وينتهي عند نقطة أخرى يفرضها التسلسل التاريخي للأحداث والانتقال من مرحلة لأخرى .

والباحث قد يضطر أيضاً في ضوء مصادره ومراجعته أن يراجع نفسه فيعدل من فترة البحث باتفاق مع استاذته المشرفة ، ولا يد في هذه الحالة من أن تخطر الجهات الرسمية لأجراء التعديل في الفترة الزمنية المتعلقة بالبحث .

وعلى كل يجب أن يسأل الباحث نفسه لماذا جدد بحثه في هذه الفترة الزمنية ؟

ويجب أن يتوقع أن هذا السؤال ذاته سيوجه له وأن يكون مستعداً للإرد مقنع عليه إذا وجه به .

وكن فصول البحث التاريخي يجب أن تكون في نطاق الفترة الزمنية المحددة للبحث . وكما قلنا أنها كلها حلقات في سلسلة واحدة تنتهي في النهاية إلى موضوع البحث بمفهومه التاريخي والزمني داخل حدود الفترة التي ارتضاها الباحث وحدد نفسه بها في بحثه .

لكن قد يحس الباحث أنه بحاجة لفصل تمهيدى يعرض فيه لأحداث سابقة لفترة الزمنية ، لكنها ضرورية للتمهيد لموضوعه في حدود فترته الزمنية . ولا بأس من ذلك .

وهذا الفصل التمهيدي يعتبر من فصول البحث - وهو يخالف المقيدة - لكن يجب ألا يوغل الباحث في هذا الفصل - في البعد عن الأحداث التي يتكلم عنها تاريخياً أو يذهب به الشطط إلى معالجة أمور تسبق موضوع بحثه بقرون - وقد ينتهي به الأمر إلى سرد معلومات عامة مصروقة ، في حين أنه مطالب - كما نكرنا من قبل - بأن يضيف جديداً في كل ما يكتب

أما عن طريق تنظيم جديد أو تعديل جديد أو تصحيح لأفكار متداولة أو غير ذلك على أساس وثائقه ومصادره .. الخ .

فلا ينبغي عن الباحث ما ذكرناه من أن الفصل التمهيدى جزء من فصول بحثه يطبق عليه كل الشروط الواجب توافرها فى كل فصل من فصول البحث أو فى كل ما يرد فى البحث من حيث الوحدة والتكامل والتجديد والإضافة والتمهيش .. الخ .

وقد يعنى فى كثير من الأحيان أن يرجعنا الباحث فى المسائل المسابقة لفترة البحث أو الخارجة عن نطاقه إلى أبحاث أخرى أو خصائير أو مراجع ، ويكتفى هو بالمواضيع الهامة الوثيقة الصلة ببحثه والتي يستطيع فعلا أن يأتي فيها بجديد .

وكثيرون من الباحثين أخذ عليهم أن فصلا من الفصول سواء أكان الفصل التمهيدى أو غيره لم يأت الباحث فيه بجديد وأن الفصل كله يعتبر عيبا على البحث بحيث لو استبعد لا يتقصر البحث شيئا .

هذا ولما بحاجة لأن تؤكد أن الباحث التاريخى فى كل ما يكتب يجب أن يلتزم بالتقريب الزمني للأحداث * فلا يتحدث عن فترة زمنية لم يمود لفترة سابقة وهكذا * فهذا تخبط غير مقبول ويدل على أن الباحث يفتقر للصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر فى من يتعرض للكتابة التاريخية ، وبالطبع لكل فصل عنوانه الذى تتوزع حوله كل أبحاث الفصل .

ويحسن أن يكون الفترتان قصيرا بقدر الامكان ، جامعا مانعا .. كما تقول * ولا يجب بحال ما أن يبحث فى الفصل موضوع أو نقطة لا علاقة لها بعنوان الفصل .

ويحسن بالباحث أن يوضح فى بداية كل فصل من فصول بحثه النقاط الهامة (المباحث) التى عالجها الفصل ، فهذه تكون بمثابة مرآة يهتدى بها ، هو كما يهتدى بها القارئ لمشتغلات الفصل ، وتساعد فى إثراء مدى الترابط بين النقاط التى عالجها الفصل ، وتظهر للباحث نفسه

النقاط الشاذة التي لا تتمجم مع موضوع الفصل وعنوانه ، ومع باقي النقاط التي يعالجها .

ويحسن أن يفتتح الفصل ببيضة مطور تهيه ذهن القارئ لما سوف يتناوله الفصل ، كما يصح أن ينتهي الفصل بفقرة تبين أهم ما وصلنا إليه من نتائج في هذا الفصل ، وفي هذا تمهيد للفصل التالي - كما ذكرنا سابقا .

والباحث الناجح تكون نهاية كل فصل من فصوله بداية طبيعية للفصل التالي دون افتعال .

ويحسن أن تكون فصول البحث متوازنة في عدد صفحاتها - ولا يعني هذا أن تكون عدد صفحاتها متساوية تماما فهذا غير مستطاع - لكن التخطيط السليم ، والتقسيم السوي للموضوع يؤدي عادة إلى هذا التناقص المرفوب فيه .

ثانيا - الأسلوب وطريقة العرض :

يجب أن يكون الباحث قادرا على عرض أفكاره والتعبير عن الآراء التي وصل إليها بأسلوب علمي سلس وسهل ، في صيغ موجزة (Formules) وأفكار جليلة مع السلاسة اللغوية .

وقد صدق أتلجو وسينيويوس حين قالوا : لا يكون المؤرخ كاملا من غير لغة جيدة « (١) » .

وبهذا يتعد الباحث عن استعمال الألفاظ الصعبة وعن المبالغات التي لا مبرر لها ، وعن التعقيد . فجملة وفراكييه تكون بسيطة غير معقدة ، ولا يحاول تقليد غيره ، فهو لا يكتب أدبا بأسلوب أدبي مثير ، وأمسوا ما يؤخذ على الباحث أن تعتمد الأخطاء اللغوية بطريقة تؤثر على تقديم البحث . وفي بعض الجامعات الأوربية يرقص البحث تماما إذا وضم بهذه

(١) أتلجو وسينيويوس : مرجع سابق ص ٢٠٩ .

الوصفة ، والذي لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره بلغة سليمة وبسهولة وبسبغة
وبدقيقة ليس جديرا بأمانة البحث العلمي .

وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الفرنسي تين (H. Taine) بقوله « أن
أسلوب المؤرخ يجب أن يتصف بالدقة المركزة والبساطة الأخاذة » (١) .

ويجب أن يتعود الباحث على التعبير السهل البسيط ، وأن يرفع
ما كتبه للتأكد من سلامته من الناحية اللغوية ، وهو مسئول حتى عما شاع
في أبحاثنا بما نطلق عليه تعبير (الأخطاء اللطيفية) فتصحيحها مسئولية
الباحث قبل تقديم بحثه .

وللبعض يلجأ بعد تقديم البحث إلى أن يلحقه بقسائلته أو قوائم
توضيحية ، ويكتفي بما يؤخذ منه قرينة على كثرة ما هي البحث من أخطاء ،
وعلى تعرض الباحث في تقديم عمله قبل أن ينتهي منه على الوجه الأمثل .

وبالإضافة إلى الأسلوب واللغة هناك أمور هامة تراعى أثناء العرض
القاريخي فحرصنا لبعضها فيما سبق لكن نجملها فيما يلي :

١ - الامانة العلمية :

هي صفة مهمة من صفات الباحث ، وتتجلى في أن يتسبب المعلومات
التي يذكرها كلا إلى مصدرها الصحيح الذي رجع إليه فعلا ، فلا يتعامل
بمصدرا ، ولا ينسب لنفسه أشياء لم يصت من استنتاجاته أو جهده .

وبعض الباحثين يأخذ مادة من مرجع من المراجع التاريخية لكنه
يشير في هامش بحثه إلى المصدر الأصلي الذي أخذ منه هذا المرجع دون
أن يجهود نفسه في الرجوع للأصل .

وهذا خطأ لذا انزاق إليه الباحث مرة يأخذ عليه امتزات الثقة تماما
في كل ما يكتب . ولا يضير الباحث أن يشير في الهامش إلى أنه لم يستطع
الوصول للأصل لسبب أو لآخر .

(١) كامبير ، أرنست : مرجع سابق ص ٤٦ .

وسنوضح فيما بعد كيف يجب على الباحث أن يلتزم باليقظة المتناهية عند ذكر تاريخ الطبعة التي استخدمها من مرجع ما والصفحة ٥٥ الخ .

٢ - الاقتباس من الأصول والمراجع والنقد :

من المفروض أن يكتب البحث كله بلغة الباحث ، وأن يشير في (الهامش) إلى الأصول التاريخية التي تعرضت للواقعة موضوع البحث - لكن قد يجد الباحث من الضروري أن يقتبس بضعة فقرات من هذه الأصول ، يستدل بها على حقيقة ما ويناقشها . لكن يفصح ألا تزيد الفقرة الواحدة المنقولة بالنص عن بضعة سطور .

وبالمثل في حالة الاقتباسات الحرفية من كتاب أو مرجع يحسن ألا تتعدى الفقرة المنقولة ثلاثة أو أربعة سطور . وهذه الأجزاء المنقولة توضع عادة بين شولات » «

ويحسن عند ذكر آراء المؤرخين الآخرين سواء اكانت من المصادر الأصلية أو المراجع أن تناقش ، وتعقد مقارنات بينها وبين أقوال الآخرين ويبدئ الباحث في النهاية وجهة نظره .

ويحترم الباحث آراء الآخرين حتى إذا لم تتفق مع رأيه هو ، ولا يستخدم قط الفاظاً تنم عن الاستهانة بوجهة نظر الغير أو الاقلال من شأنهم أو عدم الاعتداد برأيهم .

فمن صفات الباحث - كما نكرنا - التواضع واحترام رأي الغير وجهده وهذا لا يتعارض مع واجب الباحث في التعليق على الأحداث ومناقشة الآراء والبحث عن النمل والأسباب وراء الأحداث ففي هذا تظهر شخصية الباحث وكفاءته وقدرته على مناقشة الآراء المختلفة . والرجوع بالأحداث إلى أسبابها وعللها الصحيحة .

فالقاعدة كما يقول الفيلسوف الفرنسي تين H. Taine « بعد جمع الوقائع - أبحث من العلة أو السبب » (١) .

وفي حالة الاقتباس من مصدر أجنبي تترجم الفقرة المأخوذة الى اللغة العربية السليمة ويشار في الهامش الى مصدرها (١) .

واذا وجد الباحث انه بحاجة لايراد الفقرة المأخوذة بلغتها الاصلية لسبب علمي - يمكن ان يوردها أيضا في الهامش بعد ترجمتها في المتن للغة العربية - لغة البحث ؟

ويجب ان يضع الباحث في ذهنه ان القارئ لم يطلع على المصادر التي رجع هو اليها ، ولذا فعليه في غرضه للحقائق ان يقيمها واضحة كاملة جلية مع أدلتها وبراهينها ومع الاشارة لاماكنها ليبصر ان اراد الرجوع اليها مهمته .

وعند كتابة الإعلام (أي أسماء الأشخاص او الأماكن .. الخ ..) الأجنبية يكتب باللغة العربية حسب نطقها في لغتها ثم بين قوسين باللغة الأجنبية . وذلك لضمان سلامة نطقها ، وذلك على الأقل في اول مرة يذكر فيها العلم في البحث .

وعلى الباحث ان يراعى انه عند ذكر مكان او موضع او واقعة جديدة او علم من الاعلام او غير ذلك مما يبدو غامضا وفي حاجة الى تفسير لأول مرة ان يشير في الهامش اليه ، كان يرجع القارئ الى رقم الخريطة - في البحث - التي عين عليها الموقع او يعطى شرحا او تفسيرا لشيء غامض لا يبريد ان يحدث لبلة بتوضيحه في المتن فيشرحه في الهامش ، او يعرف بالشخصية التي ذكرها لأول مرة .

ثالثا - الهوامش : (٧)

تكتب الهوامش في أسفل صفحات البحث بعد ان يضع الباحث مطورا قصيرا أسفل الصفحة ، ويعمل حساب عدد مطور الهامش .

(١) الهوامش : جمع هامش وهي ترجمة لكلمة Foot note اما الحواشي - فهي جمع حاشية وهي ترجمة لتعبير Marginal Note وتعني الاضافات والتفسيرات التي تظهر في الفراغ على جانبي الصفحة .

(٢) يشرح د. روزنتال فواتر - اهمية الهوامش بتفصيل ويعيز بينها وبين الحواشي - انظر :

روزنتال فواتر : مرجع سابق من ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١١ .

والبعض يجمع هوامش كل فصل على حدة في نهاية الفصل ، والطريقة الأولى مفضلة لأنه أيسر على القارئ تتبع الهامش الموجود في نفس الصفحة من الرجوع بين حين وآخر لنهاية الفصل .

والهامش لا يقل أهمية عن صلب البحث بل أنه الدليل على الجهد الذي بذله الباحث ، وعلى مدى اعتماده على المصادر والمراجع وتدعيم بحثه بها .

وللهوامش وظائف متعددة يجب أن يعيها الباحث تماماً منها :

١ - الإشارة إلى المصادر التي استقى منها الباحث مادته في الفصل الذي يكتبه .

يوضح الرقم في المتن في نهاية الفقرة المراد الإشارة إلى مصدرها في الحاشية .

ويحسن أن يبدأ بعد ذلك في المتن فقرة جديدة من أول سطر جديد - وتراعى في كتابة المصادر والمراجع في الحاشية الأمور الآتية :

(١) يكتب رقم الحاشية ، ثم يذكر اسم المؤلف أولاً ، وبعده تقطعتان افقيتان ، ثم اسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات .

(ب) ترقم الحاشية كلها بأرقام عربية من جهة اليمين حتى إذا كان المراجع أو المصدر أجنبياً حتى لا يضطرب الأمر في الصفحة الواحدة .

(ج) يلجأ البعض لترقيم حواشي الفصل الواحد كلها أرقاماً متصلة - لكن الأفضل أن يبدأ برقم جديد في كل صفحة منعا لأي خطأ قد يريك ترقيم الفصل كله ، خاصة إذا كنا سنتلزم بإيراد الحاشية في أسفل كل صفحة وليس في نهاية الفصل كله .

(د) نحرص في المراجع - أن نذكر اسم الشهرة (العائلة Family Name) للمؤلف أولاً ، ثم اسمه الخاص ، وقد يكتب في ذكر الحروف الأولى من اسم المؤلف .

(ج) ؛ وبالطبع، يفكر اسم المرجع باللغة التي استخدمه بها الباحث .

فإذا كان قد استخدم ترجمة باللغة العربية مثلاً لكتاب يكتب بيانات الحاشية باللغة العربية ويشار إلى أن الكتاب مترجم ، ويذكر اسم المترجم ومكان نشر الترجمة ومنه الطبع .

(و) إذا كان المصدر عبارة عن مخطوط يذكر ذلك بين قوسين بعد اسم المصدر - ولنضرب بعض الأمثلة لذلك :

(١) المقرئى ، تقى الدين : المراعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار
ج ١ ص ٢٠ .

(٢) العيني ، بدر الدين محمود : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان
(مخطوط) ج ١ ص ٦٠ .

Baker, S., Albert Nyanza and the Great Basin of the Nile (٣)
Vol. 1, p.p. 20-25

(ز) والبعض يرى أنه ليس من الضروري أن يذكر اسم المؤلف ، واسم المصدر بالكامل ، طالما أن الإشارة تلب بوضوح وتبين ليس غليهما ، على أن يذكر المؤلف والمصدر كاملين فيما بعد فى مكتبة البحث .

ولابأس من ذلك - فيشار للمراجع السابقة الذكر فى الحاشية هكذا :

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠

(٢) العيني : عقد الجمان (مخطوط) ج ١ ص ٦

Baker : Albert Nyanza, Vol. p.p. 20-25. (٣)

(١) Ibid اختصار لكلمة Ibiden وتعنى نفس الكتاب أو المرجع .

(ج) إذا تكرر ذكر نفس المرجع في الهامش مباشرة يكفي بالإشارة إلى المؤلف ويكتب هكذا :

المقريزي : نفس المرجع والجزء ص ٢٠

- وفي حالة المرجع الأجنبي يشار إليه هكذا : (١) Ibid. P.
لكن إذا تكرر ذكر المرجع في نفس الصفحة بعد مراجع أخرى أو حين يتكرر ذكره في صفحات تالية يشار إليه هكذا :

المقريزي : مرجع سابق ص ٢٠.

- وفي حالة المرجع الأجنبي نذكر اسم المؤلف ويعد ويد الرمز
Op. Cit. (٢)

ثم رقم الصفحة - مثلا :

Baker: Op. Cit. p. 30.

(ط) وإذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب مستخدم في البحث فلابد من الإشارة في كل مرة إلى اسم الكتاب المستخدم تميزاً له

٢ - أما الاستخدام الثاني للهامش فيكون للإشارة لحواشي مماثلة لما في المتن - ويخفى إذا وضع في هلب البحث - أن يفسد الترتيب الزمني للأحداث .

٣ - كذلك تستخدم الحاشية للإشارة إلى رقم الخريطة بملحق البحث .
لتوضيح بعض البلدان أو للإشارة لجداول أو صورة أو غير ذلك فيقال
مثلا : (١) انظر الخريطة رقم ٢ بملحق البحث .

٤ - كذلك يستخدم الهامش لشرح أو توضيح معنى اصطلاح أو تعبير وجد الباحث أنه لا يصح وضعه في المتن .

٥ - كذلك يستخدم الهامش للإشارة إلى أن قضية عولجت في مكان آخر في البحث - وذلك لكي يتجنب الباحث التكرار .

٦ - وقد يستخدم الهامش لتصويب اللفظ ورد في الأصل وحرص الباحث أن يذكره في المتن بنفسه لكن يشير لصحته في الحاشية .

وهكذا يستخدم الهامش لذكر تفاصيل وإشارات وتوضيحات ، وللإحالة على مصادر أو مراجع أخرى في البحث .

وتظهر في الهوامش مهارة الباحث ودقته من حيث الحرص على الإشارة لمصادر معلوماته ومراجعته ، كذلك قدرته على توضيح وشرح كل جديد في بحثه أو ربطه بالأحداث السابقة أو المماثلة دون أن يفسد الترتيب الزمني لأحداث البحث أو يضع في صلب البحث ما ليس متصلا به اتصالا كاملا ومباشرا ودون أن يحدث اضطرابا في تسلسل الأفكار التي تتناولها .

رابعاً - خاتمة البحث :

تختلف الخاتمة عن المقدمة ، كما تختلف عن التمهيد .

ففي الخاتمة يجمال الباحث النتائج المتعددة التي وصل إليها بعد كل هذا الجهد .

يجمالها في إيجاز دون الدخول في تفاصيل . ولا يجب بحال ما أن يناقش الباحث في الخاتمة قضية جديدة - فجمال مثل هذه القضايا والمثا كل البحث نفسه بفصوله المتعددة وليس الخاتمة .

ولذا تقتصر مهمة الخاتمة على إبراز النتائج التي توصل إليها الباحث، والإضافات الجديدة التي أضافها لمعلوماتنا السابقة وما صححه من أراء متداولة .

ولذا لا تتعدى الخاتمة عادة بضعة صفحات .

لكن لها أهميتها بلا شك فهي تمثل خلاصة النتائج التي توصل إليها الباحث

وقد يشير فيها - الباحث - فى النهاية الى القضايا الاخرى
التي لم يصل فيها لنتيجة حاسمة او الى المرحلة التالية التي ستكون موضع
بحث آخر له فى المستقبل .

خامسا - ملاحق البحث :

١ - قد يكون لدى الباحث من الوثائق الأصلية غير المنشورة ما يريد
أن يلحقه ببحثه ، أو قد تكون بعض الوثائق قد نشرت لكن فى كتاب
يصعب حصول الباحث عليه .

وإذا كانت الوثائق التي سينشرها الباحث كثيرة بحيث يصبح حجم
الرسالة غير معقول - يحسن أن يكون الملحق مستقلا بذاته - الا اذا اقتصر
الباحث على نشر مختارات فقط من الأصول التاريخية التي رجع اليها .

والوثيقة تنشر عادة بليغتها بل وبأخطائها اللغوية - ان وجدت .

لكن يحسن أن يكون هناك بيان (فهرس) بالوثائق مع شرح وتعليق
على كل منها باللغة العربية المنشورة بها الرسالة - وكذلك تفسير لما غمض من
كلمات أو عبارات الوثائق فى الهامش - حتى لا يقتصر مجهود الباحث فى
هذه الوثائق على مجرد النقل دون اضافة جديدة تدل على اهمه للوثيقة
ومحتوياتها ، وانه استخدمها فعلا لخدمة البحث ولذا يجب أن يعطى فى
سطور قليلة فكرة عن مضمون الوثيقة . وذلك اما فى فهرس الوثائق أو فى
مقدمة كل وثيقة .

وقد يشير الباحث للوثائق الأخرى المنشورة فى كتب أخرى معروفة اذا
كان قد استخدمها. فى بحثه ولا يريد تكرار نشرها - على أن يشير الى اسم
مؤلف الكتاب وسنة الطبع ورقم الصفحة الواردة فيها للوثيقة - ولا بأس
ايضا من أن يورد شرحا لهذه الوثائق كما فعل فى الوثائق غير المنشورة .

٢ - وقد تشتمل ملاحق البحث على الخرائط التي تخدم البحث وتوضح
البيكان أو المواقع الهامة .

والبعض يفضل أن تكون كل خريطة فى مكانها مع الفصل الذي تخممه

بينما يرى البعض أن تكون الخرائط كلها فى ملحق البحث خاصة اذا كانت الخريطة الواحدة تخدم أكثر من فصل واحد ، وأنه لذلك مضطر للإشارة إليها فى الحاشية باستمرار .

وفيما يتعلق بالخرائط فهى ضرورية وهامة فى كثير من البحوث حيث نتعدد المدن والمواقع وغير ذلك فلا يجب أن يشير الباحث للمدينة أو الموقع ويترك للقارئ أن يبحث هو عنها فى الأطالس وغيرها ، فهذا جزء من عمله هو .

والخرائط يحسن أن تكون بحجم مناسب يسهل الاستفادة منها ، ويذكر مصدرها والصفحة . وضعها فى ذلك كوضع الحاشية بالضبط ويشار أن كان الباحث قد نقلها كما هى أم أجرى عليها تعديلا .

ويحسن أن ترسم الخرائط كلها بحجم واحد وأن تكتب بياناتها بخط واضح وأن يقوم بذلك مختصون . وتكون مهمة الباحث توضيح البيانات التى يريدتها على الخريطة .

ولكل خريطة عنوان يوضح مدلولها ودليل يشرح بياناتها .
والخريطة لابد أن تخدم البحث ، فيجب ألا يكون الأمر مجرد إضافات لأهميتها لها للبحث .

٢ - قد يرى الباحث أن يلحق ببحثه دراسة لشخصية أو لشخصيات وردت فى البحث ولعبت دورا هاما فى الأحداث .

٤ - وقد يجد الباحث أن يلحق ببحثه بعض البيانات الأخرى التى يرى أنها تخدم البحث ، وأنه يهمل أن يضعها فى متناول القارئ مما لا يجب أن يحتويه المتن نفسه .

سادسا - مكتبة البحث (المصادر والمراجع) :

تشتمل على قائمة تفضيلية بالأصول والمصادر والمراجع والدوريات التى رجع إليها الباحث .

وقد يقدم الباحث لمكتبة البحث بشرح يوضح فيه قيمة الأصول والمراجع بالنسبة لبحثه - وكيف استفاد من كل - هذا اذا لم يكن قد قام بذلك في مقدمة البحث ذاته . فقد ذكرنا أنه مطالب بأن يوضح لماذا اختار الكتابة في هذا الموضوع بالذات وقد يؤدي هذا لأن يتعرض للمصادر التي وضع يده عليها وليعرض المراجع التي عالجت الموضوع وقد يشير الى بعض وجهات النظر المختلفة في هذه المراجع .

وعادة لا يستطيع الباحث أن يحلل كل المراجع المستخدمة لكنه يكتفي بتدليل وتقييم أكثرها أهمية واستخداما بالنسبة للبحث .

ويراعى أن مكتبة البحث تنقسم الى أقسام وتنظم محتويات كل قسم فيما بينها .

وعادة يتبع التقسيم الآتى :

١ - وثائق غير منشورة :

نذكر بياناتها التفصيلية مشتملة على :

١ - مكان الوثيقة .

ب - أرقامها .

ج - تاريخها .

وتنظم فيما بينها - اما في مجموعات ، أو تاريخيا ، أو حسب أماكنها والباحث يستطيع بفطنته أن يجد النظام الأمثل لترتيبها .

ولعل بعض هذه الوثائق وردت كاملة في ملحق البحث ، لكن هذا لايعنى أن نهمل ذكرها في مكتبة البحث .

فلا بد أن تشتمل مكتبة البحث على بيان تفصيلي بكل ما استخدم في البحث - مع ما يرشد للوصول الى هذا المصدر إن شاء الاطلاع عليه .

٢ - وثائق منشورة :

تذكر المراجع التي نشرت فيها الوثيقة ، وسنة الطبع ، والمادة وعدد
الجلدات وغير ذلك من البيانات التوضيحية .

وترتب فيما بينها ترتيبا زمنيا أو حسب أماكن نشرها أو في مجموعات
حسبما يرى الباحث مناسبة .

٣ - المراجع العربية والمصرية :

يذكر اسم المؤلف أولا (اسم الشهرة - أو العائلة (Family Name) .
ثم بقية الاسم وبعده نقطتان اثقتان ، ثم اسم الكتاب كاملا ، وبين الأجزاء
المستخدمة .

وإذا كان المرجع المستخدم مترجما يشار للمترجم ، أمثلة لذلك :

- الدوري ، عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
(بيروت ١٩٦٠)

- انجلز . فريدريك : التفسير الاشتراكي للتاريخ .

(ترجمة راشد البراوي - القاهرة ١٩٤٧)

وترتب المراجع أبجديا بحسب أسماء المؤلفين ، وتستبعد عند الترتيب
أداة التعريف (ال) .

ونحرص هنا في مكتبة البحث على أن نكتب أسماء المؤلفين ، والكتب
والبيانات عنها كاملة .

وبالطبع السنة التي يشار إليها هي سنة النسخة المستخدمة فعلا في
البحث .

٤ - مراجع أوروبية :

يراعى فيها نفس الملاحظات الصائفة الذكر من حيث كتابة اسم المؤلف (اسم الشهرة أو العائلة) ثم بقية الاسم كاملاً أو مجرد رموز ، فاسم الكتاب والأجزاء المستخدمة منه .

وترتب فيما بينها أيجدياً حسب أسماء الشهرة للمؤلفين مثل :

Collingwood, R.G.: The Idea of History (Oxford, 1946)

٥ - الدوريات :

يقصد بها المجلات التى تصدرها الجمعيات ، والهيئات العلمية المتخصصة والجامعات بمختلف اللغات ، والتى تنشر فيها آخر الأبحاث وأحدثها ، وهى - كما أشرنا من قبل - لها أهمية خاصة لانتظام صدورها مما ييسر نشر أحدث الأبحاث بها (١) .

ويمكن أن تقسم الدوريات إلى :

(أ) دوريات تصدر باللغة العربية .

(ب) دوريات تصدر باللغات الأوروبية .

ويذكر اسم كاتب المقال بنفس الطريقة الصائفة ، ثم عنوان المقال ، واسم الدورية ، والعدد ، وتاريخ صدوره - مثال ذلك :

- صفوت ، محمد مصطفى : التاريخ أهميته وطرق تدريسه .

(مجلة العلوم - القاهرة - ١٩٤٢)

Moughtar, M.: Notes sur les pays he Harar (Bull. Soc. Kh. Georg. Ser. I No. II — 1876).

ولا يجب أن يقع الباحث فى خطأ ذكر أسماء الدوريات واعدادها دون

(١) أرجع لما ذكرناه عن أهميتها فى الفصل السابع الخاص بالمصادر والمراجع عند الحديث عن المكتبات ومور الكتب . الخ .

اتباع الطريقة المألوفة من ذكر اسم الكاتب وعنوان المقال ، ثم عنوان الدورية ورقم العدد وتاريخ صدوره .

فأهمية المقال ترجع عادة للكاتب نفسه قبل الدورية التي نشرته - هذا بالإضافة الى عنوان البحث نفسه وموضوعه .

سابعاً - فهرس الأعلام :

تشتمل بعض البحوث على العديد من الأعلام (الأشخاص أو الأماكن) التي يرد ذكرها في أماكن متفرقة من البحث .

ولذا يلجأ البعض الى عمل فهرس أبجدي لهذه الأعلام يوضح فيها الأماكن المختلفة من البحث التي ورد فيه ذكر كل منها لييسر للقارئ مهمة الرجوع لهذه الأعلام في أماكنها المتعددة . ويضمن هذا الباحث على أنه أعطى تعريفاً بالعلم عند ذكره لأول مرة .

ثامناً - فهرس البحث (المحتويات) :

قد يكون الفهرس في أول البحث - بعد الورقة الأولى التي تشتمل على اسم البحث ، وعنوانه ، واسم الباحث والدرجة الجامعية لتقديم لنيلها .

وقد يأتي الفهرس في نهاية البحث .

ويجب أن يكون الفهرس مفصلاً فيشتمل ليس فقط على الإشارة للمقدمة، وأقسام البحث ، وعناوين الفصول والملاحق ومكتبة البحث ، بل أيضاً على المحتويات التفصيلية لكل فصل - كما ذكرت في مقدمة الفصل . وليس هذا تكرر لا مبرر له ، فإذا كان ذكر محتويات الفصل في بداية كل فصل يغطي القارئ قبل أن يقرأ الفصل فكرة واضحة عما اشتمل عليه الفصل - فإن ذكر ذلك في نهاية البحث له أيضاً عدة فوائد ، فهو دليل للبحث ، ويعطى للباحث فرصة أخيرة ليحكم بنفسه على مدى الترابط والتسلسل بين المواضيع المتعددة التي عالجه في بحثه ، وييسر للقارئ مهمة العثور على نقطة معينة يريد الرجوع إليها لمعرفة كيف عولجت ...

تاسعا - ملخص البحث :

يطلب من الباحث أن يقدم ملخصا للبحث باللغة العربية وترجمة له بلغة أجنبية . . يختارها هو .

وذلك فيما لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الصفحات . وبالنسبة لا يمكن أن نتطلب من الباحث أن يقدم في هذه الصفحات المحدودة بيانا تفصيليا عن كل الجهد الذي بذله .

لكنه على الأقل يعطى لمحة سريعة عن الموضوع الذي تناوله وعن بعض المصادر التي رجع إليها ، والنتائج الهامة التي استفر عنها البحث . .

وتسترشد بعض الجامعات بهذا الملخص عند نشر بيان توقييمي بالرسائل التي أجازتها .

كما أن العادة جرت على أن يطلب من الباحث أن يقدم ملخصا لبحثه وجهده والنتائج التي انتهى إليها وذلك في جلسة علنية يناقش فيها البحث من اللجنة الثلاثية (ومتها المشرف) التي تصددها الجامعة لذلك .

ولو استطاع الباحث أن يقدم هذا العرض السريع لبحثه وجهده .

بالاستعانة ببعض النقاط المرشدة فقط دون أن يتلو الملخص تالوة - فإن ذلك بلا شك يكون أوقع ، وأكثر تأثيرا على السامعين وفيه دلالة على الماهية بموضوع بحثه وثقته بنفسه .

وهكذا يمكن في ضوء ما سبق أن نحدد عمل الباحث فيما يلي :

١ . عليه أن يستخرج من الوثائق كل المعلومات التي تخدم بحثه .

٢ - عليه أن يضم هذه المعلومات التي قيمتها الوثائق الجزئية بعضها

- إلى بعض - ويصنفها تبعا لمبدأ تصنيف معين .

٣ - أن يضعها جميعا في إطار عام ، تدخل فيه كل هذه الوقائع
تدبر المستطاع حتى تتكون صورة واضحة للحصر التاريخي أو للموضوع الذي
يطالجه .

٤ - يملأ الثغرات في داخل هذا الاطار ويملا كل فراغ بين تسلسل
الأحداث حتى يطرود سير التاريخ ويكون متصل الأجزاء .

٥ - يقوم بوضع الصيغ العامة حتى تصبح حقائق معقولة قابلة لأن
تدون في صورة تاريخية .

٦ - عرض الأحداث وفقا للصيغ التي اختارها وترتيبها بحيث يمكن
أن تنتقل للاخوين .

خاتمة

هذه بعض المعالم فى طريق البحث التاريخى الشاق - فضعها أمام الباحثين والدارسين بعد خيرة طويلة فى هذا الميدان على أمل أن يهتموا بها فى سعيهم نحو الوصول لهدفهم المنشود .

وقد يبدو الأمر فى الصورة التى فصلناها صعبا شاقا - وهو كذلك - لكن من سار على الدرب وصل . .

ولعل ما يشعر به الباحث وهو يحاول أن يجد للأحداث عللا وأسبابا يقتنع بها العقل وتساير المنطق ، بالإضافة الى ما يخرج به من دروس فيه شيء من التعريض عن هذا الجهد المضنى .

ان الباحث لا ينفى مقابل ما يبذله من جهد وعرق - عوضا مايبا - فالمعلم والمعرفة هما أخص سلعة فى عالم الماديات التى نعيش فيه .

لكن لا شك فى أنه يحس بعملة ما بعدها مقعة وهو يحاول أن يكشف بعض الغموض الذى يحيط بحياة الانسان وتصرفاته فى هذه الحياة وعلاقاته ببنى جنسه والدوافع التى تكمن وراء هذه النظريات وما يترتب عليها من نتائج .

وقد لا يستطيع الباحث أن يطبق المنهج الذى شرحناه بالدقة المطلوبة - لكن المحاولة والسعى كفيلا أن ينجح فى تحقيق ذلك بالتدريج .

ومهمة الأستاذ المشرف أن يمسك بيد الباحث وهو يخطو خطوة أثر خطوة نحو الهدف المنشود .

واش الموفق

مكتبة البحث

(المصادر والمراجع)

أولا - مصادر ومراجع عربية أو مصرية :

- ١ - اسماعيل ، الامام ، ابو الغدّاء بن كثير القرشي الدمشقي :
تفسير القرآن العظيم (بيروت ١٩٨٠) .
- ٢ - أمّين ، أحمد :
فجر الاسلام ج ١ (القاهرة ١٩٧٨) .
- ٣ - أمّين ، أحمد :
ضحى الاسلام ج ٢ ، ج ٣ (القاهرة ١٩٣٨) .
- ٤ - الجاز ، فريدك :
التفسير الاشتراكي للقاريخ (ترجمة راشد البراوى - القاهرة
١٩٤٧) .
- ٥ - أنجلو وسيلويوس :
المدخل الى الدراسات التاريخية (ترجمة عبد الرحمن بدوي - نشرت
ضمن مجموعة بعنوان النقد التاريخي - القاهرة ١٩٦٢) (١) .
- ٦ - بدوي ، عبد الرحمن :
مناهج البحث العلمي (القاهرة ١٩٦٨) .
- ٧ - بدوي ، عبد الرحمن :
مؤلفات ابن خلدون (القاهرة ١٩٦٢) .
- ٨ - البيللورى :
اتساق الاشراف ج ٥ (١٩٤٠) .

(١) ترجمه د . عبد الرحمن بدوي ثلاث كتب

- ٩ - يويير ، كمارل :
عقم الذهب التاريخي (ترجمة عبد الحميد صبره - اسكندرية
١٩٥٩) .
- ١٠ - الجمل ، شوقي :
تاريخ كشف افريقيا وامتعارها (القاهرة ١٩٥٩) .
- ١١ - حزين ، سليمان :
صفحات من تاريخ الاستعمار (٥٠ ت)
- ١٢ - حسن ، علي ابراهيم :
استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط
(القاهرة ١٩٤٩)
- ١٣ - حسن ، محمد عبد الفتى :
علم التاريخ عند العرب (القاهرة ١٩٦١) .
- ١٤ - خلفه ، محمد عبد الماع :
قصة الأئب في الأتلمس (بيروت ١٩٦٢) .
- ١٥ - ابن خلدون :
مؤمة ابن خلدون إكتاب المبر وديوان المبتأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان (بيروت ١٨٧٩)
- ١٦ - ابن خلكسان :
وفيات الاعيان ، جزآن (القاهرة ١٢٩٩ هـ) .
- ١٧ - خليفة ، حاجى :
كشف الظنون في اسامى الكتب والفنون جزآن (استامبول ١٩٤١ ،
١٩٤٢) .
- ١٨ - الدورى ، عبد العزيز :
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠)

- ١٩ - البستاني :
تراجم رجال روى عنهم محمد بن اسحق (لندن ١٨٩٠) •
- ٢٠ - رستم ، اسد :
مصطلح التاريخ (بيروت ١٩٢٩)
- ٢١ - روزنثال ، فرانز :
مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى (ترجمة د. أنيس فرنجة ،
مراجعة وليد عرفات - بيروت ١٩٦١) •
- ٢٢ - زريق ، قسطنطين :
نحن والتاريخ (بيروت ١٩٥٩) •
- ٢٣ - ابو زيد ، حكمت :
التاريخ ، تعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر (القاهرة
١٩٦١) •
- ٢٤ - سلاتون ، جورج :
تاريخ العلم (ترجمة ليف من العلماء باشراف الدكاترة بيومى منكوب ،
كامل حسين ، قسطنطين زريق ، مصطفى زيادة) ج ١ (القاهرة
١٩٥٧) •
- ٢٥ - السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن :
الاملان بالتاريخ لمن تم التاريخ (دمشق ١٣٤٩ هـ) •
- ٢٦ - شلبى ، احمد :
كيف تكتب بحثا او رسالة (القاهرة ١٩٧٣)
- ٢٧ - الطبرى :
تاريخ الامم والملوك (لندن ١٨٨١) •
- ٢٨ - الطبرى :
المقتضب من كتاب ذيل المذيل (المطبعة الحسينية) •

- ٢٩ - عباس ، احسان :
تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة (بيروت . ١٩٦٠)
- ٣٠ - عبد الرحمن ، عائشة :
الاسرائيليات في الغزو الفكري (القاهرة ١٩٧٥)
- ٣١ - عثمان ، حسن :
منهج البحث التاريخي (القاهرة ١٩٦٥)
- ٣٢ - كاور ، ا . :
ما هو التاريخ (ترجمة احمد حمدي محمود - القاهرة ١٩٦٢)
- ٣٣ - كاسبر ، ارنست :
في المعرفة التاريخية (ترجمة احمد حمدي محمود - مراجعة على
ادهم ، القاهرة د٠ ت)
- ٣٤ - الكاشف ، سيد اسماعيل :
مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٩٦٠)
- ٣٥ - كراوير ، ج . ج :
صلة العلم بالمجتمع (ترجمة حسن خطاب - مراجعة محمد مرسى
احمد ، ج ١ - القاهرة د٠ ت)
- ٣٦ - الكلامي ، الامام ابي الربيع سليمان بن موسى الاندلسي :
الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد
الواحد - ج ١ - القاهرة ١٩٦٨)
- ٣٧ - كلت ، امانويل : (١)
التاريخ العام (ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ضمن مجموعة بعنوان
النقد التاريخي ١٩٦٣)

٣٨ - لوبيون ، غوستاف :

فلسفة التاريخ (ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٥٤) .

٣٩ - ماس ، يول :

نقد النص (ترجمة عبد الرحمن بدوي - ضمن مجموعة يمتسوان
النقد التاريخي ١٩٦٢) (١) .

٤٠ - مالك ، شارل وصرف ، فؤاد ونعمان شيمث ونظيف ، مصطفى :
البحث العلمي في العالم العربي (بإشراف هيئة الدراسات العربية
في الجامعة الأمريكية ببيروت - بيروت ١٩٥٦) .

٤١ - المسعودي :

مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٢ م) .

٤٢ - نصار ، حسين :

نشأة التدوين التاريخي عند العرب (القاهرة - د ١٩٧٧) .

٤٣ - هرتشو :

علم التاريخ (ترجمة وكتب حواشيه وأضاف إليه فصلا عن التاريخ
عند العرب - د عبد الحميد العبداري ، القاهرة ١٩٣٧) .

٤٤ - هورفاس يوسف :

المغازي الأولى ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار - القاهرة ١٩٤٩) .

٤٥ - هوتكه ، زيفريد :

شمس العرب تسطع على الغرب (نقله عن الألمانية فاروق بيضون ،
كمال بصوقي - بيروت ١٩٦٤) .

(:) الكتاب الأصلي للبروفيسور د . يول ماس Prof. Paul Mass

نشر في ليبزج Leipzig 1950 بعنوان نقد النص (Text Kritik)

٤٦ - ولسن ، و.ه. :

مدخل لفلسفة التاريخ (ترجمة أحمد حمدى محمود ، القاهرة ١٩٦٠)

٤٧ - ياقوت

معجم البلدان ١٨٦٦

٤٨ - ياقوت :

ارشاد الارب (طبعة - لندن ١٩٠٠)

ثانيا - مراجع بلغات اوروبية :

1. Carr, E.H. : What is History (London 1961).
2. Clark, G.K. : Guide for Research Student Working on Historical Subjects (Cambridge, 1938).
3. Collingwood, R.G. : The Idea of History (Oxford, 1946).
4. Crump, C.G. : History & Historical Research (London, 1928).
5. Fling, F.M. : The Writing of History; An Introduction to Historical Method. (New Haven 1926).
6. Freeman, E.A. : The Methods of Historical Study (London, 1886).
7. Garrgham, G.J. A. Guide to Historical Method (Fordham 1951)
8. George, H.B. : The Relations of Geography and History (Oxford, 1924).
9. Gooach, G.P. : History and Historians in the Nineteenth Century.
10. Langlois, Ch. V. and Seignobos, Ch. : Introduction aux Etudes Historiques (Translated to English by Berry, G.B. — London 1912).
11. Oman, Ch. : On the Writing of History (London, 1939).
12. Popper, Karl, R. : The Poverty of Historicism (London, 1937).
13. Renier, G.J. : History, Its Progress and Method (London, 1950)
14. Rowse, A.L. : The Use of History (London, 1946).
15. Sempic, E. Ch. : Influence of Geographic Environment (N.Y., 1911).
16. Taylor, H. : History as a Science (London, 1933).
17. Vincent, J. M. : Aids to Historical Research (N.Y. 1934).

ثالثا - موريات :

١ - صفوت ، محمد مصطفى

التاريخ - أهميته وطرق تدريسه (مجلة العلوم - القاهرة - ١٩٤٢) .

٢ - عثمان ، حسن :

· كيف يكتب التاريخ (مجلة الرسالة - ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٠ - القاهرة : أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٤١) .

الفهرس

الجزء الاول

علم التاريخ - نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الاخرى

(١ - ب)

مقدمة

٧ - ٢٤

الفصل الاول : علم التاريخ - نشأته وتطوره

- لفظ التاريخ ومطلوه
- إسفار العهد القديم (التوراه) ، اهميتها
- في أخبار الخليقة الأولى
- الأسطورة ، والحكاية الشعبية ، كبداية
- طبيعية لتناول الانسان لأخبار آياته
- وأجداده
- الدين وأثره على الرواية التاريخية
- محاولات تدوين الأحداث في مصر القديمة
- وعند الآشوريين والبابليين
- التاريخ عند الاغريق والرومان
- خضوع التاريخ للاهوت
- تطور التاريخ في أواخر العصور الوسطى
- ظهور روح النقد في عصر النهضة
- حركة الإصلاح الديني في أوروبا وأثرها على
- التاريخ
- فكرة القومية وأثرها في الاهتمام بالمصادر
- المحلية
- التوسع الاستعماري الأوربي وأثره على
- التاريخ
- التغير الاجتماعي ، والسياسي في أوروبا في
- القرنين السادس عشر والسابع عشر وأثره
- على التاريخ

الصفحة

الموضوع

- القرن الثامن عشر - مؤرخو الثورة في فرنسا وفي باقي أوربا
- المؤرخون الألمان - ومدرسة النقد والتحليل
- القرن التاسع عشر ، والاهتمام بجمع المصادر التاريخية ونشرها

٢٥ - ٦٢

الفصل الثاني : التاريخ عند العرب

- التاريخ عند العرب في الجاهلية
- (الأيام ، الأنساب ، تاريخ ملوك الحيرة)
- تطور علم التاريخ عند العرب بعد الإسلام والعوامل التي أثرت فيه
- المراحل التي مرت بها الكتابة التاريخية عند العرب بعد الإسلام
- مدارس الحركة التاريخية عند العرب المسلمين وخصائص كل منها
- المدرسة اليمينية (وهب بن منبه)
- المدرسة الحجازية في المدينة (غزوة بن الزبير والزهرى)
- المدرسة العراقية في الكوفة والبصرة ، وبغداد وأئمة مؤرخي القرن الثالث الهجري : (البلاذري ، اليعقوبي ، الدينوري ، ابن قتيبة ، والطبري)
- مدرسة التاريخ في مصر والشام
- مدرسة التاريخ في الأندلس
- الطريقة التي تناول بها العرب التاريخ
- المؤثرات التي أثرت في الكتابة التاريخية عند العرب
- أهم المواضيع التي تناولها المؤرخون العرب في كتاباتهم

الفصل الثالث : التاريخ بين العلوم الأخرى

- تطور الدراسة والبحث التاريخي (العال
- المباشرة لم تعد الأسباب الحقيقية للأحداث)
- المؤرخون يبحثون في دور الإنسان في الأحداث
- التاريخية
- ... الاختلاف على وضع التاريخ : علم أم أدب أم
- فن
- الرد على القائلين بأن التاريخ ليس علما
- ... التاريخ علم نقد وتحليل
- العوامل النفسية التي قد تؤثر في تشكيل
- أحداث التاريخ
- علم التاريخ واهتمامه بحياة الشعوب
- ... مدارس علم التاريخ
- محاولة الزج بالتاريخ في زمرة العلوم
- الطبيعية وما ترتب على ذلك من أخطاء
- ... أهداف تدريس التاريخ
- دوره في تربية الفرد
- قيمته لرجال السياسة
- قيمته كفرع من فروع الدراسات
- الاجتماعية
- التاريخ بين المناهين بقصر اهتمامه على
- الأحداث السياسية ، والداعين للتركيز
- على تتبع حضارة الشعوب

الفصل الرابع : العلوم الأخرى الوثيقة الصلة بعلم

التاريخ

- صلة التاريخ بعلم الجغرافية
- أهمية العلوم السياسية ، ودراسة النظم
- الدمستورية للمباحث التاريخي

الصفحة

الموضوع

- علم الاقتصاد وعلاقته بالتاريخ
- علم الانسان (الانثروبولوجيا) ومصلته بالتاريخ
- علم الآثار (الاركيولوجيا) ومصلته بالتاريخ
- علم المسكوكات (النميات) وأهميته للمؤرخ
- علم الوثائق وأهميته للباحث التاريخي
- اللغة ، ودراسة الخطوط وأهميتها
- مرفة الاختام ، الاحبار ، والأقلام
- علوم القرآن والتفسير - والعلوم الاجتماعية والفلسفية
- العلوم الأخرى
- (تختلف حسب موضوع البحث ، والفترة الزمنية)

٩٥ - ١٠٥

الفصل الخامس : الصفات الواجب توافرها في المؤرخ
(السلوك الخاص بالباحث)

- التحلى بالجلد والصبر
- الدقة والأمانة
- الحيدة
- عدم تكوين رأى مسبق (ارادة المعرفة)
- ملكة النقد والتحليل
- ملكة الربط بين الأحداث المتناثرة
- الاستعداد لتقبل آراء الغير
- الحامية الزمنية
- التأمل الهادئ
- الموضوعية (لا تتنافى مع قوة الشخصية والاتزان العلمى)
- القدرة على التعبير بأسلوب علمي
- القواضع

الجزء الثانى

منهج البحث التاريخى

١٢٠ - ١٠٩

الفصل السادس : اختيار موضوع البحث

- - أهمية حسن الاختيار
- - مهمة الباحث وليست مهمة المشرف
- - الفرق بين الباحث فى المرحلة الجامعية الأولى والباحث فى مرحلة الدراسات العليا (الهدف من البحث فى كل مرحلة منهما)
- - المقصود بالجديد المطلوب اضافته من الباحث فى الدراسات العليا
- - البيان الأولى (مشروع البحث) الذى يقدمه الباحث ، ومناقشته فى جلسات السمينار وقيمة ذلك (قبل تقديمه للجهات الرسمية)

١٣٦ - ١٢١

الفصل السابع : المصادر والمراجع

- - الأماكن التى يحصل منها الباحث على مصادر ومراجع
- - المكتبات العامة ، ودور الكتب ، وأهمية معرفة نظامها العام ، وطريقة تصنيف الكتب والمصادر بها
- - كتب المراجع (الجيولوجيا) وأهميتها
- - قوائم المؤلفين ، وقوائم الموضوع
- - السوريات وأهميتها
- - البطاقات (الجداول - الفيش) وقيمتها
- - دور المحفوظات ، والوثائق وأرشيف وزارات الخارجية الوطنية والأجنبية

— امثلة لدور الوثائق :

- وثائق القلعة وبعض مجموعات
- دار الوثائق بالخرطوم
- وثائق مكتبة جامعة الخرطوم
- وثائق مدرسة الدرامسات الشرقية فى
ورهان (يانجلترا)
- دار الوثائق العامة بلندن
- المكتبة الوطنية بباريس
- الشخصيات العلمية التى لها اهتمام بجوانب
تتعلق بموضوع البحث
- اشخاص لهم اتصال بالأحداث ذاتها

١٣٧ - ١٥٤

الفصل الثامن : نقد الأصول التاريخية

- التأكد من أصالة النص وأنه غير مزيف
- النقد الظاهرى .
- (المقصود به - امثلة على ما اصاب بعض
الوثائق من تزيف)
- تقسيم الأصول المخطوطة
- الأصول المطبوعة
- النقد الباطنى (الداخلى)
- المقصود به :
- (١) النقد الباطنى الإيجابى
- (ب) النقد الباطنى السلبى
- (المقصود بكل ، ومجالاته وأهدافه)

الفصل التاسع : توزيع المادة التاريخية المجموعة وكيفية

١٥٥ - ١٦٦

الاستفادة منها

أولا - الاستفادة من المادة التى جمعها الباحث
(العمليات التركيبية)

- ٢٠٧ بناء النسيج التاريخي المتجانس من المادة الخام المجموعة (الربط بين المعلومات والآراء المتعددة)
- ٢٠٨ تعديل المشروع الأولي للبحث في ضوء المادة المجموعة
- ٢٠٩ تنظيم الحقائق التاريخية حسب قواعد محددة :
 - مراعاة التسلسل التاريخي
 - الترابط بين الأحداث والموضوعات
 - المقارنة بين الأحداث المتشابهة

ثانيا - الاجتهاد وحدوده

- ٢١٠ دواعي الاجتهاد
- ٢١١ الاجتهاد السلبى - مثال لذلك
- ٢١٢ الاجتهاد الايجابى - قواعده وحدوده

ثالثا - التعليل والتحليل والإيضاح

- ٢١٣ أهميته ودلالته على شخصية الباحث وقدرته ..
- ٢١٤ على ربط النتائج بمسبباتها
- ٢١٥ العوامل التى تساعد على الوصول للعلل والأسباب الصحيحة :
- الدراسة المقارنة
- الامام بالظروف المحيطة بالحادث
- تفهم التغيرات فى المجتمع الذى ندرسه
- ٢١٦ هل يعيد التاريخ نفسه

الفصل العاشر : كتابة البحث (العرض)

أولا - أقسام البحث (فصوله) :

- ٢١٧ البحث وحدة متكاملة
- ٢١٨ المقدمة وما تتناولها
- ٢١٩ الفصل التمهيدي ، واختلافه عن المقدمة
- ٢٢٠ عنوان الفصل
- ٢٢١ مباحث الفصل وقيمة ذكرها فى بداية الفصل

الصفحة

الموضوع

- ثانيا - الأسلوب وطريقة العرض :
- سلامة الأسلوب وسهولته ، سلامة اللغة
 - الأمانة العلمية
 - الاقتباس من الأصول والمراجع وتقديمها
 - الاعلام الأجنبية
- ثالثا - الهوامش :
- الاستخدامات المختلفة لها •
- رابعا - خاتمة البحث :
- اختلافها عن المقدمة والتمهيد
- خامسا - ملاحق البحث :
- الوثائق غير المنشورة ، والمنشورة
 - الخرائط
 - دراسة لشخصيات واردة في البحث
 - بيانات أخرى يرى الباحث أنها
- سادسا - مكتبة البحث :
- أقسامها ومحتوياتها
 - ما يراعى في تنظيم كل قسم منها
- سابعا - فهرس الأعمال
- ثامنا - فهرس البحث (المحتويات) :
- مكانه - محتلاته التفصيلية وقيمتها
- تاسعا - ملخص البحث :
- لغته - عدد صفحاته - محتلاته

خاتمة :

١٩١
١٩٢ - ١٩٨

مكتبة البحث (المصادر والمراجع) :

- مصادر ومراجع عربية أو معربة
- مراجع بلغات أوروبية
- دوريات

